الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر -بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

عنوان المذكرة

الجماعات الدينية في البرامج الوثائقية

تحليل مضمون البرنامج الوثائقية "نقطة ساخنة"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع

تخصص: علم اجتماع الاتصال

إعداد الطالب:

سليم بوزيدي

إشراف الأستاذ الدكتور:

نور الدين زمام

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د علي آشقو	رئيســـــا	جامعة بسكرة
أ.د نور الدين زمام	مشرفا و مقررا	جامعة بسكرة
أ.د دبلة عبد العالي	عضوا مناقشا	جامعة بسكرة
أ.د ميلود سفاري	عضوا مناقشا	جامعة سطيف

السنة الجامعية: 2011/2010

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر -بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

عنوان المذكرة

الجماعات الدينية في البرامج الوثائقية

تحليل مضمون البرنامج الوثائقية "نقطة ساخنة"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع

تخصص: علم اجتماع الاتصال

إعداد الطالب:

سليم بوزيدي

إشراف الأستاذ الدكتور:

نور الدين زمام

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د علي آشقو	رئيســـــا	جامعة بسكرة
أ.د نور الدين زمام	مشرفا و مقررا	جامعة بسكرة
أ.د دبلة عبد العالي	عضوا مناقشا	جامعة بسكرة
أ.د ميلود سفاري	عضوا مناقشا	جامعة سطيف

السنة الجامعية: 2011/2010

ملخص الدراسة

منذ حرب الخليج الأولى أدركت كثيرٌ من دول العالم ومن بينها بعض الدول العربية خطورة وحساسية وسائل الإعلام والاتصال وخاصة القنوات الفضائية، وتسابقت دول كثيرة من أجل السيطرة والاستحواذ على الفضاء الإعلامي.

و مع مطلع التسعينيات من القرن المنصرم، بدأ الإعلام العربي يشهد طفرة إعلامية لافتة مع انطلاق بث برامج قناة الجزيرة الفضائية في نوفمبر 1996، وفي فترة وجيزة استطاع الإعلام العربي امتلاك ناصية تكنولوجيا صناعة الإعلام فنيا وتقنيا بشكل لا يقل عن مثيلاتها في العالم المتقدم.

و من بين القضايا المحورية التي تناولتها وسائل الإعلام الغربية موضوع الجماعات الدينية، التي اعتبرتها هذه الأخيرة بأنها مصدر الإرهاب، مما يعزز الاعتقاد لدى المتابع لهذه الوسائط بأن الجماعات الدينية تعني الجماعات الإسلامية وأن الإرهاب مصدره الإسلام.

و فيما كانت وسائل الإعلام الغربية توسع دائرة التغطية الإعلامية التي تعمل على تصوير كل الجماعات الدينية الإسلامية على أنها المصدر الرئيس للإرهاب، انبرت بعض المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية لمحاولة توضيح الصورة الحقيقية للعرب والمسلمين، من خلال الرد على وسائل الإعلام الغربية في تناولها لظاهرة الإرهاب التي تُنسب إلى الجماعات الدينية.

و ربما يكون برنامج " نقطة ساخنة " لصاحبه " أسعد طه" والذي تبثه قناة الجزيرة الفضائية بشكل غير دوري، من البرامج التي لاقت رواجا ومتابعة لدى الجمهور العربي، في هذا السياق.

و قد جاءت هذه الدراسة لمحاولة البحث في طريقة تناول الأفلام الوثائقية العربية لظاهرة "الجماعات الدينية"، بمستويات متباينة، مما يسمح لنا بطرح التساؤل الرئيس للدراسة، وهو كيف تناول برنامج نقطة ساخنة الوثائقي ظاهرة الجماعات الدينية؟ أو بمعنى آخر هل قدّمت الأفلام الوثائقية العربية موضوع الجماعات الدينية بمستويات متباينة ومتمايزة وذلك تبعا لتعقد هذا الموضوع وتنوع أبعاده ومستوياته.؟

و قد خلصت الدراسة إلى أن الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة ركز على العديد من الجماعات الدينية، والتي تناولها من حيث النشأة والتركيبة الاجتماعية والثقافية والتوجه الأيديولوجي، كما ركز على علاقتها بالعدو، وعلى طقوسها وثقافتها، كما نجد أن أهم السمات التي وسم بها أعضاء الجماعات الدينية هي: إرهابيون، شهداء، مجاهدون، مقاومون، رهبان، يؤمنون بالخرافات، وأخيرا متطرفون.

شـكـــر و تـقـديـــر

من لا يشكر الناس؛ لا يشكر الله.. كل الشكر والتقدير والمودة لأستاذي الفاضل البروفيسور نورالدين زمام، الذي كان لي نعم السند والمعين طوال مشوار هذه الرسالة، إلى أن من الله علي بإتمامها ، وشكرا خاصا مبجلا للأستاذة الفاضلة صباح سليماني لكل الدعم الذي أمدتني به جعله الله في ميزان حسناتها، وشكر مماثل للأستاذين والصديقين العزيزين عبد الباسط هويدي و شكري شرف الدين..وشكرا خاصا للأستاذ أسعد طه الذي لم يبخل علي بكل المساعدة التي طلبتها منه وإلى كل من ساهم في هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.. وأملي أن يكون هذا العمل لبنة في طريق بناء إعلام عربي قوي وهادف.

الطالب

إهـــداء

إلى الوالدة الحبيبة التي كانت دائما مؤمنة أن هذا اليوم حتما سيأتي.. إلى أبي الطيب الذي علمني معنى الصبر في صمته الوقور.. إلى زوجتي الحبيبة سميرة ، سندا و سكنا ونجاحي الأكبر، إلى ابني الغالي هيثم صديقي الأروع ، إلى ابنتي أليسار، أملا وحبات سكر، إلى خالي العزيز والدا ومربيا ومرشدا وصديقا.. إلى شقيقاتي وأشقائي فخرا وانتماء.. إلى صديق العمر مختار.. إلى العزيزين عز الدين ونجاة مودة وامتنان.. إلى كل الذين أعرف... وكل الذين أحب. .و إلى أمتي الصامدة..

ســـليم

الفهـــــــــــــرس

المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ – ب
الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة	3
تمهيد	4
أولا: إشكالية الدراسة	5
ثانيا: منهجية الدراسة	16
خلاصة	28
الفصل الثاني: الأفلام الوثائقية	29
تمهيد	30
أولا: مفهوم الأفلام الوثائقية، الخصائص والمميزات	30
ثانيا: تطور الأفلام الوثائقية، أهميتها وأنواعها	41
ثالثا: صناعة الأفلام الوثائقية وشروط نجاحها	51
رابعا: الفيلم الوثائقي في العالم العربي	56
خلاصة	64
الفصل الثالث: الجماعات الدينية	65
تمهيد	66
أولا: مفهوم الجماعات الدينية	67
ثانيا: خصائص الجماعات الدينية	75
ثالثا: تطور الجماعات الدينية	78
رابعا: التناول السوسيولوجي لظاهرة الجماعات الدينية	83
خلاصة	114
الفصل الرابع: الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية	115
تمهيد	116
أولا: العولمة الإعلامية وتأثيرها على الإعلام العربي	117

ثانيا: مكانة الأفلام الوثائقية في القنوات العربية	119
ثالثا: القنوات المتخصصة في الأفلام الوثائقية في العالم العربي	122
رابعا: محاور اهتمام الأفلام الوثائقية العربية:	128
خامسا: الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية	135
خلاصة	154
الفصل الخامس: عرض و تحليل النتائج الخاصة ببرنامج نقطة ساخنة	155
تمهيد	156
أولا: التعريف ببرنامج نقطة ساخنة	156
ثانيا:عرض النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة	157
ثانيا: تحليل النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة	179
ثالثا: عرض النتائج الخاصة بفئات كيف قيل ببرنامج نقطة ساخنة	198
رابعا: تحليل النتائج الخاصة بفئات كيف قيل ببرنامج نقطة ساخنة	203
خلاصة	207
الخاتمة	208
قائمة المراجع	211
قائمة الملاحق	219

فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
1	يوضح حجم الاهتمام بالجماعات الدينية أي (يوضح المعدل التكراري والنسبي للحلقات التي تناولت الجماعات الدينية من برنامج نقطة ساخنة)	158
2	يوضح معدل ظهور مؤشرات حزب الله في برنامج نقطة ساخنة	160
3	يوضح معدل ظهور مؤشرات الأصولية الهندوسية.	161
4	يوضح معدل ظهور مؤشرات الجماعة البوذية في التبت	162
5	يوضح: معدل ظهور مؤشرات جماعة نهضة العلماء في اندونيسيا في برنامج نقطة ساخنة	162
6	يوضح معدل ظهور مؤشرات الجماعة المحمدية اندونيسيا في برنامج نقطة ساخنة	163
7	يوضح معدل ظهور مؤشرات الجماعات الإسلامية المسلحة باندونيسيا في برنامج نقطة ساخنة	165
8	يوضح معدل ظهور مؤشرات جماعة العدل والإحسان في المغرب في برنامج نقطة ساخنة.	166
9	يوضح معدل ظهور حركة التوحيد والإصلاح في المغرب في برنامج نقطة ساخنة.	167
10	يوضح معدل ظهور مؤشرات حزب العدالة والتنمية في المغرب في برنامج نقطة ساخنة.	167
11	يوضح معدل ظهور مؤشرات الجماعات الإسلامية المسلحة في المغرب في برنامج نقطة ساخنة.	168
12	يوضح معدل ظهور الجماعة الصوفية في السنغال في برنامج نقطة ساخنة.	169
13	يوضح معدل ظهور الجماعة الصوفية في السنغال في برنامج نقطة ساخنة–محل الدراسة	171
14	يوضح معدل ظهور الجماعة الصوفية في السنغال في برنامج نقطة ساخنة–محل	173

	الدراسة	
15	يوضح مؤشرات فئة اتجاه صانع برنامج نقطة ساخنة للجماعة الشيعية(حزب الله)	174
16	يوضح مؤشرات فئة اتجاه صانع برنامج نقطة ساخنة بالجماعة الأصولية الهندوسية	175
17	يوضح مؤشرات فئة اتجاه صانع برنامج نقطة ساخنة للجماعة البوذية بالتبت	176
18	يوضح مؤشرات فئة اتجاه صانع برنامج نقطة ساخنة للجماعة البوذية بالتبت	177
19	يوضح مؤشرات فئة اتجاه صانع برنامج نقطة ساخنة بالجماعات الإسلامية في المغرب.	178
20	يوضح مؤشرات فئة اتجاه صانع برنامج نقطة ساخنة بالصوفية والعلمانية السنغال.	179
21	يوضح ترتيب الجماعات الدينية من حيث اهتمام برنامج نقطة ساخنة بها.	180
22	يوضح معدل ظهور الأشكال الإعلامية المستخدمة في برنامج نقطة ساخنة.	198

فهرس الأشكال

رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحة
01	يوضح حجم اهتمام برنامج نقطة ساخنة بالجماعات الدينية	159
02	يوضح حجم اهتمام برنامج نقطة ساخنة بالجماعات الدينية	164
03	يوضح نسبة تكرارات مؤشرات التحليل بالنسبة للعبارات الدالة المعبرة عن الجماعة الصوفية في السنغال	170
04	نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الجماعة الشيعية(حزب الله)	172
05	يوضح نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الأصولية الهندوسية	174
06	نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الجماعة البوذية بالتبت	175
07	نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الجماعات الدينية في اندونيسيا	176
08	نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الجماعات الإسلامية في المغرب	177
09	يوضح نسب الأشكال الإعلامية المساعدة في المعالجة للجماعات الدينية في الحلقات المختارة من برنامج نقطة ساخنة	178

مقدمة

لقد بينت أحداث حرب الخليج الثانية، سنة 1991، أن من يُسيطرُ على الخبر والمعلومة هو من يقرر نتيجة المعركة في النهاية، لقد استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الحرب، باعتبارها المصدر الأوحد للمعلومة على أرض المعركة، أن تعكس للعالم الصورةَ التي كانت تريد تقديمها عن طبيعة المعارك عبر حربها المسماة "عاصفة الصحراء". وبسبب ذلك التضليل والتعتيم انتهت الحرب، واعتقد جمهورٌ واسعٌ من البشرية بأن أمريكا خاضت حربا نظيفة وانتصرت فيها بطريقة سلسلة واستعراضية، لكن الحقائق التي تكشفت لاحقا بينت زيفَ وكذبَ تلك الأطروحة.

فمن كان البطل الحقيقي في تلك الدعاية التي صنعت نصرا مزيفا؟ انه الإعلام من دون منازع؟

ومنذ تلك الفترة أدركت كثيرٌ من دول العالم ومن بينها بعض الدول العربية خطورة وحساسية وسائل الإعلام والاتصال وخاصة القنوات الفضائية، وتسابقت وتهافتت وتقاتلت دولٌ كثيرة من أجل السيطرة والاستحواذ على الفضاء الإعلامي.

وبعدَ بدايةٍ محتشمة للبث الفضائي العربي مع مطلع التسعينيات من القرن المنصرم، بدأ الإعلام العربي يشهدُ طفرة إعلامية لافتة مع انطلاق بث برامج قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ نوفمبر1996، التي استطاع من خلالها الإعلام العربي أن يلجَ ساحة الصراع الإعلامي العالمي بشكل أكثر حضورا وكثافة، تجلى ذلك خاصة إبان الغزو الأمريكي للعراق في مارس 2003 ، أين عجزت الولايات المتحدة عن أن احتكار المعلومة والخبر، واستطاع الإعلام العربي أن يقدم صورة مغايرة تماما لطبيعة سير المعارك على الأرض من تلك التي يروج لها الإعلام الأمريكي والغربي. وربما تكون حرب تموز/أوت 2006 التي جرت تفاصيلها في لبنان علامة فارقة في تاريخ الإعلام العربي، أين استطاع ولأول مرة أن يتفوق على الإعلام الغربي ويصبح هو المصدر الأول والأساس للمعلومة والخبر لقطاع واسع من الجمهور على امتداد عريض من المعمورة، وربما يكون من المفيد التنويه إلى أن بعض وسائل الإعلام العربية وفي فترة وجيزة استطاعت امتلاك ناصية تكنولوجيا صناعة الإعلام فنيا وتقنيا بشكل لا يقل عن مثيلاتها في العالم المتقدم. وربما يكون برنامج "*نقطة ساخنـــة*" لصاحبه "أسعد طه" والذي تبثه قناة الجزيرة الفضائيـــة بشكل غير دوري، من البرامج التي لاقت رواجا ومتابعة لدى الجمهور العربي.

وقد خصّص مُعِدُّ هذا البرنامج حوالي أحد عشرة حلقة من مجموع حلقات برنامجه التي تُبث حتى الساعة، والتي فاقت الخمسون حلقة لموضوع " الجماعات الدينية " في بعض البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وعليه فقد خصّصنا لدراسة هذا الموضوع خطة بحث اشتملت على: مقدمة وستة فصول وخاتمة، حيث قسمت فصول الدراسة إلى جانبين؛ جانب نظري وجانب ميداني للدراسة.

في المقدمة، يتم إثارة الموضوع بشكل عام من خلال السياق التاريخي الذي طُرح فيه الموضوع. أمّا الفصل الأول، فيتضمن الإطار المنهجي للدراسة، حيث فيه تحديد وصياغة الإشكالية وأهمية وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة وتحديد المفاهيم الرئيسة للدراسة والأصول النظرية والدراسات السابقة، بالإضافة إلى الإطار المنهجي لميدان الدراسة وتوضيح منهج الدراسة والأدوات المستعملة وعينة الدراسة ومجال الدراسة المكاني والزمني، وكذا تحديد فئات الدراسة ووحدات التحليل.

أما الفصل الثاني فقد خُصص لموضوع الأفلام الوثائقية: مفهومها، تاريخها، خصائصها، أنواعها وأهميتها.وأما الفصل الثالث فيتناول "الجماعات الدينية" من حيث التعريف ، تطورها، خصائصها، أنواعها، توزعها الجغرافي والديموغرافي عبر العالم.وفي الفصل الرابع نركز على تناول الأفلام الوثائقية لموضوع "الجماعات الدينية" من خلال طرح خمسة مستويات للدراسة، وهي: العولمة الإعلامية وتأثيرها على الإعلام العربي، مكانة الأفلام الوثائقية في القنوات العربية، القنوات المتخصصة في الأفلام الوثائقية في العالم العربي، بالإضافة إلى محاور اهتمام الأفلام الوثائقية العربية، وفي الأخير يتم التعرض للجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية.

أما الفصل الخامس، فيمثلُ الجانب الميداني، متضمنا أربع نقاط أساسية، وهي: التعريف ببرنامج نقطة ساخنة،ثم عرض النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة، فتحليل النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة، لتليها خطوة أخرى تتمثل في عرض النتائج الخاصة بفئات كيف قيل ببرنامج نقطة ساخنة، ومن ثم تحليل النتائج الخاصة بفئات كيف قيل ببرنامج نقطة ساخنة؟ وفي الخاتمة سنعرض لأهم نتائج الدراســـة

الفـــصـــل الأول

الإطار المنـهجي للدراسة

تمـهيد

أولا: إشكالية الدراســـة

ثانيا: منـهجية الدراسة

خلاصة

تمهيد:

شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر نقطة تحول خطيرة في حياة البشرية بوجه عام، ولا جدال في أن الإعلام كان الساحة الأبرز والأوسع لهذا التغيير والتحول، بل إن قنوات التلفزيون والإذاعات وصفحات الجرائد ومواقع الويب استحالت إلى ساحات حرب حقيقية تُستعمل فيها كامل الوسائل المشروعة منها وغير المشروعة.

وبسرعة فائقة قفزت إلى سطح التداول المعرفي والأكاديمي مصطلحات ومقولات شكلت فتيل تلك المعارك، أحيانا، ووقودها في أحايين كثيرة. وتباينت طرق استعمال هذه المصطلحات بحسب أهداف وأغراض هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، وضاع الخيط الرفيع بين الحقيقة والتحليل للكثير من الكلمات والمصطلحات، بسبب الاستعمال المزدوج وأحيانا المتناقض لهذه المصطلحات. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر عبارات من قبيل: القتال، الجهاد، المقاومة، الاحتلال، التدخل العسكري، الإرهاب وغيرها من المصطلحات.

ومن بين المصطلحات التي دخلت معترك التضليل والتشويه الإعلامي، مفهوم: الجماعات الدينية. هذا المصطلح الذي قفز إلى العناوين الرئيسية في نشرات الأخبار عبر كبرى الشبكات الإخبارية العالمية ومتصدّرا صفحات أكثر الجرائد انتشارا. وشكل مادة خصبة للعديد من المواقع الإلكترونية، المتخصصة منها، وغير المتخصصة. لكن، ما يلاحظ على هذه الوسائط الإعلامية، خاصّة الغربية منها، أنها كثيرا ما تعتبر الحديث عن الجماعات الدينية من لوازم الجماعات الإسلامية، والجماعات الإسلامية المتطرفة تحديدا.

أولا: إشكالية الدراســـة

1. موضوع الدراسة

يبدو أنه بمجرد إلقاء نظرة على تغطية وسائل الإعلام الغربي لموضوع الجماعات الدينية، نجد بأنها تحاول أن توصل رسالة للجمهور مفادها بأن مصدر الإرهاب، هو الجماعات الدينية، والجماعات الدينية الإسلامية المتطرفة على وجه التحديد، ممّا يعزز الاعتقاد لدى المتابع لهذه الوسائط بأن الجماعات الدينية تعني الجماعات الإسلامية وأن الإرهاب مصدره الإسلام.

وفيما كانت وسائل الإعلام الغربية توسع دائرة التغطية الإعلامية التي تعمل على تصوير كل الجماعات الدينية الإسلامية على أنها المصدر الرئيس للإرهاب، انبرت بعض المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية لمحاولة توضيح الصورة الحقيقية للعرب والمسلمين، من خلال الرد على وسائل الإعلام الغربية في تناولها لظاهرة الإرهاب التي تُـــنسب إلى الجماعات الإسلامية، وبشكل عام إلى الجماعات الدينية.

وخاضت بعض الفضائيات العربية حربا شرسة قِوامها الصورة والمعلومة والتحليل والتعليق وذلك بهدف توضيح حقيقة الإسلام وتبرئة العرب والمسلمين مما يشهده العالم من عنف الإرهاب والتطرف، فاسحة المجال لمناقشة ومتابعة ودراسة كل ما يتعلق بهذه الظاهرة من مصطلحات ومفاهيم، وعلى رأسها مفهوم الجماعات الدينية.

وإذا كان الخبر والتعليق والتحقيق من الأدوات والوسائل الأساسية التي استعملتها القنوات الفضائية في هذا الصراع، فإن للفيلم الوثائقي بما يمتاز به من خصوصية تجعله من أكثر المواد الإعلامية جدية ورصانة، مكانةً تجعله أحد أهم هذه الرسائل وأكثرها تأثيرا. حيث قدّمت الفضائيات العربية مئات الأفلام الوثائقية ومن بينها برنامج نقطة ساخنة، التي تناولت بالدّراسة والبحث والتوثيق ظاهرة الإرهاب والتطرف والجماعات الإسلامية وتحديدا الجماعات الدينية منها، بهدف تبليغ رسالة مضادّة لتلك التي عكستها وسائل الإعلام الغربية، بأن التطرف والغلو صناعة إسلامية يتبطنها هذا الدين.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة لمحاولة البحث في طريقة تناول الأفلام الوثائقية العربية لظاهرة "الجماعات الدينية"، بمستويات متباينة، مما يسمح لنا بطرح التساؤل الرئيس التالي:

- **كيف تناول برنامج نقطة ساخنة الوثائقي ظاهرة الجماعات الدينية؟** أو بمعنى آخر هل قدّمت الأفلام الوثائقية العربية موضوع الجماعات الدينية بمستويات متباينة ومتمايزة وذلك تبعا لتعقد هذا الموضوع وتنوع أبعاده ومستوياته.؟

ولتفصيل أكثر لهذه الإشكالية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

التساؤل الجزئي الأول: هل تناولت الأفلام الوثائقية العربية الجماعات الدينية من خلال إبراز خصوصيتها الثقافية والاجتماعية؟

التساؤل الجزئي الثاني: هل تناولت الأفلام الوثائقية العربية الجماعات الدينية من خلال رصد مرجعيتها الفكرية والإيديولوجية؟

التساؤل الجزئي الثالث: هل تناولت الأفلام الوثائقية العربية موضوع الجماعات الدينية من خلال طبيعة الصراع الموجود بين هذه الجماعات ونظام الحكم في البلاد الموجود في هذه الجماعات.

التساؤل الجزئي الرابع: ما هو اتجاه صانع الفيلم من هذه الجماعات الدينية؟

التساؤل الجزئي الخامس: ما هي أهم المصادر المعتمدة في معالجة ظاهرة الجماعات الدينية من قبل صانع الفيلم محل الدراسة؟

التساؤل الجزئي السادس: ما هي الأشكال الإعلامية المصاحبة لمعالجة ظاهرة الحركات الدينية؟

2. أهمية الدراسة وأهدافها

أ/ شكّل موضوع الإرهاب القضية الرئيسية لوسائل الإعلام العالمية بكافة أشكالها، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، وفي أغلب الأحيان ارتبط هذا الموضوع بالجماعات الدينية في المادة الإعلامية لهذه الوسائل، من هنا تأتي أهمية وخطورة فحص ودراسة الموضوع الإعلامي المتناول لظاهرة الجماعات الدينية، عبر ما تبثه الأفلام الوثائقية التي تعدُّ أحد ركائز المادة الإعلامية الحديثة.

ب / تُشكل القنوات الفضائية العربية في العصر الحالي، المصدر الأول والرئيس للأخبار والمعلومات في العالم العربي، بل يذهب الكثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن الثورة الإعلامية، التي تبدّت في سرعة وحجم انتشار القنوات الفضائية في العالم العربي في العقدين الأخيرين تشكل وبحقّ أحد أكبر وأخطر التحولات في البنية السوسيو– ثقافية في العالم العربي، بما صاحب هذه الثورة من تحولات في مستوى الوعي السياسي والثقافي لدى المواطن العربي، حيث شكلت الأفلام الوثائقية إحدى اللّبنات التي ساهمت في بناء وعي وإدراك المواطن العربي لحقيقة الكثير من القضايا السياسية والثقافية والدينية. من هنا تكتسي هذه الدراسة أهميتها لأنها تسلط الضوء على دور وأهمية الفيلم الوثائقي العربي في تنوير فكر وعقل المواطن العربي تجاه العديد من قضاياه الحساسة والخطيرة.

ج/ شكّل الفيلم الوثائقي العربي بشكله الحالي قفزة نوعية في مسار تطور الفيلم التسجيلي والوثائقي في العالم العربي الذي عرَف بدايات متواضعة ومتعثرة، حيث لم يكن يحظى بالمتابعة والاهتمام إلاّ في أوساط النخبة. وجاءت القنوات الفضائية، في شكلها الإخباري والوثائقي لكي تقدم نموذجا متطورا لفيلم وثائقي عربي يمتاز بالجودة الفنية والتقنية ونوعية المضمون، مما رشّح الفيلم الوثائقي العربي إلى مستوى المنافسة العالمية، وفتحَ المجال واسعا لسوق ومجال جديدين ومهمين، وهما: إنتاج الفيلم الوثائقي العربي وتوزيعه. من هنا تكتسي هذه الدراسة أهميتها في تبيان تطور ونضج صناعة الأفلام الوثائقية في العالم العربي. تكتسي هذه الدراسة أيضا، أهميتها من أهمية الفيلم الوثائقي، الذي تنبع الحاجة إليه من الرغبة في التعرف على الظواهر المجتمعية بشكل أكثر واقعية وموضوعية وضوحا، وذلك لأن المشاهد أو المتـــلقي وأثناء رؤيته العادية للواقع تغيب عنه أو لا يستطيع إدراك الكثير من التفاصيل والأبعاد المهمة والمؤثرة، بسبب تداخل تفاصيلها بشكل متعدد، واحتمال افتقاده للخلفية الثقافية والمعرفية التي تساعده على إدراك هذه الأبعاد. من هنا تبرز أهمية الفيلم الوثائقي، وصانعه، في تقديم هذا الواقع بشكل أوضح وأكثر تأثيرا.

3. أهداف الدراسة

أ/ رصد وتحليل مدى قدرة الإعلام العربي والقنوات الفضائية خاصة والأفلام الوثائقية على وجه التحديد على تناول موضوع إشكالي وجدلي مثل موضوع الجماعات الدينية بشكل موضوعي ومتزن ومتوازن.

ب/ رصد وتحليل قدرة صانع الفيلم الوثائقي العربي على التحرُّر أولا من الأجندة والإطار الذي وضعه وقدمه صانع الأفلام الغربية للجماعات الدينية، وتقديم رؤية عربية مستقلة، وموضوعية. ثانيا تمتاز بنفس مستوى جودة المنتج الغربي من الناحية التقنية والفنية.

ج/ رصد وتحليل مدى قدرة الفيلم الوثائقي العربي على الغوص في أبعاد ظاهرة الجماعات الدينية وذلك من خلال تقسيم مستويات الفهم والتحليل والدراسة لهذه لظاهرة إلى مستويات متباينة ومتمايزة تبدأ بالمستوى الإعلامي ولا تنتهي عند المستوى الثقافي؛ أي قدرة الفيلم الوثائقي العربي على تفكيك كافة أبعاد وتفاصيل موضوع الجماعات الدينية.

د/ محاولة معرفة على قدر الإمكان اتجاه صانع الفيلم من ظاهرة الحركات الدينية.

هـ/ محاولة معرفة أهم المصادر الإعلامية المعتمدة في معالجة ظاهرة الحركات الدينية.

و/ تبيان أهمية ودور الفيلم الوثائقي العربي في تقديم الدين الإسلامي بشكله الصحيح والصحّي بعيدا عن أي تطرف أو غلوّ، الذي تمارسه بعض الجماعات المحسوبة على الإسلام، أو من خلال التزييف والتضليل الذي تمارسه بعض وسائل الإعلام الغربية.

ز/ محاولة التعرف على أهم الأشكال الإعلامية المصاحبة في معالجة ظاهرة الحركات الدينية.

4. أسباب اختيار الموضوع

أ/ بات الإعلام والقنوات الفضائية يؤثران في حياة المواطن العربي بشكل مباشر من خلال، منظومة القيم والأفكار التي تقدمها هذه القنوات، أو من خلال تنوع الوسائل والأدوات التي تقدم بها هذا المضمون الإعلامي، ويعتبر الفيلم الوثائقي أحدث وأخطر هذه الوسائل، لهذا السبب كان من الضروري دراسة وتتبع هذه المادة الإعلامية حديثة النشأة في العلم العربي.

ب/ تندُر الدراسات التي حاولت رصد مفهوم الجماعات الدينية من خلال المادة الوثائقية التلفزيونية، فأغلبها مجرّد تحاليل لمضامين الكتب والجرائد بنوعيها الورقية منها، والإلكترونية، التي انبرت لدراسة موضوع الجماعات الدينية. لكن قليلة هي الدراسات التي حاولت رصدَ هذا المفهوم من خلال المضمون الإعلامي التلفزيوني، وتحديدا من خلال الأفلام الوثائقية.

ج/ أغلب الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الجماعات الدينية من الزاوية الإعلامية كانت تركز على الجانب الإعلامي والاتصالي، أي أنها ترصد الصدى والتأثير الذي يلقاه هذا المفهوم لدى الجمهور، لكنها لا تتعمق في مستويات أخرى لهذا الموضوع، والتي منها تلك التي تعنىُ بالجانب السوسيو- ثقافي للجماعات الدينية. ولهذا السبب جاءت هذه الدراسة لتركز أكثر على هذه الجوانب التي قد تكون أكثر تأثيرا وأهمية في تشكيل الجماعات الدينية.

د/ جمود وجفاف طبيعة المادة الإعلامية الموجودة في الأفلام الوثائقية تجعل قطاعا واسعا من الجمهور ينأى بنفسه عن مشاهده ومتابعة هذه الأفلام، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعيد تفكيك وتقديم هذه المادة الإعلامية بشكل يجعل مشاهدتها في المستقبل أمرا أكثر يسرا ومتعة.

5. مفاهيم الدراسة

يشكل تحديد المفاهيم في أي دراسة سوسيولوجية خطوة هامة، يهدف الباحث من ورائها إلى توضيح المقصود بتلك المفاهيم حتى لا يلتبس الفهم لدى القارئ حولها، كما يسهل تحديد تلك المفاهيم على الباحث تبيان الحدود التي عليه الالتزام بها في دراسته. حتى لا يتعدى بحثه إلى جوانب لا تهمه. وفي دراستنا هذه سيتم تناول المفاهيم الرئيسة وهي:

5. 1. مفهوم الجماعة الدينية

تجدر الإشارة إلى وجود تداخل كبير في استعمال العديد من المفاهيم السوسيولوجية القريبة من مفهوم الجماعة الدينية، وخاصة مفهوم الطائفة، وعموما يمكن القول بأن اصطلاح الجماعة أو الطائفة الدينية يستعمل بكثرة من قبل علماء الاجتماع ويعنُون به "نوعا من المنظمات الدينية". والجماعة أو الطائفة أو المِلّة تخضع لمذهب ديني تدافع عنه الكنيسة أو المسجد أو.. والطوائف تمثل الشيع والجماعات التي تعتقد بأفكار دينية قد تختلف عن الأفكار التي يعتقد بها الدين الأصلي خصوصا وقت نشأته. والعضوية في هذه الجماعات مفتوحة للجميع، والجماعة الواحدة عادة لا تتدخل في شؤون الجماعات الأخرى، وكل جماعة تدعي بأن أفكارها ومعتقداتها الدينية أقوم وأصحّ من أفكار ومعتقدات الجماعات الأخرى، وأنها الجماعة الوحيدة التي تمثل المجتمع بأكمله. ويتشابه أفراد الجماعة الواحدة خصوصا في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وإيديولوجيتهم الحياتية. [1]

المفهوم الإجرائي للجماعة الدينية: في هذه الدراسة نعني بالجماعة الدينية: "هي تلك الجماعة التي تنتمي إلى دين سماوي كالإسلام أو المسيحية أو إلى دين غير سماوي كالبوذية أو الهندوسية..، وتكتسي أهمية داخل المجتمع وتدخل في علاقات مع الجماعات الدينية الأخرى ومع السلطة داخل المجتمع المتواجدة فيه".

5. 2. مفهوم الفيلم الوثائقي

تجدر الإشارة إلى أن الفيلم الوثائقي يعني في الاصطلاح الفرنسي وثيقة عن المكان، أو الحدَث، أو الشخص الذي يتناوله، ولهذا، يفضل ترجمته إلى الفيلم الوثائقي، بدلا من الفيلم التسجيلي،-

[1] . دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع**، ترجمة: إحسان محمد الحسن، ط 2، دار الطليعة. بيروت، 1986. ص73.

وهذا ما سنعتمده في هذه الدراسة-. أما المفهوم الإنجليزي لهذا النوع من الأفلام الوثائقية، فلا يكتفي الفيلم بتسجيله الحقيقةَ وحدها، وإنما يضيف إليها الرأي أيضا. وقد أصدر الاتحاد الدولي للسينما الوثائقية في عام 1948، تعريفا شاملا للفيلم الوثائقي جاء فيه: "كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة، يعرض إما بوسائل التصوير المباشر، أو بإعادة بنائه بصدق، وذلك لتحفيز المشاهد على عمل شيء، أو لتوسيع مدارك المعرفة والفهم الإنساني أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد، أو الثقافة، أو العلاقات الإنسانية".[1]

فالفيلم الوثائقي يتفق كثيرا مع البحث العلمي في كثير من الخطوات حيث يقوم على فكرة محدودة، أو ما يمكن أن يطلق عليه مشكلة يحدد لها المخرج عنوانا يمثل اسم الفيلم ويخاطب العقل أساسا، ويعتمد في ذلك على تقديم المعلومات والبراهين والأدلة، وقد ينفذ بعد ذلك إلى العاطفة ويتسم بالوضوح والتوجه إلى جمهور مستهدف لتحقيق هدف محدد له بداية وله نهاية والتي قد تتمثل في طرح مزيد من الاستفسارات لأفلام أخرى. والسيناريو هو وصف الحركة السينمائية على الورق، فهو وثيقة مكتوبة بدقة، تصف المناظر منظرا مع تفاصيل الصوت المصاحب للفيلم، ويشمل السيناريو قسمين هما:

القسم الأول: الحركة والمَشاهد.

القسم الثاني: الكلام المصاحب للحركة والمَشاهد.[2]

المفهوم الإجرائي للفيلم الوثائقي: يقصد بالفيلم الوثائقي في هذه الدراسة: "هو ذلك الفيلم الوثائقي الذي يحمل عنوان نقطة ساخنة والذي تم تصويره وبثه على قناة الجزيرة الفضائية،[3] والذي تناول موضوع الجماعات الدينية."

---

[1]. أيمن عبد الحليم نصار، **إعداد البرامج الوثائقية**، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2007. ص. 44.

[2] .http://www.sdpfiq.com/?page=view&id=76&part=

[3] .Judith Laser, **La Science de la Communication** , Edition dahlab, Alger, 1992,p105.

6. مجال وحدود الدراسة

إن الحديث عن حدود البحث الخاصة بموضوع الدراسة، يقتضي بنا التطرق إلى المجال الذي يصنف في إطاره البحث، وصنف الباحث "لاسويل (H.Lassweell)" بحوث الاتصال الجماهيرية المعاصرة إلى خمس مجالات هي[1]:

المجال الأول: بحوث القائم بالاتصال وحراسة البوابة أو من قال؟

المجال الثاني: بحوث المضمون أو الرسالة، أو ماذا قيل؟

المجال الثالث: بحوث الوسيلة أو القناة، أو كيف قيل؟

المجال الرابع: بحوث الجمهور أو المستقبلين، أو لمن قيل؟

المجال الخامس: بحوث التأثير أو بأي تأثير على الفرد أو المجتمع؟

فتبعا لهذا التصنيف تتموقع دراستنا في المجال الثاني، أي بحوث المضمون أو الرسالة والتي تعني بالإجابة على السؤال: ماذا قيل في الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة عن ظاهرة الحركات الدينية.

7. الدراسات المشابهة

لا يمكن تجاهل الدراسات السابقة بالنسبة لأي بحث، فهي التي تسهل على الباحث خطوات كثيرة في بحثه وترشده إلى جوانب قد يغفل عنها أو يهملها. فهي تسمح بتكوين إطار أكثر ثراء من المعلومات تعين الباحث في تحديد المصطلحات والمفاهيم العلمية والإجرائية، كما تساهم في معرفة نقاط القوة والضعف والدروس المستفادة منها، فضلا عن أنها تُثري معرفة الباحث وتزيد في مجال توجيهه بإطلاعه على مناهج البحث فيها والأدوات المستخدمة وفروضها المصاغة ونتائجها المتوصل إليها فكل دراسة تبدأ من حيث انتهت إليه الدراسات الأخرى.[2]

1.7. الدراسة الأولى:

[1] .Judith Laser, **La Science de la Communication** , Edition dahlab, Alger, 1992,p105.

[2] .محمد شفيق، **البحث العلمي، مع تطبيقات في مجال العلوم الاجتماعية.** المكتب الجامعي الحديث. 2005.

حملت عنوان: معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية سلسلة "سري للغاية" بقناة الجزيرة أنموذجا-.[1] من إعداد الطالب: عاصم علي الجرادات. وهي دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على شهادة الماجستير في الإعلام. بجامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا بالأردن، بقسم الإعلام، في عام:2009. وانطلقت هذه الدراسة من السؤال التالي: ما أجندة الصراعات السياسية في الأفلام التسجيلية؟ ما الأسلوب الذي اتبعه سري للغاية في علاج الصراعات السياسية؟ هل توخت سري للغاية المصداقية والمهنية والموضوعية في طرح وعلاج الصراعات السياسية؟ ما هي مصادر المعلومات التي اعتمدت عليها سري للغاية التسجيلية؟ وما هي الأساليب الإقناعية المستخدمة في سري للغاية التسجيلية أثناء معالجة الصراعات السياسية؟

وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، تمحور الأول منها حول عرض الإطار العام للدراسة حيث تضمن طرح الإشكالية ومحدداتها، أهميتها وتحديد مفاهيمها. وخصص الفصل الثاني للإطار النظري وتم الحديث فيه عن المدخل النظري للدراسة بالإضافة للدراسات السابقة. أما الفصل الثالث فتعرض فيه الباحث للفيلم التسجيلي والصراع السياسي. في حين شمل الفصل الرابع التعرض لمنهجية الدراسة وإجراءاتها، حيث وضح فيه المنهج وعينة الدراسة ووحدة تحليل المضمون وفئاته، بالإضافة إلى التعريفات الإجرائية ونتائج تحليل المضمون. وفي الفصل الخامس قام الباحث بمناقشة النتائج التي توصل إليها كما قدم جملة من التوصيات.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

- حول الموضوعات المطروحة ضمن الصراع الذي تتناوله حلقات سري للغاية، وجد الباحث أن صانع الفيلم يتجه نحو الصراعات الغامضة كالصراع بين القاعدة وأمريكا وبين القاعدة والدول العربية، كما تعرض لموضوع الصراع العربي الإسرائيلي.

- وعن الأسلوب الذي اتبعه برنامج سري للغاية في معالجة الصراعات السياسية، فكانت المقابلات مع الأطراف السياسية والعسكرية والدينية والمحللين وشهود العيان هي الأسلوب السائد. كما احتل التعليق

[1]. عاصم علي الجرادات، **معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية-سلسلة "سري للغاية" بقناة الجزيرة أنموذجا**، دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على شهادة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، قسم الإعلام، في عام،2009.

من قبل الصانع مساحة هامة من زمن الحلقات مما يعكس حجم المعلومات التي يمتلكها، كما استخدم الوثائق المكتوبة والتسجيلات السرية.

– وفيما يتعلق بتوخي المصداقية والموضوعية والمهنية فقد توصل الباحث إلى أن الصانع لم يوفق كثيرا في تحقيق ذلك، حيث انحاز للطرف الفلسطيني مثلا على حساب الطرف الإسرائيلي من خلال عدم التوازن في عرض الشخصيات السياسية والعسكرية الممثلة لكل طرف. كما ظهر انحيازه لطرف دون الآخر من خلال المصطلحات المستخدمة وتكرارها في الحلقة كمصطلح الإرهاب والمقاومة مثلا.

كما رأى الباحث أن الصانع اقترب من المصداقية عن طريق المقابلات التي أجراها مع طرفي الصراع، والوثائق المكتوبة التي عرضها على الشاشة.

– تعددت مصادر المعلومات بالنسبة لبرنامج "سري للغاية" إلا أن هناك سيطرة للخبير من محلل سياسي أو عسكري أو إعلامي. مع وجود متواضع لشهود العيان والمصادر السرية خاصة التسجيلات السرية.

– وعن الأساليب الإقناعية المستخدمة فقد قسمها الباحث إلى قسمين: الأول يتعلق بالمضمون حيث قدم الرأيين المتعارضين بحكم نوعية الجمهور المخاطب بهذا البرنامج وهو الجمهور الواعي والمثقف. أما من حيث الشكل فكان الاعتماد على إجراء مقابلات من مواقع الأحداث، إضافة إلى عرض الوثائق المكتوبة على الشاشة، وكل هذه الأساليب كان لها دور كبير في العملية الإقناعية.

تكمن أهمية هذه الدراسة بالنسبة لدراستنا في كونها تهتم بالكيفية التي عالج بها الفيلم الوثائقي الموضوع محل الدراسة، وهي نقطة الالتقاء بينهما، حيث تهتم كلا الدراستين بالفيلم الوثائقي وجملة الفئات التي تركز على طريقة تناول صانع الفيلم الوثائقي للموضوع المدروس. كفئة الموضوع والمصدر والفاعل، والأشكال الإعلامية..وتختلف كلا الدراستين عن بعضهما من حيث الموضوع، المعالج حيث تركز دراستنا على موضوع الجماعات الدينية في حين تركز الدراسة الأخرى على موضوع الصراعات السياسية.

7. 2. الدراسة الثانية:

وهي دراسة بعنوان تغطية التقارير الإخبارية التلفزيونية للإرهاب: أحداث الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وحرب الولايات المتحدة الأمريكية في أفغانستان على القناة الأولى وقناة النيل

للأخبار وقناة الجزيرة القطرية، قام بها "عبد العظيم" عام 2002، على عينة من النشرات الإخبارية المذاعة لمدة خمسة عشرة يوما، في الفترة الممتدة بين: 2001/11/1 و2001/11/15. على القناة الأولى وقناة النيل للأخبار وقناة الجزيرة القطرية. وبعد تحليل مضمون العينة توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

– تشغل التقارير عن الحرب الأمريكية في أفغانستان مساحة أكثر على القنوات الثلاث من مساحة تناول قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

– تهتم القناة الأولى وقناة النيل للأخبار بإبراز القضية الفلسطينية بشكل أكبر من اهتمامها بالحرب على أفغانستان، بينما نالت الحرب الأفغانية في قناة الجزيرة القطرية اهتماما من حيث: عدد التقارير المقدمة ومتوسط عدد الدقائق التي المخصصة للتقارير، التي تغطي أحداث الحرب، وترتيب ورودها داخل النشرة أو التنويه عنها.

– أن نسبة الشخصيات التي الأمريكية والبريطانية كانت أكبر من نسبة الشخصيات في كل من القناة الأولى وقناة النيل للأخبار بنسبة (35.3) بالمائة، و(23.5) بالمائة على التوالي، بينما اهتمت الجزيرة بإظهار الشخصيات الأفغانية بنسبة (23.3) بالمائة.

8. النظرية المؤطّرة للدراسة:

تهتم هذه الدراسة في الأساس بالمعالجة الإعلامية التي تم اعتمادها في تناول قضية الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية، من حيث المضمون والأساليب المعتمدة في إيصال المعلومات وإقناع الجمهور المتلقي. لذلك تعتمد الدراسة على نظرية حارس البوابة في دراسة القائم بالاتصال وهو صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة، أي القائم بإعداد وإنتاج وإخراج ذلك الفيلم الوثائقي وهو "أسعد طه"، من خلال تحليل المادة الإعلامية التي يتضمنها ذلك الفيلم والوقوف على أهم الرسائل التي يريد الصانع إيصالها للمتلقين ووفق أية إستراتيجيات وأساليب إقناعية.[1]

ويرجع الفضل لعالم النفس النمساوي الأصل والأمريكي الجنسية "كيرت ليوين" (kurt lewin)، في تطوير ما أصبح يعرف بنظرية البوابة الإعلامية gatkeeper ، وتعتبر دراسات

[1]. محمد جاسم فلحي موسوي، **نظريات الاتصال والإعلام الجماهيري**،
http://www.ao-academy.org/wesima_articles/library-20060523-456.html

"لوين" من أفضل الدراسات المنهجية في مجال القائم بالاتصال، حيث يرى أنه على طول الرحلة التي تقطعها المادة الإعلامية، حتى تصل إلى الجمهور المستهدف توجد نقاط (بوابات) يتم فيها اتخاذ قرارات بما يدخل وما يخرج.[1]

ولابد من الإشارة عند تحديد تأثير الرسالة الإعلامية، بأن القائم بالاتصال لا يقل أهمية عن مضمون الرسالة. ويرجع الفضل في تطوير ما أصبح يعرف بنظرية (حارس البوابة) الإعلامية إلى عالم النفس النمساوي الأصل، الأمريكي الجنسية (كرت لوين)، الذي تعتبر دراساته من أفضل الدراسات المنهجية في مجال حراسة البوابة .

يقول "لوين": أنه على طول الرحلة التي تقطعها المادة الإعلامية حتى تصل إلى الجمهور هناك نقاط أو (بوابات) يتم فيها اتخاذ قرارات بما يدخل وما يخرج، وأنه كلما طالت المراحل التي تقطعها الأخبار حتى تظهر في وسيلة الإعلام، ازدادت المواقع التي يصبح فيها متاحاً لسلطة فرد أو عدة أفراد تقرير ما إذا كانت الرسالة ستنتقل بنفس الشكل أو بعد إدخال بعض التغييرات عليها، لهذا يصبح نفوذ من يديرون هذه البوابات والقواعد التي تطبق عليها، والشخصيات التي تملك بحكم عملها سلطة التقرير، يصبح نفوذهم كبيرا في انتقال المعلومات. إن دراسة (حارس البوابة) هي في الواقع دراسة تجريبية ومنتظمة لسلوك أولئك الأفراد الذين يسيطرون في نقاط مختلفة، على مصير القصص الإخبارية.

ولكن من هم حراس البوابة GEET KEEPARS؟ إنهم الصحفيون الذين يقومون بجمع الأنباء، وهم مصادر الأنباء الذين يزودون الصحفيين بها، وهم أفراد الجمهور الذين يؤثرون على إدراك واهتمام أفراد آخرين من الجمهور للمواد الإعلامية، كل أولئك حراس بوابة، في نقطة ما، أو مرحلة ما من المراحل التي تقطعها الأنباء.

وتقوم نظرية (حارس البوابة) الإعلامية على القول بأن الرسالة تمر بمراحل عديدة، وهي تنتقل من المصدر حتى تصل إلى المتلقي، وتشبه هذه المراحل السلسلة المكونة من عدة حلقات، أي وفقا لاصطلاحات هذه النظرية فإن المعلومات في عملية الاتصال هي مجرد سلسلة تتصل حلقاتها.

ويجب أن نعرف كيف تعمل سلاسل الاتصال، وكيف تنتقل المعلومات في جميع أنحاء المجتمع، فمن الحقائق الأساسية التي أشار أليها العالم (كرت لوين) أن هناك، في كل حلقة، ضمن

[1]. حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، ط 6، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006، ص، 176.

السلسلة، فرد ما، يتمتع بالحق في أن يقرر ما إذا كانت الرسالة التي تلقاها، سينقلها أو لن ينقلها، وما إذا كانت تلك الرسالة ستصل إلى الحلقة التالية، بنفس الشكل الذي جاءت به، أم سيدخل عليها بعض التغييرات والتعديلات. وحراسة البوابة تعني السيطرة على مكان إستراتيجي في سلسلة الاتصال، بحيث تصبح لحارس البوابة سلطة اتخاذ القرار، فيما سيمر من خلال بوابته، وكيف سيمر، حتى يصل في النهاية إلى الوسيلة الإعلامية، ومنها إلى الجمهور.

ويقول "لوين" إن المعلومات تمر بمراحل مختلفة حتى تظهر من خلال وسائل الإعلام المختلفة ومنها الفيلم الوثائقي، وقد سمى "لوين" هذه المراحل (بوابات) وقال إن هذه البوابات تقوم بتنظيم كمية أو قدر المعلومات التي ستمر من خلالها، وقد أشار "لوين" إلى أن فهم وظيفة (البوابة) يعني فهم المؤثرات أو العوامل التي تتحكم في القرارات التي يصدرها (حارس البوابة)؛ بمعنى آخر، هناك مجموعة من حراس البوابة يقفون في جميع مراحل السلسلة التي يتم بمقتضاها نقل المعلومات، ويتمتع أولئك الحراس بالحق في أن يفتحوا البوابة أو يغلقونها أمام أي رسالة تأتي إليهم، كما أن من حقهم إجراء تعديلات على الرسالة التي ستمر، وحينما تطول السلسلة، نجد أن بعض المعلومات التي تخرج من نهايتها لا تشبه المعلومات التي دخلتها في البداية، إلا في نواح قليلة.

من الواضح أن حارس البوابة الذي يقول (نعم) أو (لا) بشأن الرسائل التي تصله، على طول السلسلة، يلعب دورا مهما في الاتصال الاجتماعي، وبعض حراس البوابة أهم من غيرهم، فنجد أن نسبة كبيرة جدا من السلاسل تركز الضوء على بعض الأفراد في المجتمع، ممن يمكن أن يكون لهم (نفوذ) أو (قادة الرأي) أو (الصفوة) الذين يتميزون عن الآخرين بأنهم يقرأون أكثر ويطلعون على وسائل الإعلام أكثر، ولهم اتصالات شخصية أوسع من الآخرين، وهو أمر له أهمية خاصة لأن هؤلاء الأفراد يتمتعون باحترام كبير، (ويعتبر أولئك الأفراد بدورهم حراس بوابة)، كذلك بالنسبة لقادة الرأي، فإن اتساع معرفتهم وتنمية قدراتهم لها أهمية كبيرة، لأن لهم دورا مهما في تحديد ما يعرفه الرأي العـــــــام.[1]

فصانع الفيلم الوثائقي يمثل حارسا لبوابة ذلك الفيلم حيث يحدد المضامين والشكل النهائي للفيلم الوثائقي.

[1]. محمد جاسم فلحي موسوي، **نظريات الاتصال والإعلام الجماهيري**،
.http://www.ao-academy.org/wesima_articles/library-20060523-456.html

ثانيا: منهـــــجيـــــة الـــدراســـــة

1.2. منهج الدراسة

تعتبر هذه الدراسة ذات طبيعة وصفية، والوصف هو استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر أخرى.[1] فهذه الدراسة تنطلق من الاهتمام بموضوع الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية، من خلال التركيز على طريقة تناولها، وتصنيف جزئياتها وترتيبها، لذلك كان الاعتماد على منهج من المناهج التابعة للمنهج الوصفي، وهو تحليل المضمون. ويعرف تحليل المضمون بأنه: "أداة أو أسلوب أو طريقة تستخدم في وصف وتحليل محتويات المصادر والمؤلفات والأقوال والأنباء والرسائل والأحداث وما إليها عن طريق تصنيف وتنظيم وترتيب للموضوع حسب وحدات تصنف على أساسها، ومن ثم يمكن التعبير عنها بصيغ يفضل أن تكون كمية. [2]

إن تحليل المضمون هو بلا شك طريقة للتحليل، وبالرغم من هذا هو طريقة للملاحظة. حيث يتلقى القائم بالاتصال مادة الاتصال التي أنتجها هؤلاء الناس. كما يطرح عددا من الأسئلة الخاصة بهذه المادة. إن تحليل المحتوى طريقة لدراسة وتحليل مواد الاتصال في أسلوب منظم وموضوعي، وكمي بهدف قياس المتغيرات.[3]

ويهدف تحليل المحتوى في هذه الدراسة إلى الوصف الموضوعي لمادة الاتصال المتعلقة بالجماعات الدينية. والوصف هنا يعني تفسير الظاهرة كما تقع، وفي ضوء القوانين التي تمكننا من التنبؤ بها. إن على الباحث هنا أن يقتصر على تصنيف المادة التي يحللها إلى فئات مسجلا لكل فئة خصائصها، مستخرجا السمات العامة التي تتميز بها. ومتهيئا من هذا بتفسير موضوعي دقيق لمضمونها. والوصف هنا، بقدر ما هو سمة من سمات.

---

[1]. رحيم يونس كرو العزاوي، **مقدمة في البحث العلمي**. دار دجلة. عمان الأردن، 2008، ص. 76.

[2]. عامر مصباح: **منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008، ص 98.

[3]. رشدي أحمد طعيمة، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004. ص،ص.69،74.

2.2. مجتمع الدراسة وعينتها

إن تحديد المجال المكاني لأي دراسة ليس بالأمر الهين لأنه يرتبط بباقي عناصر الموضوع، واختيار البرنامج الذي سوف يكون مجالا لدراستنا لم يكن واضحا من البداية لتعدد البرامج من جهة وعدم تخصصها في الجماعات الدينية من جهة أخرى. فكان هناك مثلا برنامج "سري للغاية" لصاحبه يسري فودة، وهو برنامج متخصص في الصراعات السياسية عموما، والذي وقع عليه اختيارنا في البداية لكونه تناول العديد من المواضيع ذات الصلة بموضوعنا، ولكن وبعد البحث والتمحيص ارتأينا أن يكون برنامج نقطة ساخنة هو مجال الدراسة بالنسبة لنا على اعتبار أنه أكثر تركيزا على موضوع الجماعات الدينية، بالنظر إلى عدد الحلقات أو طريقة التناول التي كانت أكثر شمولا وتركيزا على الجوانب التي تهم دراستنا. تعني عينة الدراسة تحديد مجتمع البحث ومادة الاتصال المراد تحليلها، وبحكم ارتباط العينة (بمجتمع البحث الأصلي وحدود الدراسة الموضوعة سلفا)، وانطلاقا من اهتمام دراستنا بالبرامج الوثائقية التي تناولت الجماعات الدينية، كان مجال البحث واسعا وغير محدد لعدم إمكانية حصر جميع الأفلام الوثائقية العربية التي تناولت الجماعات الدينية، لذلك ارتأينا اختيار واحد من أشهر هذه البرامج وأوسعها مشاهدة وهو برنامج "نقطة ساخنة". ويبلغ عدد حلقات هذا البرنامج الوثائقي "نقطة ساخنة" 53 حلقة، خصصت منها 11 حلقة للجماعات الدينية وهي الحلقات التي تم اختيار عينة البحث من ضمنها في هذه الدراسة. وتضم الحلقات التالية: الجماعة الشيعية (حزب الله)، الجماعة الأصولية الهندوسية، الجماعة الصوفية بالسنغال، الجماعة البوذية بالتبت، الجماعات الدينية في المغرب، الجماعات الدينية في أندونيسيا.

وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من السهل أن يحصي أي باحث كافة الحلقات التي بثت من البرنامج المختار. ففي الكثير من الدراسات المشابهة توصل الباحثون ومنهم "Stemple" إلى أن اختيار مجموعة من الحلقات (وتحديدا ستة) يكفي لتعميم النتائج. وهوما تم الاعتماد عليه في دراستنا. ويمكن أن نذكر أنه في إحدى الدراسات تم اختيار اثنتا عشرة عددا بالنسبة لكل صحيفة بالنظر لما توصل إليه بعض الباحثين الذين قاموا بإخضاع فئة موضوع واحد في صحيفة واحدة لمدة سنة كاملة للاختبار، كما قاموا بسحب عشر عينات بحجم (6-12-18-24-48) وتمت مقارنة النتائج بنتائج

السنة بأكملها، ثم تمت مقارنة مجاميع العينات ببعضها، وقد بينت النتائج أن زيادة حجم العينة المفردة إلى 12 وأكثر لا يؤدي إلى إحداث فروقات واضحة في النتائج. [1]

ومنذ أن نشرت هذه الدراسة التي قام بها ستمبل (Stemple) استخدم عدد من الباحثين العينات الصغيرة في دراسات تحليل المحتوى، فقد درس "هاتشن"(Hachen) صحف الأحد خلال الفترة من سنة (1939) إلى سنة (1959) واكتفى بثلاثة أعداد من كل سنة من سنوات الدراسة، معللا ذلك بأنه إذا كان اختيار إثنا عشرة عددا يعتبر كافيا بالنسبة إلى 312 عددا في السنة فإن ثلاثة أعداد كافية اثنين وخمسين عددا أسبوعيا.[2]

وانطلاقا مما سبق فقد وقع اختيار الباحث في هاته الدراسة على ست (6) حلقات تتناول جماعات دينية متنوعة من برنامج نقطة ساخنة، كما سبقت الإشارة إليه. لأن هذا العدد كاف للوصول إلى نتائج قابلة للتعميم على باقي الحلقات حسب "ستمبل".

أما عن نوع العينة فقد تم اختيار الحلقات بطريقة عمدية وهذا راجع لسببين هما:

- ✓ ارتباطها الوثيق مع إشكالية الدراسة.
- ✓ ارتباطها بالإطار النظري للدراسة.

3.2. الإطار الزمني للدراسة

أي الفترة الزمنية التي يقوم فيها الباحث بجمع البيانات من الميدان. وقد امتدت فترة دراستنا – بشقيها النظري والميداني– من بداية شهر جويلية 2010 واستمرت حتى شهر فيفري 2010، حيث كانت البداية مع جمع المراجع حول الموضوع بمتغيريه: الجماعات الدينية والأفلام الوثائقية، ثم كان الاهتمام باختيار مجال الدراسة الميدانية التحليلية حيث تم الاستقرار على برنامج الأفلام الوثائقية: نقطة ساخنة. أين عملنا على الحصول على كل الحلقات التي تم إنتاجها في إطار البرنامج وذلك عن طريق الاتصال بمخرج ومقدم البرنامج السيد: أسعد طه، والذي قام بإرسال مجموع الحلقات لنا، نظرا لصعوبة الحصول عليها بطرق أخرى بشكلها الكامل. لنقوم بعد ذلك باختيار الحلقات التي ستكون

---

[1]. ريتشارد بن وآخرون، **تحليل مضمون الإعلام المنهج والتطبيقات العربية**، ترجمة: محمد ناجي الجوهر، مديرية المكتبات والوثائق، الوطنية، 1992، ص ص. 40-41.

[2]محمد عبد الحميد: **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، دار الشروق، جدة، 1983، ص 96.

موضوع دراستنا. وبعد الانتهاء من الفصول النظرية للدراسة في شهر نوفمبر لقلة المراجع حول الموضوع، تم البدء في تحليل مضمون الحلقات حول الجماعات الدينية وقد استمرت العملية حتى شهر فيفري.

4.2. تحديد فئات التحليل ووحدات التحليل

لتحليل المحتوى ثلاث مراحل رئيسية من خلالها يتحول المحتوى الإعلامي إلى وحدات قابلة للعد والقياس وهو ما يسمى بعملية الترميز، التي تتضمن الخطوات التالية:

- ✓ تصنيف المحتوى وتحديد فئاته.
- ✓ تحديد وحدات التحليل.

تصميم استمارة تحليل البيانات (الفئات ووحدات التحليل والبيانات الأولية حول المادة الإعلامية)، ليلي ذلك عملية العد والقياس لتقييم الوحدات المختارة وتقرير النتائج. [1]

ويتميز منهج تحليل المحتوى بتعدد فئات ووحدات التحليل، والتي تعتبر كأدوات دراسة أساسية لهذا المنهج. لذلك فالباحث أثناء اختياره لمنهج تحليل المحتوى يكون مخيرا بين عدة وحدات وفئات، ليختار ما يناسب دراسته منها وفق ما تفرضه عليه طبيعة موضوعه والأهداف التي يرغب في الوصول إليها. ونجاح تحليل المحتوى يعتمد على عدة عوامل من أهمها التحديد الدقيق لفئات التحليل، وتستخدم الفئات للوصف الموضوعي لمضمون مادة الاتصال.[2]

2. 4. 1. فئات التحليل

وتعرف الفئات بأنها: "مجموعة من التصنيفات التي يقوم بإعدادها الباحث وفقا لنوعية المادة الاتصالية ومحتواها وهدف البحث، والإطار النظري، فيقوم الباحث بإجراء هذا التصنيف لمحاور وموضوعات المادة الاتصالية الرئيسية ليتم تصنيفه بدوره إلى موضوعات فرعية، والتي يتم تصنيفها إلى موضوعات فرعية جدا".[3]

2. 4. 2. وحدات التحليل

وحدات التحليل لمنهج تحليل المحتوى عديدة ويُعتمد عليها في تحليل الخطاب الإنساني في البحوث الاجتماعية. وتعني وحدة التحليل: "الوحدة التي ستعطي درجة والتي قد تكون كلمة أو جملة أو

---

[1]. محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**. عالم الكتب.مصر.2004، ص ص، 111–112.

[2]. رشدي أحمد طعيمة، مرجع سابق، ص، ص. 277، 299.

[3]. عامر مصباح، مرجع سابق، ص، 103.

فقرة أو عمود أو مقال أو موضوع أو فكرة شخصية..كما قد يكون سنتمترا من المساحة التي تشغلها الرسالة الاتصالية، أو دقيقة من زمن الإرسال الإذاعي أو التلفزيوني"؟.[1]

وفي هذه الدراسة سيتم الاعتماد على وحدة الفكرة.

الفكرة: هي الفكرة التي تدور حول مشكلة ما أو ظاهرة ما، أو الموضوع باعتباره أهم وحدات هذا الأسلوب في الدراسات السوسيو-إعلامية. وفي دراستنا يتم تحليل فكرة الجماعات الدينية في الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة[2].

1.4.2 . تحديد الفئات الخاصة بالمضمون

وتسمى كذلك بفئات محتوى الاتصال، ويدور هذا النوع الأول من الفئات الرئيسية حول محتوى مادة الاتصال أو المعاني التي تنقلها في شكل سؤال هو: ماذا كتب أو ماذا قيل؟ وتضم العديد من الفئات وفي دراستنا هذه سيقتصر الاعتماد على أربع فئات هي:

أ. فئة موضوع الاتصال:

ولعل هذه الفئة أكثر الفئات عمومية في دراسات تحليل المضمون وهي تجيب على السؤال المبدئي على ماذا تدور مادة الاتصال؟ وهذا السؤال الأساسي الذي هو أول ما يثيره الباحث وهو بصدد عملية التحليل وذلك لتحديد مدى التأكيد الذي يعطى لجوانب معينة في مادة الاتصال.[3]

وتتمثل فئات الموضوع في ست فئات :

- **الفئة الفرعية الأولى: حزب الله**

تحت الفرعية:

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة اللبنانية.
- ✓ العلاقة مع العدو الإسرائيلي.

---

[1]. المرجع السابق ، ص، 100.
[2]. المرجع السابق ، ص، 101.
[3]. علي عبد الرازق جلبي وآخرون، **البحث العلمي الاجتماعي: لغته ومداخله ومناهجه وطرائقه**. مصر. دار المعرفة الجامعية.2003.، ص 202.

- **الفئة الفرعية الثانية: أندونيسيا بين الحركات الإسلامية**

تحت الفرعية1: جماعة نهضة العلماء

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة الأندونوسية.

تحت الفرعية2: الجمعية المحمدية

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة الأندونوسية.

تحت الفرعية 3: الجماعات الإسلامية المسلحة

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة الأندونوسية.

- **الفئة الفرعية الثالثة:الأصولية الهندوسية**

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع الجماعة الإسلامية.
- ✓ العلاقة مع السلطة الهندية.

- **الفئة الفرعية الرابعة:الجماعة البوذية**

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة الصينية.

- **الفئة الفرعية الخامسة: الحركات الدينية في المغرب**

تحت الفرعية1: جماعة العدل والإحسان

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية.
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة المغربية.
- ✓ العلاقة مع الجماعات الإسلامية الأخرى.

تحت الفرعية2: حركة التوحيد والإصلاح

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة المغربية.

تحت الفرعية3: حزب العدالة والتنمية

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة المغربية.

تحت الفرعية4: الجماعات الإسلامية المسلحة

- ✓ الخصوصية الثقافية والاجتماعية
- ✓ المرجعية الإيديولوجية.
- ✓ العلاقة مع السلطة المغربية.

- **الفئة الفرعية السادسة: السنغال بين العلمانية والصوفية**

تحت الفرعية:

الخصوصية الثقافية والاجتماعية

المرجعية الإيديولوجية.

العلاقة مع السلطة السنغالية.

العلاقة مع العلمانيين.

ب. فئات السمات:

وتشمل هذه الفئة السمات الشخصية للأفراد من السن والجنس والمهنة وبعض الخصائص السيكولوجية، وقد يبدو لأول وهلة أن هذه الفئة من فئات تحليل المضمون لا يمكن تطبيقها إلا على الأفراد، إلا أنه يمكن في الواقع تطبيقها على النظم والسياسات، في أي نظام اجتماعي كالأسرة أو الزواج لمجتمع معين في زمن معين يمكن بتطبيق هذه الفئة رصد سماته على وجه التحديد، فنظام الزواج عند المسلمين مثلا يختلف عند المسيحيين إذ لكل منهما سماته الخاصة.[1]

وفي هذه سيتم الاهتمام بالسمات المميزة للشخصيات المنتمية للجماعات الدينية.

تحت الفرعية:

- ✓ إرهابيون.
- ✓ شهداء.
- ✓ مجاهدون.
- ✓ مقاومون.
- ✓ رهبان.
- ✓ يؤمنون بالخرافات.
- ✓ متطرفون.

ج . فئة المصدر:

ويقصد بها تحديد الشخص أو الجماعة التي تساق التعبيرات على لسانها وتظهر فائدة تطبيق هذه الفئة من فئات تحليل المضمون في تحليل الموضوعات الخلافية التي يثور بشأنها الجدل، والتي يتعصب كل فريق فيها لرأيه أو يدافع فيها عن أيديولوجية معينة.[2] (علي عبد الرازق جلبي وآخرون: 2003، ص ص. 204-205). انطلاقا من التعرف على مضامين الحلقات فقد تم وضع فئات المصدر التالية:

تحت الفرعية:

- ✓ باحثين وأكاديميين.

[1]. زيدان عبد الباقي قواعد **البحث الاجتماعي**، ط2، القاهرة. المكتبة الحديثة.1974، ص 292.

[2]. علي عبد الرازق جلبي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 204-205.

- ✓ أعضاء من الجماعات الدينية.
- ✓ رجال دين.
- ✓ إعلاميين.
- ✓ سياسيين تابعين للسلطة.
- ✓ مصادر مجهولة.

د. فئة اتجاه محتوى الاتصال: تدور هذه الفئة حول رأي صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة،– والقناة التي أنتجت هذا الفيلم– في موضوع الاتصال الذي صنعه، هل هو مؤيد أو معارض أو محايد، من خلال محتوى الفيلم الوثائقي حول الجماعات الدينية المختلفة.

2.4.2. تحديد الفئات الخاصة بالشكل (فئات كيف قيل)

- ➢ **فئات شكل الاتصال:** ويدور هذا النوع الثاني من الفئات الرئيسية حول الشكل الذي قدم فيه المحتوى أو المضمون وهي تصاغ في شكل سؤال هو: كيف كتب أو قيل؟ ويمكن تقسيمها إلى عدة فئات هي الأخرى لكن في دراستنا سنعتمد على فئة واحدة هي:

1.فئة شكل ونوع الاتصال: وتتناول التقسيم على أساس فنون الكتابة الإعلامية أو فنون العرض والتقديم لمحتوى الموضوعات المختلفة وكذلك استخدام العبارات التي تعبر عن الآمال والأعمال، أو التعريف والتفضيل، أو الحقائق والأماني، أو الاستشهاد بالماضي أو الحاضر.[1]

وكذلك مثل تحليل برامج التلفزيون إلى موسيقى، أخبار ودراما وأحاديث...وقد يبدو أن هذه الفئة كبيرة إلى حد ما لكنها أساسية حيث تصلح كإطار لعدد من التقسيمات الفرعية الداخلية.[2]

وفي هذه الدراسة تتمثل الأشكال الإعلامية في الأشكال التالية:

---

[1]. محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، مرجع سابق، ص 232.

[2]. عبد الله محمد عبد الرحمان، محمد علي البدوي، **مناهج وطرق البحث الاجتماعي**. دار المعرفة الجامعية. مصر.2002، ص 334.

- ✓ مقابلة.
- ✓ مواد أرشيفية مصورة.
- ✓ صور.
- ✓ وثائق مكتوبة.
- ✓ تصوير المواقع.
- ✓ تسجيل صوتي.
- ✓ مقاطع موسيقية.

5.2. أساليب الدراسة وأدواتها

إن الشائع حول أدوات البحث العلمي هو أنها تلك الوسائل المختلفة التي يستخدمها الباحث في جمع المعلومات والبيانات المستهدفة في البحث.

ويعتبر المحتوى مجموعة من الوحدات اللغوية التي يختارها المصدر بعناية للتعبير عن الأفكار والمعاني، هذه الوحدات هي المستهدفة بعملية التحليل عن طريق جملة من الأدوات والأساليب.

1.5.2. أسلوب العد والقياس

هناك أربع طرق للعد في تحليل المحتوى: أولاها اكتشاف ما إذا كانت الفئات أو الوحدات موجودة أو غير موجودة في المحتوى، وثانيها التكرار الذي تظهر به الفئات أو الوحدات المختارة وثالثها توقيت بث الفئات، أما رابعها فهي قياس درجة الشدة التي تظهر بها الفئات، وتطبيق هذه الطرق في العد يقتضي وحدة العد، (ريتشارد بن وآخرون: 1992، ص. 183)، وفي دراستنا هذه وبما أن وحدة العد هي فئات المحتوى فإن رصد التكرار هو الأسلوب المناسب للعد، عن طريق رصد تكرار ظهور الفئات الخاصة بالموضوع أو السمات أو الفاعل أو المخاطبين أو المصدر أو ظهور إحدى وحدات التحليل المختارة كالكلمة أو الجملة أو الفقرة، وبما أن بناء المحتوى يبدأ بالفكرة ثم يتم اختيار الوحدات اللغوية للتعبير عنها، فقد تم الأخذ بعين الاعتبار الفكرة الواردة سواء وردت في كلمة وكانت الكلمة صريحة عن المعنى المراد، أو وردت في جملة أو فقرة بحيث لا يتم فهم معنى الفكرة المراد توصيلها إلا من خلال قراءة الجملة أو الفقرة التي وردت بها.

أما إذا نتج عن عملية العد تباين في النتائج فإنه يتم استخدام مجالات القياس بهدف إيضاح هذا التباين واتخاذه كأساس للمقارنة، وقد تم استخدام نوعين من مستويات أو مجالات القياس في هذه الدراسة.

- **مستوى القياس الاسمي:** والمقصود به الملاحظة الكيفية لظهور فئات التحليل أو غيابها، كثرتها أو قلتها، وهي سمات يعبر عنها بالألفاظ والرموز التي تحمل في مفهومها التباين القائم بين الفئات والوحدات مثل: كثير، قليل، أعلى من، أقل من، متزايد، متناقص.
- **مستوى القياس الترتيبي:** الذي يقتضي وضع ترتيب لنتائج الرصد بحيث يوضح التباين في هذا الترتيب، فلمعرفة الاتجاه في المحتوى وإذا ما اتخذت الفكرة كوحدة للتحليل، فإن نتائج الرصد الكمي يمكن ترتيبها بحيث تشير إلى أسبقيات الاهتمام في موضوعات الاتجاه.[1] (ريتشارد بن وآخرون: 1992، ص. 187).

2.5.2. استمارة تحليل المحتوى

وعليه فمن أدوات هذه الدراسة هي استمارة تحليل المضمون وهي مجموعة مؤشرات يمكن عن طريقها استكشاف أبعاد موضوع الدراسة عن طريق الاستقصاء التجريبي أي إجراء بحث ميداني على مجموعة من حلقات الفيلم الوثائقي.

أما استمارة التحليل فتعد بمثابة إطار متكامل لرموز الكمية الخاصة بكل وثيقة من عينة وثائق التحليل وينبغي أن يصمم هيكلها العام بحيث تشمل الأقسام الآتية:[2]

- ✓ البيانات الأولية عن البرنامج.
- ✓ فئات التحليل.
- ✓ وحدات التحليل وهي نفسها وحدات العد في حالة استخدام التكرار كوسيلة للرصد والتسجيل.
- ✓ وحدات القياس، في حالة عدم الاعتماد على تكرار كوسيلة للعد والقياس، مثل قياس المساحة أو الزمن.

ملاحظات يسجل فيها الباحث البيانات الكيفية التي لا يسمح تصميم الاستمارة بتسجيلها تسجيلا كميا وتستخدم استمارة التحليل خلال عملية الملاحظة ورصد البيانات التي عليها العد، وتعتبر بعد ذلك الجداول التفريغية جزءا مكملا لاستمارة التحليل بحيث تختص الاستمارة الواحدة، لبرنامج واحد من

[1]. ريتشارد بن وآخرون، مرجع سابق، ص. 187.

[2]. محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، مرجع سابق، ص ص 234-335.

برامج التحليل في حين يفرغ الباحث في الجداول مجموعة البيانات الخاصة بمجموعة المعايير التي يتم تصنيف البرامج (الوثائق) على أساسها.

وعليه فقد تم تصميمها لفائدتها حيث توفر للباحث إطارا محددا لتسجيل المعلومات التي تفي بمتطلبات البحث، ويتم تصميمها لما يتفق وأغراض التحليل، وتعبر كميا عن رموز الوثيقة الواحدة التي تشمل فئات التصنيف ووحدات التحليل ووحدات القياس بالإضافة إلى البيانات الأولية عن وثيقة المحتوى.

وانطلاقا مما سبق فإن أول ما تبدأ به استمارة التحليل البيانات الأولية، وهي البيانات الخاصة بوثيقة التحليل مثل البث السنوي والشهري للعينة وعلى هذا الأساس تم وضع خمس مربعات.

5 4 3 2 1

1. البث السنوي للعينة ☐ ☐ ☐ ☐ ☐

ذلك لأنه قد تم اختيار خمس سنوات لدراسة ظاهرة الحركات الدينية من خلال برنامج نقطة ساخنة لقناة الجزيرة، لسنوات 1998 و1999 و2002 و2003 و2005.

9 8 7 6

1. البث الشهري للعينة ☐ ☐ ☐ ☐

تم وضع أربع خانات بعدد شهور السنة حيث وقع الاختيار على الأشهر الأربع من سنوات 2004 و2005 1998 و1999 و 2002 و2003 و2005 وهي جوان، جويلية، سبتمبر، أكتوبر.

10

3. تاريخ البث ☐

11

4. مدة البث ☐

البيانات الكمية: لما كانت فئات المضمون أربع فئات وهي فئة الموضوع والفاعل والمصدر والمخاطبين فقد تم وضع أربع خانات.

4 3 2 1

☐ ☐ ☐ ☐

الفئة الرئيسة الأولى المعبر عنها بالخانة رقم 1 تضم خمس فئات فرعية.

1/1	2/1	3/1	4/1	5/1

وفي حالة هذه الدراسة فإن وحدة العد هي الفئات التي تم اختيارها والتي تم تصنيف المحتوى على أساسها، وكل مربع يمثل تكرارا، وتكرار ظهور كل فئة يمثل بعدد معين تبعا لمستويات الاهتمام، وهكذا تكون فئات التحليل هي نفسها وحدات التحليل وهي الوحدات التي وقع عليها العد.

وفي الأخير ذيلت استمارة التحليل بمساحة كافية لتسجيل ملاحظات كيفية تفيد في تقرير النتائج وكشف الاستدلالات.

خلاصة:

لقد حاولنا من خلال هذا الفصل التعرض لموضوعين أساسيين وهما إشكالية الدراسة ثم الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية حيث تحدثنا في الأولى على المشكلة محل الدراسة وأهميتها وفرضيات الدراسة ثم تحدثنا في الثانية عن المنهج الذي أتبع في هذه الدراسة والعينة والأدوات التي تم الاستعانة بها لجمع البيانات وكذا الطرائق والأساليب التي اعتمد عليها الباحث في تحليل البيانات وتصنيفها.

الفـــصل الثانـي

الأفلام الوثائقية

تمهيد

أولا: مفهوم الأفلام الوثائقية، خصائصها ومميزاتها

ثانيا: تطور الأفلام الوثائقية، أهميتها وأنواعها

ثالثا: صناعة الأفلام الوثائقية وشروط نجاحها

رابعا: الفيلم الوثائقي في العالم العربي

خلاصة

تمهيد

سوف نحاول من خلال هذا الفصل أن نتحدث عن الأفلام الوثائقية وذلك من خلال سبع موضوعات أساسية حيث سنتناول أولا: مفهوم الأفلام الوثائقية ثم سنتناول ثانيا: خصائص ومميزات الأفلام الوثائقية، ثم سنتعرض ثالثا: إلى ظهور الفيلم الوثائقي وتطوره لنتحدث رابعا: على أهمية الأفلام الوثائقية، وخامسا: أنواعها، ثم سادسا سوف نتناول موضوع صناعة الأفلام الوثائقية وشروط نجاحها، وسابعا: سوف نتطرق إلى موضوع الفيلم الوثائقي في العالم العربي.

أولا: مفهوم الأفلام الوثائقية، خصائصها ومميزاتها

1. مفهوم الأفلام الوثائقية:

ربما، وجب في البداية إزالة بعض الالتباسات حول المصطلح ومفهومه والتي قد ينتج عنها بعض الارتباك.

وضع "جون جريرسون" أول تعريف للفيلم الوثائقي فوصفه بأنه: "المعالجة الخلاقة للحدث الواقعي". وحدد بعد ذلك القواعد الأساسية للسينما الوثائقية في ثلاث نقاط رئيسية فقال إنها:

- ✓ تستمد مادتها من واقع المكان.
- ✓ التفرقة بين الوصف والدراما.
- ✓ تنظيم المادة الواقعية بأسلوب حي.

أما المخرج الإنجليزي "بول روثا" فقد عرّف الفيلم الوثائقي بأنه: يعتمد على عدة عناصر أساسية لخصها في النقاط التالية:

- ✓ الفكرة بدلا من الحبكة الروائية.
- ✓ الأحداث الواقعية، والشخصيات الحقيقية، بدلا من الأحداث والشخصيات المتخيلة.
- ✓ التركيز الأساسي على العالم من حولنا.[1]

ويعرف الفيلم الوثائقي بأنه: "المعالجة الخلاقة للواقع"، فالدراما في الفيلم الوثائقي، هي: "عملية اكتشاف وتبني". بينما تكون الدراما في الفيلم الروائي معدة مسبقا من قبل الكاتب ثم تصل إلى الذروة، ومن ثمّة إلى الحلّ. والعالم المتخيل في الفيلم الوثائقي يمكن له أن يتجاوز الحقيقة أحيانا، بينما لا يمكن تجاوزها في الفيلم الوثائقي، لكن قدرة الفيلم الوثائقي على التزييف والتأثير على الرأي العام أقوى من قدرة الفيلم الروائي.[2]

---

[1]. محمد بغدادي، **الفيلم الوثائقي من الســـلطان إلى الإنســـــــان**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/2008122811156532855.html

[2] . http://kenanaonline.com/users/farouksulimantv/posts/10602

وقد قام بعض رواد السينما الوثائقية في مصر والعالم العربي بترجمة المصطلح الأجنبي "documentary film" إلى اللغة العربية بالفيلم التسجيلي.. في حين أن كلمة تسجيل في اللغة العربية تعني تدوين الشيء وتأكيده وتأريخه، وتقترن بمصطلح السجلات أو المحفوظات في دواوين الحكومة والتي تعنى بالوثائق الرسمية التي يجب حفظها لإثبات وقائع محددة مثل حجج ملكية العقارات وما شابه، بينما لجأ البعض الآخر إلى ترجمته بالمعني القاموسي، وهو الفيلم الوثائقي. ولا زالت الأدبيات النقدية السينمائية تتأرجح بين استخدام مصطلح الفيلم الوثائقي، والفيلم التسجيلي كمصطلحين مترادفين ودون تفرقة بينهما، بينما ظل المصطلح الأجنبي documentary film دون مرادف..بينما استخدم الأمريكان مصطلح non fiction بمعني الفيلم غير التمثيلي...وقد شاعت تنويعات أخرى على المصطلح مثل أفلام الحقيقة الذي تبناه "فيرتوف" أو السينما المباشرة الذي تبناه ريتشارد ليكوك أو السينما الحسية أو السينما العفوية...الخ. [1]

ويعدّ عام 1839 بحق بداية تقنية الميديا التي أصبح بإمكانها إعادة إنتاج الواقع بشكل تام وبرهنت على منافسة جادة مع فن الرسم، الذي بدأ يتحرر على أعتاب القرن العشرين من عقدة التطابق الشكلي. أما بالنسبة للثقافة اليومية فقد عُدّت الفوتوغرافيا اكتشافا وسيطا جديدا للذاكرة، ووجدت لها بسرعة استعمالا جماهيريا، دون أن ننسى ذكر قوة تقنيتها في المجال العسكري والقضائي وحتى الإعلامي.

إن إيجاد نسخة مماثلة للواقع الفيزيائي وللإنسان نفسه، بداية من ظهور التصوير الآلي "الصورة الفوتوغرافية" قلبَ سيكولوجية الصورة رأسا على عقب. واستطاعت موضوعية الصورة الفوتوغرافية أن تكتسب قوة في التصديق، يخلو منها أي عمل تصويري آخر. فللمرة الأولى تتشكل صورة العالم الخارجي بصورة آلية، وبدون تدخل خلاق من طرف الإنسان.

إن أدنى رسم وأقربه للأصل لن يكون له أبدا قوة الصورة الفوتوغرافية، التي تستطيع إقناعنا والتأثير فينا؛ العدسة وحدها تجعلنا نسجّل الشيء نفسه ونحنّطه في لحظته الزمنية وننقذه من الفساد والتلف.[2]

---

[1] . سيد سعيد، **حدود الموضوعية والذاتية بين الوثيقة والحقيقة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/04/20094172524137868.htm

[2] قيس الزبيدي، **فلسفة الصورة.. مقدمات نظرية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/Documents/2008/12/31/20084.pdf

وكان الفرنسيون أول من استخدم مصطلح الفيلم الوثائقي حين أطلقوه على الأفلام السياحية، وفي عام 1926 قام رائد السينما الوثائقية في العالم، "جون جريرسون" باستخدام مصطلح "السينما الوثائقية"، وهو يستعرض فيلم "موانا"، الذي أخرجه شاعر السينما الوثائقية "روبرت فلاهيرتي"، الجوالة السينمائي الذي حمل كاميراته لتصوير حياة الناس اليومية في الأصقاع النائية، فقد قدم دراسات كاملة بالكاميرا عن حياة الإسكيمو، وعن حياة السكان في البحار الجنوبية.[1]

إن تحديد هذه النوعية السينمائية، لا يعتمد فقط على طبيعة مصدر الصورة، بل أيضا الإشارة إلى نفي واستبعاد أي تلاعب بالصورة، أي التوقف عند حدود النسخ الآلي للواقع، أي تسجيله، والتي هي خاصية أساسية للكاميرا. هذه الفكرة التي تقوم على الخلط بين الكاميرا "الأداة"، وبين الفيلم "السينما" الذي هو فن. والسؤال الأهم الآن هو: هل تتحدد ماهية الفيلم الوثائقي بالتوقف عند حدود التسجيل أو النسخ الآلي للواقع؟

لقد احتدم النقاش منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، منذ ظهور الفوتوغرافيا واستمر بعد ذلك والذي دار بين فريقين؛ فريق يعتقد أن التصوير الفوتوغرافي ينتج نسخة مطابقة للواقع، ولابد من اللجوء إلى موضوعية الكاميرا التي لا يجب إفسادها بأية حيل، وفريق يرى أن التصوير الفوتوغرافي يتيح للفنان فرصا عديدة مثل تلك التي يمنحها الرسم والأدب شريطة الإبداع تحت تأثير خواص الكاميرا. بل ويستخدم كل الحيل لاستخلاص الحقيقة والجمال من المادة الفوتوغرافية الخام، ويرون أن تعميق قدرات الكاميرا الكشفية هي مهمة المصور للحصول على أفضل تعبير عن الحقائق.

هنا يجب أن نتوقف لتحديد الفرق بين الواقع المسجل بالكاميرا والفيلم الوثائقي:[2]

كما تجدر الإشارة إلى أن الفيلم الوثائقي يعني في الاصطلاح الفرنسي وثيقة عن المكان، أو الحدَث، أو الشخص الذي يتناوله، ولهذا، يفضل ترجمته إلى الفيلم الوثائقي، بدلا من الفيلم التسجيلي؛ وهذا ما سنعتمده في هذه الدراسة. أما المفهوم الإنجليزي لهذا النوع من الأفلام الوثائقية، فلا يكتفي الفيلم بتسجيله الحقيقةَ وحدها، وإنما يضيف إليها الرأي أيضا. وقد أصدر الاتحاد الدولي للسينما

---

[1] . أيمن عبد الحليم نصار، **إعداد البرامج الوثائقية**، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص. 14.

[2] . سيد سعيد، **حدود الموضوعية والذاتية بين الوثيقة والحقيقة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/04/20094172524137868.htm

الوثائقية في عام 1948، تعريفا شاملا للفيلم الوثائقي جاء فيه: "كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة، يعرض إما بوسائل التصوير المباشر، أو بإعادة بنائه بصدق، وذلك لتحفيز المشاهد على عمل شيء، أو لتوسيع مدارك المعرفة والفهم الإنساني أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد، أو الثقافة، أو العلاقات الإنسانية".[1]

1.1. التصوير في الفيلم الوثائقي

يراعى في الفيلم الوثائقي كل التقنيات الفنية والجمالية في التصوير.

– للمخرج رؤيته في صناعة الفيلم ومن خلال فيلمه الوثائقي يحاول أن يعطي المتفرج الإحساسَ والشعور ويقدم انطباعا للحقيقة الموجودة فعليا ويلجأ في ذلك إلى استخدام تقنيات معينة وأسلوب فني في التصوير لكي يعطي انسجاما وهوية معينة للفيلم؛ أي أن الفيلم الوثائقي لا يكتفي فيه المخرج بنسخ الواقع وعرضه على الشاشة كما هو ولكن ينبغي استخراج كل ما هو جديد منه وإعطائه طابع فني وأدبي راق حتى يكون مؤثرا أكثر من سواه.[2]

فعند التعامل مع الحقيقة في أي نوع من الأفلام، لابد من تغيير طفيف في هذه الحقيقة بما يتوافق مع الإخراج والصياغة الفنية، حيث نختار منها ونعطيها صيغة معينة وشكلا فنيا ما. وهناك نقطتان مهمتان يُبنى على أساسهما الفيلم الوثائقي: عدم المبالغة في الأحداث من جهة، وأن تكون هذه الأحداث أو المعلومات التي تدرج في الفيلم الوثائقي حقيقية غير مزيفة، أو مصطنعة، من جهة أخرى. وقد تطورت هذه النظرية على أيدي بعض المخرجين والمنظرين أمثال (أندريه بازان، روبرت فلاهرتي وغيرهما)، وأخذت شكلا أوسع وأعمق من ذي قبل. فالسينما الوثائقية أصبحت ترتكز على المادة الحياتية، وعلى الظواهر والمواد الموجودة موضوعيا، ويكون الواقع في السينما الوثائقية المادة الخام التي يستخرج منها المبدع كل ما هو جديد (مثلما كان يحدث في البدايات)، دون الاكتفاء بنسخ هذا الواقع وعرضه على الشاشة. إذن: السينما الوثائقية هي المعالجة الخلاقة للواقع، حيث أنها تتضمن الجانبين الموضوعي (المعالج)، والذاتي (الخلاق).[3]

---

[1] . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص. 14.

[2] . http://www.zuhlool.org/wiki

[3]. http://dvd4arab.maktoob.com/showthread.php?t=2211455

2.1. الفرق بين الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي

لم يثر الفيلم الروائي النقاش والجدل الذي أثاره في المقابل الفيلم الوثائقي. فقد تجاوزت المقالات والدراسات والأبحاث الصادرة عن الفيلم الوثائقي بشكل كبير جدا ما نشر حول الفيلم الروائي. فهذا الأخير، تحددت معالمه بصفة نهائية في بداية عشرينيات القرن الماضي، لتتكرس حين انطلقت وبذلك تحررت من كل القيود لتسبح في عالم الخيال والإبداع بدون حدود، بينما استمر النقاش – ومازال – حول الفيلم الوثائقي، حيث اختلف حوله مخرجوه ومنتجوه وباقي الفاعلين فيه وحتى مستهلكيه.

اختلف الجميع مع الجميع حول تسميته، فهناك من يسميه التسجيلي وهناك من يفضل تسمية الوثائقي، باعتبار أن التوثيق ليس هو التسجيل حسب البعض، خاصة في مصر وسوريا. وهناك من أطلق عليه في الخمسينيات تسميات أخرى كأفلام الواقع، بينما يختار آخرون مصطلح أفلام المعرفة أو التوعية؛ فالمخرج اللبناني "جان شمعون" يعبر بوضوح عن رأيه بالقول: "أنا ضد كلمة تسجيلي ولدي موقف من هذه الكلمة، وأعتبرها ارتجالية وغير دقيقة بالمعنى العلمي". أما المخرج الفرنسي الراحل "جان رونوار" فقد لخص رأيه في جملة واحدة: "كل ما يتحرك فوق الشاشة هو سينما". كرد على كل من كان يحاول الفصل بين الأفلام واعتبار الفيلم الوثائقي سينما من درجة ثانية. وهذه الاختلافات في الحقيقة هي تعبير عن اختلافات في وجهات النظر في كيفية معالجة المواضيع المصورة والخوف من "خيانتها". كما تعكس أيضا غنى هذه السينما المرتبطة أشد الارتباط بقضايا الناس ومحيطهم البيئي والجغرافي والتاريخي والثقافي وهلم جرا.[1]

يقول الدكتور "إسماعيل الأمين" في معرض تعريفه للفيلم الوثائقي مقارنة بالعمل الروائي: "من الصعب تعريف الوثائقي بشكل دقيق، كونه لا توجد تسمية معينة يمكن أن تحدد ماهيته. فهو ليس خبرا ولا قصة ولا رواية. وللوثائقي ما يسمى بالتدبير الاحتياطي أو الشرطي لعمل الكاميرا من خلال البرهنة على أن الحدث قد تم التقاطه كما هو أثناء حدوثه ولم تتم إعادة بنائه أمام الكاميرا، كما هو الأمر أثناء تصوير الرواية. كذلك يرفض الوثائقي تصوير الحياة الخاصة لأبطاله، –الحياة الجنسية

[1] . أحمد بوغابة، **الوثائقي بين " وهم الموضوعية " و " واقع الذاتية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/04/20094174336911390.html

مثلا–، بينما تعتبره الرواية جزء من صلب عملها. الوثائقي يهدف إلى عرض الحياة كما هي وليس عرض الروايات أو القصص الإخبارية. وبالتالي يبدو الفيلم الوثائقي أكثر واقعية لأنه أقل روائية.[1]

وللفيلم الوثائقي خصائصه المميزة عن الفيلم الروائي رغم كونهما متشابهان في مراحل الإنتاج. فالفيلم الوثائقي لا يهتم بما يسمى بالعقدة – وهي عبارة عن أحداث تدور حول أشخاص ومواقف تنشأ عن سلوكهم– وإنما يهتم بفكرة تعبر عن هدف محدد، لذلك فهي تتطلب من المتفرجين اهتماما مختلفا عن ذلك الذي تتطلبه الرواية العادية. فلِلفيلم الوثائقي جاذبيته الخاصة إذ ليس له قصة فردية ولا نجوم مشهورين ولا ممثلين عاديين، لذا فمشاكلهم الخاصة لا أهمية لها. ويؤدون أدوارهم كما يعيشونها في حياتهم العادية. وتجدر الإشارة إلى أن عدم وجود القصة أو النجوم في الفيلم الوثائقي، يدفع بالمشاهد إلى الإحساس الشديد بوسائل عرض الموضوع؛ فالتصوير الضعيف والمونتاج غير المتقن، أو استعمال الصوت استعمالا غير سليم، كل ذلك يظهر فيه بوضوح، بينما في الفيلم الروائي قد يخفي الانبهار بالموقف نفسه كل هذه العيوب أو بعضها. فالعيوب في الفيلم الوثائقي تبدو بارزة لأنه ليس هناك ما يخفيها، ولذلك يجب الاهتمام بالحرفية. ولكن مع إعطاء الأولوية دائما للموضوع والفكرة. فالفيلم الوثائقي مصمّم أساسا ليقدم معلومات ويؤثر في المتفرج ويحثه، إنه فيلم ذو رسالة، يبيع أفكاره في كل مجالات المعرفة الإنسانية، ويستمد مادته من واقع الحياة سواء كان ذلك مباشرة أو عن طريق تكوين هذا الواقع. فالواقع هو الموضوع الرئيس الذي ينطلق منه ولكن يجب أن يكون الخيال هنا أساسه الواقع ونابع منه، حيث لا يجب أن يترك العنان للخيال الروائي ليبتدع أحداثا وأشياء غير موجودة واقعيا.[2]

ويعتبر السيناريو في الفيلم الوثائقي أحد عوامل التفريق بين الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي، ويمر سيناريو الفيلم الوثائقي بعدة خطوات هي على النحو التالي:

- ✓ إعداد المعالجة.
- ✓ البحث والدراسة.
- ✓ كتابة السيناريو التنفيذي.

---

[1] . http://www.sdpfiq.com/?page=view&id=76&part=4

[2] . . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص.ص 77-78.

فالفيلم الوثائقي يتفق كثيرا مع البحث العلمي في كثير من الخطوات حيث يقوم على فكرة محدودة، أو ما يمكن أن يطلق عليه مشكلة يحدد لها المخرج عنوانا يمثل اسم الفيلم ويخاطب العقل أساسا، ويعتمد في ذلك على تقديم المعلومات والبراهين والأدلة، وقد ينفذ بعد ذلك إلى العاطفة ويتسم بالوضوح والتوجه إلى جمهور مستهدف لتحقيق هدف محدد له بداية وله نهاية والتي قد تتمثل في طرح مزيد من الاستفسارات لأفلام أخرى. والسيناريو هو وصف الحركة السينمائية على الورق، فهو وثيقة مكتوبة بدقة، تصف المناظر "منظرا، منظرا" مع تفاصيل الصوت المصاحب للفيلم، ويشمل السيناريو قسمين هما:

- القسم الأول: الحركة والمَشاهد.
- القسم الثاني: الكلام المصاحب للحركة والمَشاهد.

وفي الفيلم الوثائقي نتعامل مع العالم الحقيقي الذي حولنا؛ ولذلك لا يستطيع كاتب السيناريو أن يكون دقيقا في كتابته، حيث إن هناك بعض الأفلام التي يضطر فيها المخرج إلى التخلي عن السيناريو بشكله التفصيلي ويستبدله بسيناريو نظري مبدئي يحوي مجرد خطة للتصوير منظمة ومرتّبة. وفي هذا الصدد يقول "هوف بادلي": "إن السيناريو في الفيلم الوثائقي لا يمكن أن يكون – دائما– دقيقا تفصيليا، لأنه يجب أن يسمح للمخرج وللمصور بقدر من حرية العمل للتعامل مع الأشياء غير المتوقعة والتي لا يمكن التحكم فيها".

من أفضل الأمثلة على ذلك ما فعله "بارلورنتز" في فيلمه النهر، فيقال أنه عندما رأى نهر المسيسبي ألقى بالسيناريو الذي كان قد كتبه، فقد بدا له النهر كئيبا لا طرافة فيه، مجرد مجرى كبير من المياه الداكنة تجري بينه شطئان رتيبة خالية مما يلفت النظر، وحينئذ تبين أن موضوع الفيلم لا ينبغي أن يكون النهر ذاته، بل الناس الذين يعيشون على جانبيه وما فعلوه بالنهر وما فعله بهم.

ومن هنا، يتضح أن الفيلم الوثائقي ليس له سيناريو دقيق ومحكم – في أغلب الأحيان – لأنه في تعامله مع الواقع تظهر وتستجد أشياء غير متوقعة ولا يمكن التحكم فيها، لذلك قد يضطر صانع الفيلم الوثائقي إلى التخلي عن السيناريو بشكله التفصيلي واستبداله بسيناريو نظري يحوي مجرد خطة للتصوير.

وفي الأفلام الوثائقية في أغلب الأحيان نجد بعض الاحتمالات عن بداية كتابة السيناريو، التي تُترك بدون تحديد نهائي حتى وقت التصوير. وهذا الأسلوب لا يُظهر انخفاض مستوى المخرج والذي

هو في الغالب كاتب السيناريو أو صاحب الفكرة، ولكنه مرتبط بخصائص المجال الفني للعمل الوثائقي وأهدافه وفلسفته. ولا يعني هذا، التخلي النهائي عن السيناريو المبدئي أو ما يمكن أن نطلق عليه التصوير المقترح لسير العمل في ضوء الهدف المطلوب، حيث إنه إذا تخلى المخرج في الفيلم الوثائقي عن السيناريو تماما، وعن التفكير والتحديد النسبي المسبق، حيث يجد نفسه هو والكاميرا أمام كل العناصر منشقة وغير منظمة، لأن الحياة الواقعية الحقيقية أكثر اتساعا بحيث لا يمكن أن يختار منها صورا بدون ترتيب سابق واختيار منظم. وفي الوقت نفسه لا يمكن أن تحدد بدقة شديدة كل لقطة يقوم بها المخرج أو المصور بتسجيلها مثلما يحدث في الفيلم الروائي.[1]

ويذهب البعض إلى أن الحدود الفاصلة بين الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي بدأت تتميع، على اعتبار التداخل الكبير في العناصر البنائية لكلا النوعين من الفيلم؛ فمفعول الوثائقي بدأ يُلقي بظلاله في الروائي والعكس. ويرى "عارف حجازي" في مقال له بعنوان: "الوثائقي يتميع"، أن البعض أوصل الفيلم الوثائقي إلى أن يصبح تمثيلا كله. وأوصل بعضهم الفيلم الروائي إلى أن يتعهد الالتزام بما حدث فعلا، إلى درجة أنك تحشره في زمرة الوثائقيات. كالسلسلة الوثائقية التي أنتجتها "البي بي سي"، "أيام هزت العالم" في أربع وخمسين حلقة، فهي تعتمد الإثارة والانتقاء من الواقع على نحو يحملك على استبدال الواقع الذي درَستَه في كتاب المدرسة بالصورة الجديدة التي رسمها لك الوثائقي. حتى في وجوه الشخصيات المهمة فأنت مدعو لأن تمسحها من عقلك وتضع بدلا منها صورَ الممثلين الذين يقومون بالأدوار. ومع تعمد الإثارة تضطرب أهمية الأحداث في ذهن المشاهد فلا يعود قادرا على أن يزن قيمة الحدث الفعلية كبيرا كان أم صغيرا. كما أن عنصر القصة قد يؤدي بمخرج الوثائقي إلى تغيير الحقائق واستبعاد أجزاء منها لكي تسلم له القصة.

وعموما، يمكن القول أنه ليست هناك وصفة صحيحة للوثائقي وأخرى للروائي، والحدود بينهما رمادية ولكن اتساع الشريط الحدودي سيزيد من التداخل بينهما، وسيكون مثار سخط الأكاديمي الحريص على الحقيقة التاريخية. وأسوأ ما في الخلط الحاضر بين الوثائقي والسينمائي تسلل مخرجين تلفزيونيين إلى مجال يقتضي رؤية فنية لا يملكونها. وقد انتشرت كثير من الوثائقيات الرديئة التي يحاول أصحابها تحسينها بإضافة بعض المشاهد التمثيلية إليها. ويعمد بعض هؤلاء إلى استخدام

[1] . http://www.sdpfiq.com/?page=view&id=76&part=4

المصطلح، للنفاذ من النقاد. معتبرين ما يقدمونه شيئا عالميا اسمه "الدوكيودراما"، وكأن توفر مصطلح يجمع الملح والسكر يجعل الشراب مريئا.

وإذا استمر هذا التميع الذي يتعرض له الوثائقي فقد نشهد عودة إلى الفيلم التوثيقي الصرف.[1]

[1] . عارف الحجاوي، **الوثائقي يتميع**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/03/2009331125340584773

2. خصائص ومميزات الأفلام الوثائقية

حدد "جون جريرسون" للفيلم الوثائقي ثلاث خصائص، لابد من توافرها لكي يصبح الفيلم وثائقيا حقيقيا وهي:

- ✓ اعتماد الفيلم الوثائقي على التنقل، والملاحظة، والانتقاء من الحياة نفسها. فهو لا يعتمد على موضوعات مؤلفة وممثلة في بيئة مصطنعة كما يفعل الفيلم الروائي، وإنما يصور المشاهد الحية والوقائع الحقيقية.
- ✓ أشخاص الفيلم الوثائقي ومناظره يختارون من الواقع الحي، فلا يعتمد على ممثلين محترفين، ولا على مناظر صناعية مفتعلة داخل الأستوديو.
- ✓ مادة الفيلم الوثائقي تختار من الطبيعة رأسا، دون ما تأليف، وبذلك تكون موضوعاته أكثر دقة وواقعية من المادة المؤلفة والممثلة.[1]

و من أهم مميزات الأفلام الوثائقية:

- ✓ يمكن القول أن الهدف من الفيلم بكل بساطة هو التسلية بداية، عن طريق المعلومة الخفيفة، وهذا عن طريق الصوت والصورة والحوار وغيرها وهذا ينطبق على الأفلام الروائية والوثائقية، والتعليمية وغيرها، ولذلك يجب تقديم الحقائق والمعلومات بشكل ممتع يسعد الجميع، ويحرك انفعالاتهم. فلكي ينجح العمل المرئي يجب أن يحقق المعايير التالية: الإمتاع، الإقناع والإبداع.
- ✓ يعتبر رجال الإعلام البرامج الوثائقية أسمى أشكال المعلومات والأخبار، كونها تقدم المعلومات مقرونة بوجهات النظر. ويؤثر البرنامج الوثائقي الجيد تأثيرا كبيرا في الظواهر الاجتماعية والاقتصادية. بل قد يؤدي في البلدان المتقدمة إلى صدور تشريعات تعالج القضية التي طرحها البرنامج. لذلك يجب على الصحفي الذي يريد إعداد وثائقي أن يعيش قضية معينة ويتعاطف معها من أجل تحفيز المشاهد على اتخاذ إجراءات عملية لمعالجتها.
- ✓ ويحدد الإعلاميون أهم العناصر التي تجعل البرنامج من النوع الوثائقي، وهي أن تتوافر قصة ووقائع حقيقية دون تأليف وأشخاص حقيقيين ومكانا حقيقيا. ولكننا، ومع تطور شكل المعالجة الفنية للبرنامج الوثائقي، نجد أن الحدّ الفاصل بين التوثيق والدراما بدأ يتلاشى، ونهلت كل

[1] . . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص.ص 77-78.

منهما من الأخرى ضمن جرعات محسوبة. لذلك نجد اليوم اتجاها في الأفلام الوثائقية العالمية يتبنى فكرة "الديكودراما" بشكل فعال.

- ✓ إن أهم ما يميز الفيلم الوثائقي بشكل عام دون سائر وسائل الإعلام الأخرى هو عملية دمج الوسائل مع بعضها البعض، فالصورة موجودة وهي متحركة، والصوت والكلمات موجودة أيضا، في إطار يمكن أن تضع داخله كل أنواع وأشكال الفنون والآداب والعلوم، وهذا النوع قادر على النفاذ إلى إدراك المشاهد بشكل أسرع دون سائر وسائل الإعلام الأخرى. وكما يقول "ألبرت ماهرابيان" في دراسته للأثر الذي تُحدثه اللغة المجسدة المرئية في إيصال الرسائل: "إن الصورة أو اللغة المرئية تأثيرها 55 بالمائة، والصوت أو نبرات الصوت تأثيرها 38 بالمائة، بينما الكلمات يصل تأثيرها إلى7 بالمائة، وهذا الأثر الكبير للصورة المندمج بشكل محكم مع الصوت سيكون له الأثر البالغ في إيصال الرسالة بسرعة للمستقبل. وعن هذا يقول "كين دالي": "أن الأفلام تحرك المشاعر، وأن أعظم قوة للفيلم في كونه متحركا، ومن خلال هذا يقدم مناظرا بواقعية تبعث الشعور بالآنية، لذلك لا يهم متى صنع الفيلم. فبالنسبة للمشاهد الأحداث تجري الآن، وهنا يحصل الاندماج، ويصبح بالإمكان التحكم في انفعالات ومشاعر المشاهدين".[1]

وعمليا يمكن إيجاز الحدود الفاصلة بين الأفلام الوثائقية والروائية في النقاط التالية:

أ- يعتمد أساسا على الواقع في مادته وفي تنفيذه، بمعنى أن يكون تسجيلا واقعيا لأحداث وقعت بالفعل، لا تحتاج إلى ممثلين لأداء أدوار معينة، ولكن من نفس الواقع الذي تقع فيه الأحداث.

ب- لا يهدف إلى الربح المادي، بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف خاصة في النواحي التعليمية، والثقافية، أو حفظ التراث، أو التاريخ.

ج- يختلف عن الفيلم الروائي من حيث هدفه المادي، فالأفلام الوثائقية غالبا ما تنتجها الدول لمعرفتها بأهمية إنتاج مثل هذه الأفلام التي بالرغم من أهميتها، فهي لا تدر أرباحا على منتجيها، بخلاف الأفلام الروائية التي يكون أغلب إنتاجها هدفه تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح.

[1] . المرجع السابق، ص. 45.

د- يتسم عادة بقصر زمن العرض، حيث يتطلب درجة عالية من التركيز أثناء مشاهدته، ومن الملاحظ دائماً أن يكون إنتاج الأفلام الوثائقية لا يزيد في أغلبها عن 20 - 30 - 45-58 دقيقة على أكثر تقدير.

هـ- يخاطب في العادة فئة أو مجموعة مستهدفة من الجماهير، وأثناء الإعداد لإنتاج فيلم من الأفلام الوثائقية يحدد الجمهور المستهدف لهذا الفيلم، وعلى أساس خصائصهم يكون أسلوب المعالجة، وحجم ونوعية المعلومات، وكيفية تناولها، وتقديمها، والمستوى اللغوي للتعليق المصاحب للفيلم، أو للحوار القائم بين شخصياته.

و- يتسم بالجدية وعمق الدراسة التي تسبق إعداده، وشعار الفيلم الوثائقي "السينما رسالة وفن وعلم".[1]

عمليا، يبدو الخط الفاصل في أي فيلم وثائقي بين الموضوعية والرؤية الخاصة لصانع الفيلم رفيعا جدا؛ فالشريط الوثائقي خاضع بالضرورة لتمشي المؤلف ومقاربته الذاتية للموضوع على مستوى المعالجة وآليات التصوير واختيار الزوايا والمَشاهد والمتدخلين - وخاصة المونتاج-، مما يجعل من الفيلم الوثائقي عملا إبداعيا شديد الخصوصية وبعيدا عن الموضوعية المفترضة التي يتم إدراجه عموما في إطارها.

كان الفيلم الوثائقي في تاريخ السينما مرتبطا عادة بالتوظيف السياسي من الدعاية الشيوعية التي انخرط فيها عشرات السينمائيين السوفييت الكبار مثل "كوليشوف" و"روتوزانوف" و"بودوفكيني" عبر أشرطة على غرار (الخط العام) لـــ"إيزنشتاين"، وصولا إلى الأنظمة النازية والفاشية في الأربعينيات حيث عرفت فرنسا خلال سنوات الحكم النازي الأربع أكثر من مائتي فيلم وثائقي بدعم من نظام الجنرال فيشي.

وفي الستينيات والسبعينيات كان الهوس الإيديولوجي الذي صاحب الحرب الباردة أن جعل من الفيلم الوثائقي أداة أساسية في إدارة الصراع، حتى في دول الجنوب كانت وثائقيات مخرجي أمريكا اللاتينية المعادين للرأسمالية مثل "أوكتافيو جيتينو" و"فرناندو سولاناس"، تلتهم أجيال من الشباب اليساري عبر العالم. وفي العالم العربي شهدت الصور والوثائقيات القادمة من أفغانستان خلال مرحلة الجهاد الأفغاني صدى واسعا وكانت شديدة الأهمية في تعبئة الضمائر.

[1] . http://www.zuhlool.org/wiki

خلال كل هذه الفترات كان الفيلم الوثائقي متميزا في دعايته التي تبدو أكثر "واقعية" من غيرها وفي الكذب المتميز الذي تمثله صور أرشيف تم تصويرها في ظروف خاصة، وعبر رؤية يحددها السياسي والذاتي، بل وأحيانا عبر أرشيف مزيف من الأساس مثل المصافحة الشهيرة بين هتلر وبيتان، والتي مرّ وقت طويل قبل أن يتأكد أنها لم تقع أصلا وأن اللقطة الضيقة على اليدين المتصافحتين قد تمت إضافتها لاحقا. هذا يضيف إلى مشكلة المعالجة بتعقيداتها مشكلة مصادر الأرشيف نفسها ومدى صحتها وهي أشياء يعجز المشاهد عن الانتباه إلى أي التباس ممكن فيها وهو الواقع ضحية صور تبدو معبرة عن الحقيقة الخالصة.

ومع ظهور التلفزيون وتحوله إلى فضاء الاستغلال الأساسي لهذا النوع من السينما بل وكمنتج لها صارت لعبة التوظيف أكثر تعقيدا، وربما يمكن القول إن الفيلم الوثائقي لم يكن يوما قريبا من "سينما الحكومات" مثلما هو عليه اليوم. إننا اليوم بحاجة حقا لرفع هذا الالتباس بنزع القدسية عن الفيلم الوثائقي وإبراز دوره الحقيقي كعنصر من عناصر الذاكرة وليس كتاريخ، فالذاكرة هي كل ما تبقى لدى الأفراد أو المجموعة من الماضي سواء أكانت أماكن أو وقائع أو أشياء أو رموزا.. والصورة أو الأرشيف المصور هو جزء من هذه الذاكرة. أما التاريخ، فهو "تفكير في الذاكرة" يضع في اعتباره المنسي و المخيال والرمزي والدلالات والسياق في تماش منهجي صارم بل يمكن القول بأن دور البحث التاريخي هو التشكيك في كل ما هو مصدر من مصادر الذاكرة.

فالفيلم الوثائقي باعتباره في مادته الخام المصورة وحتى في شكله النهائي لا ينفصل عن رؤية المخرج أو الكاتب ولا عن سياقه الموضوعي السياسي والاجتماعي وحتى ظروف تصويره فهو لا يمكن أن يكون إلا مصدرا للتفكير في السياق الذي أنتجه باعتباره "بقايا" أو عنصرا من عناصر الذاكرة.

إن طغيان الذاكرة على التاريخ في عالم اليوم عبر الخلط الذي تصنعه لدى الإنسان وسائل الإعلام بين المفهومين لا يمكن إلا أن يضر بهذه المحاولة الشجاعة التي يقوم بها الفيلم الوثائقي منذ مائة عام في مواجهة موت الذاكرة الجماعية وزوالها وذلك بجعله عنصرا من عناصر هدم الحقيقة التاريخية بدل أن يكون موضوعا للبحث.[1]

[1] . أكرم العدواني، **الفيلم الوثائقي بين الذاكرة والتاريخ**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228105548173748.html

ثانيا: تطور الأفلام الوثائقية، أهميتها وأنواعها

2. 1. ظهور وتطور الأفلام الوثائقية

فكرة الفيلم الوثائقي قديمة قدم السينما نفسها، فقد بدأت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر مع التجارب الأولى، ووجدت أول تعبير مهم لها في عمل الأخوين لوميير. فقد عمل أوغوست ماري لويس نيكولاس ولويس جان لوميير للفيلم الوثائقي ما عملوه للسينما ككل، وكان ذلك بهدف إظهار الفائدة والقيمة المتأصلتين في تصوير الواقع اليومي، وبهدف توثيق الحياة اليومية.

التسجيلي أو الوثائقي مصطلح مشتق من الكلمة الفرنسية القديمة document وحينما ظهرت كلمة documentary كانت تدل في اللغة الإنجليزية منذ أوائل القرن التاسع عشر على طبيعة الشيء المؤلف من وثائق. ودلت على صعيد السينما على نوع من الأفلام بدأ استعماله من قبل "غريرسون"، الذي ترك أثرا عميقا على تطور الفيلم الوثائقي في بريطانيا وفي إنجلترا وذلك من خلال دراسته المنشورة في صحيفة "نيويورك صن" حول فيلم فلاهرتي: "موانا"، الذي أطلق عليه تسمية "الفيلم الوثائقي"، حينما شاهده. وقد استعار غريرسون الكلمة documentary من كلمة travelogue واستعمله، بعد أربع سنوات، بول روثا، لأول مرة، في كتابه "الفيلم حتى الآن" وعرّفه كفيلم يعني باهتمامات خاصة، بما في ذلك الأفلام العلمية والثقافية والاجتماعية، وكنوع يجده بعض السينمائيين أكثر أهمية من الفيلم الروائي.

إن كل تاريخ السينما، حسب بعض المنظرين والمؤرخين هو بمثابة تجاور وتفاعل دائم لـــ "اتجاهات" الأخوين "لوميير" الوثائقية، و"ميلييه" الروائية. وإذا ما أخذنا السينما الوثائقية، فسنجد فيها اتجاهين، اتجاه نثري وآخر شعري: النثري ينصرف بالدرجة الأولى إلى وصف الحياة كما هي، والشعري، ينصرف، بالدرجة الأولى، إلى تحريف صور الحياة، لكن من أجل فهمها، وليس من أجل تزييفها. يبقى أن نقول أن هذه الإشكالية ما تزال قائمة ومعلقة في النقاشات الدائرة في حقل النظرية السينمائية. وكان هناك وقتها، حسب الأدبيات السينمائية، مواقف مختلفة، وبالتالي منهجا فنياً وجمالياً يختلف في تيار السينما الوثائقية، كما يختلف أيضا في تيار السينما الروائية. ومنذ البداية بدأ الخلاف أصلا بين "دزيغا"، "قيرتوف" و"إيزنشتين"، وكانت نقطة الخلاف، أساسا، طريقة التعبير والمنهج السينمائي، الذي يحكمها.

وفي الخمسينيات، عاود "أندريه بازان" مخالفته لـــ"إيزنشتين" وأكد: أن تطور لغة السينما تتميز بوجود تيارين عظيمين متعارضين، مثلهما أولئك المخرجون الذين آمنوا بالصورة والمخرجون الذين آمنوا بالواقع. التيار الأول وجد جوهره في أهمية دور المونتاج، الذي يوحد العناصر غير المرتبطة بالحياة، كما هو الحال عند "إيزنشتين"، بينما اعتمد التيار الثاني على مقدرة الصورة ذاتها، بدون تجزئة زمنها، على كشف علاقات المكان الواقعي، دون إضافات تأويلية، تنتج من علاقات الصور فيما بينها. وحسب هذا المفهوم، هناك مخرجو صورة الواقع وهناك مخرجو واقع الصورة.[1]

كانت النظرة المستقرة الثابتة حول الفيلم الوثائقي تستند إلى كون "الوثائقي documentary" على النقيض من الفيلم الخيالي، أي أنه يعتمد على نقل "الحقيقة" وتجسيد عن "الواقع"، سواء كانت "الرسالة" الكامنة في قلب الفيلم تتلخص في الدعوة إلى تغيير الواقع –الفيلم الوثائقي الثوري في الستينيات مثلا–، أو دعمه ومساندته والدفاع عنه ضد قوى "الثورة المضادة". ضمن هذا المفهوم الكلاسيكي القديم، كان الوثائقي يقع بالضرورة خارج الخيالي، فقد كان من المعيب أن يستخدم الفيلم الوثائقي مثلا، طرق الحكي أو المسارات السردية التي يستخدمها الفيلم الروائي الدرامي، أو أن يتدخل في الواقع، ويعيد "تمثيله" بأي شكل من الأشكال، حتى لو كنا مثلا، نشاهد فلاحا يعيد أمام الكاميرا دورة حياته اليومية ببساطة، كما يفعل يوما بعد يوم في الواقع نفسه.

كان "الوثائقي" يعتبر بالضرورة، هو "الموضوعي"، الذي يستمد الفكرة من الواقع، ويعرض الحقيقة الموضوعية من داخل الواقع، لكنه يحللها ويفسرها ويصل إلى طرح "رسالته" من خارج الواقع، أي من خارج تلك الصور واللقطات المتعاقبة، وإن كان ذلك استنادا إلى ما يمكن استنتاجه منها من خلال سياق معين يلعب فيه المونتاج الدور الرئيسي، ويساعد التعليق الصوتي المصاحب في دعم هذا السياق والتأكيد عليه.

كانت "الحقيقة" عادة تعرض من جانب واحد، وفي اتجاه واحد، من صانع الفيلم عبر الشاشة إلى المتفرج، تدعمها شهادات وصور وسياقات تاريخية منتقاة لخدمة الهدف "الأيديولوجي" للفيلم– الوثيقة، أو الهدف "الاجتماعي– السياسي" الأسمى، الذي يعبر عن "الإرادة الجماعية"، أو عن رؤية ذلك الواقف خارج الفيلم تماما، يوجه ويشرح ويؤكد، كما لو كان هو "صوت القدر" نفسه. ولم يكن

[1] . قيس الزبيدي، **الإيمان بالواقع ضد الإيمان بالصورة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/20096291122355042 97.html

مسموحا بالتالي للسينمائي أن يعبّر عن رؤيته الذاتية، أو أن يخلطها بهواجسه الشخصية، أو يقدم سخريته مما يصوره أو تعليقه الشخصي عليه ربما من خلال قصته الخاصة.

وفي الاتحاد السوفيتي لم تكن أفلام الحرب الموجهة مثلا تختلف كثيرا في أسلوبها العام مع سلسلة أفلام الجريدة السينمائية الأمريكية الشهيرة "مسيرة الزمن" March of Time ، التي استمرت من 1935 إلى1951، وغطت الحرب العالمية الثانية بأحداثها الساخنة. كانت هذه الوثائقيات تعتمد أساسا، على أسلوب ومنهج "جون جريرسون"، رائد الفيلم الوثائقي، في اعتمادها على التعليق الصوتي الموضوعي، الذي يأتي من خارج الصورة، يفسر ويسلط الأضواء على جوانب محددة في السياق، والأهم، أنه "يفرض" رؤية واحدة محددة على المتفرج ويقنعه بها.

كان الهدف في الحالتين واحدا، في الحالة السوفيتية حسب المفهوم الماركسي، وفي الحالة الرأسمالية التي تلعب فيها المؤسسات الكبرى دورا مباشرا في الترويج لأفكار بعينها تتماشى مع أفكار وأهداف المؤسسة السياسية مثل مؤسسة "تايم"، منتجة سلسلة "مسيرة الزمن"، فقد كان هذا الهدف يتمثل ببساطة في نقل الوعي، السياسي والاجتماعي، حسب مفاهيم محددة، قد تكون هي مفاهيم حزب معين، أو نظام أو مؤسسة أو حركة ثورية أو فصيل ما في الواقع، أو احتكار يمثل واجهة كبرى لمصالح متداخلة ومتعددة ..الخ.

وكان المفهوم العام للفيلم "الوثائقي" يحصره عادة، في إطار النخبوية رغم أن توجهه النظري على الأقل، كان إلى "الجماهير". وترجع أسباب ذلك إلى أن هذا المفهوم كان يستبعد الفيلم الوثائقي أساسا، من دائرة "الخيال" الذي يثير عادة اهتمام جمهور السينما. لقد كان أي تشابه مع أفلام "الخيال" بمعناه المباشر وغير المباشر، يتناقض تماما مع مفهوم الوثائقي. ولذلك تحول "الوثائقي" إلى "غير الخيالي non-fiction "، وهو مصطلح أصبح حاليا يفتقر إلى الدقة أيضا في وصفه للنوع، لأنه يكرس ويؤكد استبعاده خارج دائرة الخيال الفردي لصانعه، ويحظر عليه استخدام أي نوع من البناء القصصي أو السياق الروائي السردي.[1]

المتتبع لتاريخ السينما في العالم يلاحظ أنها قد بدأت بداية تسجيلية أو توثيقية، حين صور الأخوان "لوميير" خروج عمال من المصنع، وصبيا يلتهم تفاحة..، ومع تراكم صور الخبرات أدرك

[1] . أمير العمري، **الفيلم الوثائقي بين الخيالي وغير الخيالي**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/07/201076736413884.html

المصور السينمائي إمكانية السينما التعبيرية، حين أيقن أنها وسيلة فعالة للتعبير عن وجهة نظره، فتحولت السينما من مجرد حرفة إلى فن، وارتقت الأفلام التوثيقية إلى الوثائقية. وتنوعت الأفلام الوثائقية ليس فقط في موضوعاتها بل في مناهجها وتوجهاتها، وعرضت أفلام وصفية وتحليلية، إضافة إلى أفلام عن الأعلام وأخرى عن البسطاء، وعرضت أفلام عن التنمية، وأخرى في النقد الاجتماعي، وفي الوقت نفسه ترسخت للأفلام الوثائقية خصائص عامة، بداية من منهجها في المعايشة والملاحظة، ثم الإبقاء وانتهاء باكتشاف الجنس البشري. مرورا بميدانها وهو الحياة الواقعية ومادتها حياة الإنسان.[1]

وتعتبر سنة 1923 المرة الأولى التي استعمل فيها مصطلح أو مفهوم الوثائقية، وذلك للتعبير عن كل فيلم من خلال الوثائق المأخوذة من الواقع. وبداية من سنة 1949م تم استخدام مصطلح documentariste "الوثائقية" وهو الاسم الذي يطلق على السينمائيين الذين يخرجون أفلاما وثائقية، وهي السنة كذلك التي انفجر فيها الفيلم الوثائقي بشكل معتبر، وظهرت العديد من الأفلام الوثائقية التي تروي قصصا، وأحقابا تاريخية، وبدأ بعدها الفيلم الوثائقي يأخذ أبعاده كعلم مستقل بذاته، وكفن له مبدعوه.

وقد استخدم الفرنسيون مصطلح Le film documentaire، منذ ظهور اختراع "لويس لوميير" لجهاز التقاط وعرض الصور السينمائية المتحركة سنة 1895م، وذلك لتصوير فيلم الرحلات (نقصد بفيلم الرحلات: تصوير المكان الحقيقي الذي يدور حوله الموضوع، وهو واقعي المضمون، قصير الطول، ذو مسحة سياحية، يقدم للمشاهد معالم البيئة، ومناظرها في بلد ما، ومظاهر الحياة الاجتماعية بها، وكان هواة الرحلات أكثر من يقبلون على تصوير "أفلام الرحلات"، بعد اكتشاف آلة التصوير السينمائي بهدف توثيق أوجه نشاطهم، وتسجيل مشاهداتهم، لإعادة عرضها على الأهل والأصدقاء من قبيل التذكار، أما الفيلم الوثائقي هو وثيقة تاريخية، والهدف منها هو المعرفة، لذا سمي كذلك بالفيلم التعليمي. كما سمي أيضا بالفيلم العلمي، والفيلم التدريبي. وبعد حوالي ربع قرن سنة 1920م ظهر التعبير الإنجليزي documentry film، من خلال المخرج الناقد الإنجليزي John Grierson، حيث ظهر الفيلم الوثائقي للناس بمواصفات محددة. في مقال نشره في جريدة « The New York Sun »الأمريكية سنة 1926م. ووصف الفيلم الوثائقي بأنه المعالجة الخلاقة للواقع،

[1] . . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص.14.

وميزه عن غيره من الأشكال السينمائية الوثائقية التي أخذت في الانتشار آنذاك، حيث قسم الإنتاج السينمائي الوثائقي إلى مستويين لكل منهما أهدافه.

المستوى الأول: هو الذي يرى أنه يجب أن تقتصر عليه تسمية الأفلام الوثائقية، حيث الانتقال والسمو من مجرد الوصف الدقيق للواقع والطبيعة إلى مرحلة إعادة التنظيم والترتيب ثم التكوين الفني لهذه المادة الواقعية الطبيعية.

المستوى الثاني: يضم بقية الأشكال الوثائقية.

ومن أوائل المخرجين في السينما والرواد الذين عاصروا المخرج "لويس" منهم «Moray» وهو سينمائي تقني، وهو أول من اخترع La Fusie photographique الكاميرا والمخترع «Méliès»هو من استخدم العناصر السينمائية التالية:

- ✓ استخدام :Les Décors وكل ما يتعلق به من أدوات تساهم في إعطاء أبعاد للأستوديو.
- ✓ الأستوديوهات.
- ✓ العناصر التقنية للخدع السينمائية.

وقد قدمت معظم الأفلام في البداية في قاعات العرض قاعات الإخوة« Lumière » ، ولكنها خرجت بسرعة بعد ذلك إلى الساحات العمومية، وقد تميزت معظم الأفلام من النوع القصير، وقد تناولت الموضوعات المطروحة في ذلك الوقت والتي كانت تشكل "موضوعات الساعة". اخترع فيما بعد "الروبورتاج المصور" وهو نوع يعتمد على جماليات الصور الفوتوغرافية، وحينها ظهر العديد من الشباب الموهوبين في هذا المجال، مما جعله يتطور بسرعة. وإلى غاية الربع الأول من القرن العشرين أي في بداية 1897م إلى غاية 1925م. كانت ثلاث شركات سينمائية رائدة تتنافس فيما بينها هي: شركة Biographe، وشركةVitographe ، وشركةEdison. عند استيلاء الشيوعيين على السلطة في الإتحاد السوفياتي بعد الثورة البلشفية سنة 1917م، اهتم السوفييت بالسينما كظاهرة اجتماعية، وقد كان من الضروري إعادة تنظيمها وفق المبادئ الماركسية فقد أممت السينما عام 1919م وانضمت إلى المؤسسات الشعبية لتصبح الثورة الثقافية جنبا إلى جنب مع الثورة السياسية. فدور السينما منذ ذلك الوقت، أصبح يعكس الحقيقة من منظور شيوعي وأصبح الفنان يلاحظ الحياة وأحداثها ويرصدها.

ومن رواد الفيلم الوثائقي في الإتحاد السوفياتي المخرج DZIGAVERTOV ، الذي يعتبر مدرسة مستقلة في مجال الفيلم الوثائقي السوفييتي، نظرا لما قدمه من أعمال أولها فيلمه الشهير «Lang Métrage»سنة 1919 تحت عنوان "عيد ميلاد الثورة" وقد دام ساعتين ونصف الساعة، أتبع هذا الفيلم بأفلام أخرى اتسمت بالوثائقية، حيث كانت شاهدة عن أحداث حقيقية حول الحرب الأهلية في الإتحاد السوفييتي. وفي سنة 1922 أخرج مجموعة من الشباب المناضلين في الحزب الشيوعي أفلاما أخرى عن الثورة بالاعتماد على وثائق حية عن الثورة أخذت من مكتبة الأرشيف المصورة للثورة البلشفية.

واستمر التطور يلامس الفيلم الوثائقي يوما بعد يوم، خاصة مع ظهور المخترعات الجديدة كتطور المونتاج، ودخول الصوت في السينما، حيث اشتغل السينمائيون في الصوت لتحويله إلى ركيزة أساسية، وتحويل الصورة إلى قوة تأثيرية كبرى، فأصبحت السينما في الولايات المتحدة الأمريكية، كما في ألمانيا وبريطانيا عبارة عن جهاز للسلطة. كما أن الصورة لها القدرة على إيصال الرسائل لجميع الناس، تشترط أن يكونوا مثقفين، كما هو الحال بالنسبة للكلمة التي تشترط أن يكون متلقوها متعلمين.[1]

استعمل توصيف الفيلم الوثائقي لأول مرة مع فيلم "نانوك الإسكيمو" لـــ"روبير فلاهيرتي" سنة 1922، وتم تعميمه مع المخرج الإنجليزي "جريرسون" سنة 1926. لكن المثير في هذا هو أن السينما حينما ظهرت مع الإخوان "لوميير" Les Frères Lumières اعتمدت في بدايتها على تصوير وإنجاز ريبورتاجات. والريبورتاج، يمكن أن نقدمه في هذا السياق كالإرهاصات الأولى للفيلم الوثائقي. وللإشارة التاريخية يمكن أن نورد مسألة أخرى حرص عليها الإخوان "لوميير"، وهي إرسال مجموعة من المصورين إلى جل بقاع العالم من أجل تصويرها وعرضها على الجمهور؛ أي أن السينما قبل أن تتحول إلى السينما الروائية أو التخيلية، حيث المحكي يأخذ مكانه بامتياز.

إذن، كانت البدايات مع هذا النوع الفيلمي الذي يسمى روبورتاج Reportage كما يحلو للمخرج الفرنسي "ألان ريني" بفيلمه "هيروشيما حبيبتي" أن يقدم الفيلم الوثائقي، على أساس "أنه يستطيع أن يمنح لنا تقريرا حول حضارتنا". لكن التعريف الأقرب لملامسة عمق هذا النوع الفيلمي هو التعريف الذي قدمه جون فيكو: "الفيلم الوثائقي هو وجهة نظر ترتكز على الوثائق". خلاصة القول ولكي نقدم

[1] . http://dvd4arab.maktoob.com/showthread.php?t=2211455

تعريفا يسعى للإحاطة أكثر بالوثائقي، فهو الذي نورده كالتالي: "الأفلام الوثائقية هي الأعمال المنجزة انطلاقا من مادة محددة، تشتمل على لقطات مصورة قريبة من التجربة المعاشة". يعني الانطلاق من الواقع وملازمته، لهذا فإن العديد من المهرجانات المتخصصة في هذا المجال نجدها تأخذ أسماء تقربنا من خصوصية هذا النوع الفيلمي. مهرجان "سينما الواقع Cinéma du réel" بباريس، "رؤية الواقع Visions du réel" بنيون.. نحن أقرب إلى "سينما الحقيقة" منها إلى "سينما الخيال" لهذا ظلت هذه التسمية لصيقة بالفيلم الوثائقي في الستينيات من القرن الماضي، لكن ما حدث في تاريخ السينما هو انطلاق سينما الخيال إلى مكان أرحب. حيث ظل الفيلم الوثائقي لذلك الطفل المشاكس والجدي في الآن نفسه، دون أن ينال حظه من الهالات التي مهرت سينما الخيال.[1]

2. أهمية الأفلام الوثائقية:

انتبه الكثيرون منذ أول عهد لظهور الفيلم الوثائقي إلى أهميته، وخطورة الدور الذي يمكن أن يلعبه في توجيه سلوك الناس، وتعديل قيمهم الاجتماعية، والأخلاقية، وتغيير أسلوب الحياة الذي اعتادوا عليه، بل هناك من اعتبره أبعد الفنون أثرا وفاعلية في تشكيل العقل البشري، والثقافة الإنسانية بوجه عام.

1.2. الأهمية الاجتماعية للفيلم الوثائقي:

اكتشف صناع السينما أهمية الفيلم الوثائقي، وما يتمتع به من مخرجوه من حرية غير متاحة لمخرجي الفيلم الروائي الطويل، فأقبل عليه كثير من المبدعين المحبين للفن الحقيقي، والمهمومين بالقضايا الوطنية وهموم البسطاء وجماليات الصورة وسينما الحقيقة والمنحازين إلى الاتجاه الرومانسي في السينما الوثائقية، خاصة وأن الفيلم الوثائقي لا يراهن كثيرا على الأرباح المتوقعة، ولا تقيده شروط الإنتاج المتعسفة، ولا تشارك في إنتاجه عناصر متعددة قد تفسد أعظم الأفلام الروائية الطويلة.[2]

---

[1] . إبراهيم زرقاني، **الفيلم الوثائقي بين الواحد و المتعدد**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/200962481817396303.htm

[2] . محمد بغدادي، **الفيلم الوثائقي من السـلطان إلى الإنسـان**، مجلة الجزيرة الوثائقية.

ويلعب الفيلم الوثائقي الآن دورا بالغ الخطورة على نطاق واسع، في نقل معطيات الفكر والحياة بلغة قوامها فهم مشترك، وبأدوات أكثر نفاذا وفاعلية في تشكيل فكر ووجدان الجماهير، لذلك أصبح أداة مؤثرة في إحداث التغيير الاجتماعي، وفي التنمية الثقافية. وهو أداة من أدوات الثقافة والمعرفة، ووسيلة من الوسائل التعليمية الفعالة التي تهدف إلى الارتقاء بالمجتمع، كما يلعب دورا بارزا في تشكيل قيم المجتمع، عاداته، فنونه، علاوة على استخدامه كوسيلة للتوجيه والإرشاد والتنوير الثقافي، وإثارة الرغبة في تحسين المستوى الاجتماعي، والنمو والتقدم المادي لدى المشاهد، وتحفيز القدرات الكامنة لدى المواطن. فالسينما تعطي المشاهد القدرة على التحرك من مكان إلى آخر، عن طريق ما يشاهده ومقارنته بما هو عليه، الأمر الذي يثير فيه الرغبة في تحسين مستواه، حيث يقرب الفيلم من المشاهد طرق حياة أخرى مختلفة. فقد أصبحت السينما عموما والفيلم والوثائقي خصوصا في الوقت الحاضر قوة تأثيرية لا يستهان بها، وقد صاحبت التقدم التقني في المجتمعات الإنسانية. وتعتبر السينما الوثائقية من أهم وسائل الإعلام، والإعلان، والتوجيه العام، والدعاية، هذا إلى جانب دورها الهام في النواحي الترفيهية، والتربوية، والثقافية، وأهدافها التي لا يمكن حصرها في المجالات الاجتماعية، والدينية، والسياسية، وغيرها.

2 .2 . التأثير التربوي للفيلم الوثائقي:

الأفلام الوثائقية واحدة من القوى التربوية الهامة داخل المجتمع، شأنها شأن وسائل الإعلام الأخرى، وسائر مؤسسات المجتمع، ذلك إذا تعاملنا مع التربية بمفهومها الواسع، كما يرى الدكتور "حامد عمار". وتشير معطيات الواقع إلى وجود زيادة ملحوظة في القدرة التربوية لوسائل الاتصال، والإعلام، حتى إنها استطاعت المساهمة في تشكيل البيئة بصورة واضحة، في الوقت الذي أخذ فيه التعليم النظامي يفقد احتكاره لهذه المهمة، وما يتصل بها من معرفة. ومما يزيد من التأثير التربوي للأفلام الوثائقية، أنها كما يقول أحد النقاد الإيطاليين، لا تقدم لنا أفكار الإنسان كما فعلت الرواية من قبل، بل تقدم لنا سلوكه، وتقترح علينا مباشرة ذلك الأسلوب الخاص.[1]

.http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/2008122811156532855.html

[1] . http://vb.q9r.com/t4412.htm

وفي حديثه عن أهمية الفيلم الوثائقي، يقول "قيس الزبيدي" وهو واحد من أهم المختصين العرب في هذا المجال: "أن الفيلم الوثائقي بطبيعته منفتح على الواقع أكثر من الفيلم الروائي، أنا لست ضد الفيلم الروائي، لكن الروائي غالبا لا يستطيع أن يتناول هذه القضايا بشكل متكامل أو يحيط بالموضوع من كل جوانبه، لأنه طبيعة وخصوصية الفيلم الروائي لا تسمح له بتناول ملحمي شامل، هنا تكمن أهمية الفيلم الوثائقي.[1]

3.2. أنواع الأفلام الوثائقية:

هناك أنواع كثيرة من الأفلام الوثائقية تختلف في طبيعة مضمونها ولكن قاسمها المشترك هو المعالجة الفنية للشكل والمضمون. فهناك أفلام المعايشة كأفلام الفن والطبيعة والحيوانات وهناك أيضا أفلام عن الموضوعات السياسية والاجتماعية والتاريخية الخ...فهي أفلام لا تتناول الوقائع الخيالية، بل تتعامل مع أحداث الحياة الحقيقية، والتي تشمل أشخاصا وأماكن وظروفا معينة. وإلى حد ما تعتبر الأفلام الوثائقية نوعا من الأفلام في حد ذاته، بالرغم من أن شكلها وطريقة معالجتها تختلف كليا عن الأفلام الروائية. وفي صناعة الأفلام الوثائقية لا تستطيع أن تتدخل في الأحداث، وإلا سوف تتأثر نتيجة الحدث وتفقد مصداقيتها. وتغلب السرعة على العاملين في هذه الصناعة بالإضافة إلى التكلفة المادية والتكنيكية البسيطة مقارنة بغيرها من الأفلام الروائية. وقد تقدمت الأفلام الوثائقية كثيرا في السنوات الماضية. ويحتوي هذا النوع على بعض المستويات الفرعية، منها علي سبيل المثال وليس الحصر: الحفريات، الاقتصادية، التعليمية، البيئية، العائلية، الصحية، التاريخية، حقوق الإنسان، العدالة، السياسية، الدينية، العلمية، الجنسية، الاجتماعية.[2]

والمشكلة الدائمة بالنسبة لصناع الأفلام الوثائقية، هي إيجاد طريقة لجعل مثل هذه الأفلام الوثائقية متعة بصرية. وهناك الدراما الوثائقية أي الأفلام التي تتحدث عن أحداث وشخصيات تاريخية بأسلوب درامي. وهناك أفلام ووثائقية تتخذ من سلوك أفراد محددين موضوعا لها. مثل الأفلام التي

---

[1] . رانية عقلة حداد وقيس الزبيدي، **الفيلم الوثائقي كالابن اللقيط.**
http://www.alnator.com/algorbal/news.php

[2] . http://www.shababico.com/forum/archive/index.php/t-6.html

تتحدث عن الأطفال مثلا أو عن سلوك أشخاص معاقين. وهذه تسمى بـــ "وثائقيات السلوك". وإلى جانبها هناك "وثائقيات العاطفة".[1]

وعموما، هناك من يقسم الأفلام الوثائقية حسب قيمتها إلى قسمين رئيسيين:

1.3.2 الأفلام ذات القيمة الإعلامية: هذا النوع من الأفلام هو أصلح للتلفزيون منه إلى السينما، وتتم كتابة السيناريو له بشكل أقرب إلى الصيغة النهائية قبل المونتاج، لأن منفذه ومخرجه يعرفان مسبقا أماكن التصوير وطبيعتها، ويكاد يكون قد حدد كل شيء مسبقا، بما فيها المقابلات التي تجرى مع الأشخاص، وأحيانا الأسئلة المراد توجيهها لبعض الشخصيات من العمال والمزارعين والإداريين...الخ، وهنا يستطيع وبناء على رؤية ميدانية، أن يحدد اللقطات، وحتى أحجامها أحيانا، ويقوم بكتابة وبناء الموضوع لما يحقق الهدف الإعلامي المطلوب من تصوير هذا الفيلم.

2. 3. 2. الأفلام ذات القيمة الثقافية: هذا النوع من الأفلام هدفه كشف الواقع، سواء السياسي أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، ويصعب في مثل هذه الأفلام كتابة السيناريو مسبقا، إنما تكتب الفكرة، ويكتب تصور عام للبناء، فمخرج الفيلم الذي يكون عادة هو كاتب السيناريو، وليس بالضرورة أن يكون هو صاحب الفكرة. وللفيلم الوثائقي غير الإعلامي؛ أي ذي القيمة الثقافية أهمية خاصة. فهو لا يستهدف التأثير على المشاهد بشكل يقرب من القسرية، إنما يستهدف زيادة معرفته بحقيقة ما يدور ليساعده في التوصل إلى إيجاد الحلول والتفاعل مع الواقع.[2]

وعند الحديث عن أهم اتجاهات الفيلم الوثائقي تظهر الاتجاهات التالية:

- ✓ **الاتجاه الواقعي:** الذي يستمد مادته من الواقع المباشر للمدن والأزقة والأسواق.
- ✓ **الاتجاه الرومانسي:** ويتميز بالاهتمام بحياة الإنسان ومعايشة الموضوع بالصورة.
- ✓ **الاتجاه السيمفوني:** ويعتمد على عنصر الحركة والصوت والضوء والزمان والمكان ويتعامل هذا الاتجاه مع السينما الوثائقية كفن يشبه الموسيقى.

---

[1] . ناصر ونوس، **قراءة في كتاب صناعة الأفلام الوثائقية لباري هامب: من الفكرة إلى الشاشة**، مجلة الجزيرة الوثائقية. http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/10/2009104103415420763.htm

[2] . http://dvd4arab.maktoob.com/showthread.php?t=2211455

- ✓ **الاتجاه الرابع:** وهو سينما الحقيقة، وقد ظهر هذا الاتجاه عام 1922 على يد المخرج الروسي "دريجا فرتوف"، في شكل جريدة إخبارية.[1]

ثالثا: صناعة الأفلام الوثائقية وشروط نجاحها

يعتمد الفيلم الوثائقي في أغلب الأحيان على وجهة نظر المخرج بطريقة مباشرة، يعبر فيها عن رؤيته الشخصية لواقع معين أو بطريقة غير مباشرة عبر حالات ونماذج وأماكن يختارها ويحددها هو نفسه لتمرير رسالة معينة.

- ✓ السيناريو في الفيلم الوثائقي ضروري لتوضيح مضمون الفكرة وتدبير الوقت بشكل جيد، وهو مخطط أولي أو أدبي مؤسس على واقعة حياتية ويمثل الهيكل العام والركيزة الأساسية وأثناء التنفيذ يكتمل البناء.
- ✓ السيناريو، هو الذي يساعدنا في تبني الأفكار غير الحوارية أو العامة أو غير المحددة في الزمان والمكان، وهو يمثل الهيكل للفيلم ودليل عمل يتم إغناؤه في أرض الواقع. والأصحّ أن نبني سيناريو ونجعل فيه انسيابية للمستجدات التي يمكن أن يفرزها الواقع.
- ✓ هناك نقطتين على أساسهما يبنى الفيلم الوثائقي وهما عدم المبالغة في الأحداث وأن تكون المعلومات التي وردت في الفيلم حقيقة غير مزيفة.

- ✓ إن الفيلم الوثائقي هو ذو رسالة إنسانية ومصمم أساسا ليقدم معلومات ويؤثر في المتفرج ويحثه.[2]

ويتحدث واحد من أصحاب أكبر نجاح للسينما الوثائقية وهو المخرج التشيلي "باتريسيو غوثمان" عن الفيلم الوثائقي وعن كيفية صناعته وإخراجه والصعوبات والمتعة التي تواجه صناعته في كافة المجالات للوصول للنجاح: كانت لديّ وجهة نظر جامعة وسلسلة من العوامل التي تساعدنا على بناء البرنامج الوثائقي، وهي عبارة عن 12 عاملا، ومن أهم هذه العوامل هي الشخصيات:

---

[1] . محمد بغدادي. **الفيلم الوثائقي من السلطان إلى الإنسان**. مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/2008122811156532855.html

[2] . http://www.zuhlool.org/wiki/%D9%81%D9

المقابلات- الوصف- الفعل (الأكشن)- الراوي- الموسيقى- الشريط الصوتي، وبهذه العناصر يمكن صناعة الفيلم الوثائقي. **وأما الشخصية في العمل فهي إعادة الحدث وهو الشخص الذي لديه القدرة على تذكر الأشياء التي حدثت معه، لذلك يجب البحث عن شخصيات مميزة، وهذا جانب هام جدا ويستغرق وقتا** طويلا لإنجازه، فقد يستغرق ذلك عاما كاملا في البحث عن تلك الشخصيات، وإذا لم نستطع العثور على هذا الشخص، يجب أن نغير الفكرة، **وبعد ذلك تأتي المقابلة، والقيام بالمقابلة هو فن من الصعب إتقانه لأنه يجب أن يعرف كيف يستخرج الأشياء الجيدة من هذا الشخص وأن نبدأ بالأشياء الأقل أهمية ثم الأكثر أهمية**، رويدا وأحيانا نضطر للالتفاف على هذا الشخص، وفي لحظة معينة تتخلى فيها المقابلة عن الشخصية وتتحول من الصحافة وننتقل إلى السينما، لأننا أقرب إلى الصحفيين، ولكننا لسنا صحفيين، ويمكن لصانع الأفلام الوثائقية أن يمضي سنة بكاملها ليصنع فيلما عن شجرة، أما الصحفي فهو رهن الوقت إذ أنه مجبر على تسليم المقابلة في زمن محدد، وبهذا المجال تتحرك الصحافة، فهي مختلفة بذلك، ونحن كصناع سينما يمكننا أن نتابع ونستمر أشهرا ونحن نحمل الكاميرا ونصور شخصية معينة وهذا يغير كل شيء لأننا نحصل على نوع من التواصل، أعمق بكثير، وخاصة عندما نصل لمرحلة تمكننا من جعل الشخصية تعترف بأشياء خاصة وذلك من خلال ملاحقة الشخصية، ولذلك يجب أن نكون صامدين وحذرين أثناء المقابلات، وكل مقابلة لها تركيب دراماتيكي، ولذلك المصور يجب أن يكون منتبها جدا لما يحدث، دون أن يتلقى التعليمات، وبهذه الخصوصية يمكننا أن نحصل على الفيلم الوثائقي. ومن غير المقبول للشخص الذي يقوم بالمقابلة النظر إلى أوراق أعدها سابقا حول موضوع الفيلم، فيجب أن نوجه نظرنا للشخصية المحورية دائما، وأن نسمع جيدا لشهادتها، ويجب حفظ الأسئلة عن ظهر قلب.

أما الوصف، فهو العملية التي تستوجب الانتباه، وهي مسلية أثناء القيام بها، فهي تنقل ما تراه العين إلى الكاميرا وتسجل الواقع كما لو كانت في عقولنا آلة تسجيل لما نشاهده، وهي عملية مسلية جدا وممتعة واستعادة للحظات في الحياة، أو إيقاع للحياة فالحياة بطيئة، ومع ذلك فقد عودنا التلفزيون على إيقاع سريع غير حقيقي، وذلك هو الوصف، أي تصوير الوقت والبطء هو شيء أساسي، فعندما يتوقف الشخص الذي نجري معه المقابلة عن الكلام، علينا أن لا نقطع هذا المقطع، لأننا بذلك نقوم بإدخال الوقت إلى الفيلم، فالتلفزيون يرتعب من الصمت وفي الخلفية دائما يجب أن نضع الموسيقى.

وأخيرا عن الفعل يقول "غوثمان": من السهل جدا تصوير الأكشن، ولكن في الوقت نفسه من الصعب إيجاده، والمهم في الأكشن هو الوصول إلى مكان الحدث قبل حدوثه، وهنا يكمن سر القدرة

على التصوير، **فإذا أردت أن تصور إطفاء فيجب أن تصل قبل أن يحدث الحريق** وهذا مستحيل، لكن إذا كنت تصور باستمرار، فيمكن أن تصل إلى مرحلة تستطيع فيها أن تصور الحريق، وفي **النهاية يأتي دور الراوي الذي يروي الأحداث، وأفضل شخص يمكن أن يقوم بذلك هو الشخص ذاته المخرج، ولا يجب الاستعانة بالرواة** المهنيين الذين يتحدثون بصوت متصنع فيقضون على المادة، ورواية القصة يجب أن تصل أدبيا قبل قراءتها، ويمكن القراءة عن طريق الصورة، وهكذا بهذا تصل لأفضل طريقة ناجحة لصناعة فيلم وثائقي.[1]

يتحدث "باري هامب" في مؤلفه حول صناعة الأفلام الوثائقية، عن مجمل القضايا التي تعترض عملية صناعة الفيلم الوثائقي من وجهة نظره والمستمدة بدورها من خلال خبرته العملية "..إن صناعة الفيلم الوثائقي تبدو في غاية السهولة، بل أسهل شيء، ما عليك إلا أن تمضي إلى المكان الذي يدور فيه حدث مهم، وتشغّل آلة التصوير وتسجله". وإذا تمكنت من الحصول على لقطات مصورة بآلة تصوير فيديو لإعصار يجتاح بلدة ما أو حريقا يلتهم بيوتاً قيمتها مليون دولار، فستتمكن من عرضها على التلفزيون. وكذلك، الأمر فيما لو أنك لو استطعت تجميع سلسلة من المقابلات مع أشخاص مؤهلين ومهتمين بمشاكل اجتماعية جدية فستصبح أثيرا لدى مهرجانات أفلام الفيديو التي تهتم بقضايا محددة. لكن، ولسوء الحظ، فإن المشهد الواقعي للإعصار ليس فيلما وثائقيا في الحقيقة، وإنما قصاصة إخبارية. كما أن المقابلات الطويلة مع مؤيدين جديين لأي نوع من التغيير الاجتماعي لا تصنع عادة فيلما وثائقيا. فما صنعوه هو موعظة فيديو باهتة، مقبولة فقط لدى أولئك الذين يقفون إلى جانبهم سلفا. وبالتالي فإن صناعة فيلم وثائقي أو فيلم فيديو ناجح يتطلب أكثر من ذلك بكثير.

فأولا يجب أن تصور مشهدا أو مشاهد جميلة تكون بمثابة شاهد بصري يظهر قول الفيلم الوثائقي بالمعنى البصري، كما يجب أن يكون لديك فكرة، أي مفهوم يشرح وجهة نظر الفيلم الوثائقي.

فالمقابلات يمكن أن تساعد في تحديد وجهة النظر، لكنها عادة ما تكون وسيلة مزعجة وشاقة لإيصال فكرة الفيلم الوثائقي. فهي لا تظهر الموضوع؛ وإنما تظهر أناسا يتحدثون حول الموضوع. كما يتوجب أن يكون لديك بنية – أي، تعاقب منظم للصور والأصوات تستحوذ على اهتمام المشاهد

[1] . http://www.al-madina.com/node/247353/arbeaa .

وتقدم وجهة نظر الفيلم الوثائقي بوصفها مناقشة بصرية. إن المشكلة المتكررة بالنسبة للسينما الوثائقية الحديثة تكمن تقريباً في الاعتقاد الضمني لدى العديد ممن سيصبحون مخرجي أفلام وثائقية في أن الكاميرا تقوم بطريقة أو بأخرى بكل شيء. كما إن معدات الفيديو الرخيصة الثمن جعلت إمكانية صناعة فيلم وثائقي متوفرة بين أيدي الجميع. لكن المعدات لن تجعل المشاهد التي صورتها ممتعة، ومؤثرات الديجيتال وأنظمة المونتاج اللاخطي لا يمكنها تحويل اللقطات العشوائية أو الرؤوس المتكلمة لساعات إلى بيان وثائقي درامي يقول المؤلف إن أهم شيء في صناعة الفيلم الوثائقي هو التخطيط المسبق. فالافتقار إلى التخطيط في مرحلة ما قبل الإنتاج يترك المشروع دون تصور موحد. ودون ذلك لن تكون هناك إستراتيجية واضحة لتجميع الدليل البصري المتعلق بالموضوع

من المشاكل التي تعترض صناعة الفيلم الوثائقي مشكلة المقابلة، فالمقابلة الجامدة مملة بصريا. إن طريقة الحصول على مادة جيدة في مقابلة وثائقية تكمن في تشجيع الناس على حكاية قصصهم لك، وليس في استجوابهم.[1]

انطلاقا مما تقدم يمكن القول، بأن أهم معايير نجاح الإنتاج المرئي بشكل عام هي، الإمتاع والإقناع، والإبداع، ثلاثة معايير مهمة لو تركت عند المشاهد الانطباع المطلوب فقد حقق الشريط النجاح المطلوب. ولكن، وبما أننا نتكلم عن الشريط الوثائقي، فإن خصوصية هذا الشكل الفني تقتضي ما يلي:

- ✓ أن يكون موثقا بشكل جيد ويحتوي على أفكار جديدة ومتميزة وغير متداولة، وأن تكون أفكاره ومواضيعه، ذات قيمه فكرية وحضارية ومستوى علمي راقي، وأن تطرح قضايا مثيرة للجدل والنقاش، وتثير التساؤلات، وهذا من خلال شكل فني ومعالجة متميزة.
- ✓ البحث السريع والمتقن: إن البحث المطوّل قد يعتبر مضيعة للوقت رغم أهميته بالشكل الأساسي. خصوصا إذا أراد المعد من خلال هذا تقديم وجهة نظر جديدة ومختلفة وأفكار جديدة. ولكن الإنتاج الفني يتطلب العمل السريع والمتقن، ولكن ليعلم المعد المبتدئ أنه قد يستغرق الكثير من الوقت في البداية، إلا أنه مع تكرار العمل والإعداد سيسهل عليه اقتناص الحقائق والأفكار المطلوبة بسرعة وتقديم أفضل الأعمال، فالزمن مهم في حالة الإنتاج الفني.

[1] . ناصر ونوس، **قراءة في كتاب صناعة الأفلام الوثائقية لباري هامب: من الفكرة إلى الشاشة**، مجلة الجزيرة الوثائقية. http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/10/20091041034154207 63.html

- ✓ أن يعمل الكاتب أو المعد من خلال النص والمعالجة على الاستحواذ على اهتمام المشاهد منذ البداية عن طريق الصورة والموضوع والصوت، وأن يعمل على تحفيز المشاهد من خلال العرض على التفكير في اتخاذ إجراءات عملية تساعد في حل المشاكل المطروحة في البرنامج.
- ✓ إضافة اللمسات الإنسانية على المادة العلمية أو التاريخية أو غيرها لتحريك انفعالات ومشاعر الناس وخلق الاندماج الحسي مع ما يشاهد.
- ✓ إثارة الانتباه للبرنامج عن طريق القديم والحديث، وعمل المقارنات في النواحي التاريخية والعلمية، ليصل المشاهد لعمل حلقة وصل بين الماضي والحاضر وتحليلاته والمستقبل وتوقعاته.
- ✓ أن يتم إنتاج البرنامج بميزانية معقولة وبسيطة ليحقق التأثير المطلوب له والنجاح.
- ✓ دعم البرنامج بالحقائق المدعمة بالصور أو بالمقابلة مع الباحث المختص أو بالوثائق المطلوبة والابتعاد عن الكلام فقط للحشو.
- ✓ أن يكون النص بسيطا وجذابا ومؤثرا، وإن كان النص علميا فليكن علميا متأدبا لأنك لا تكتب للأذن، بل تكتب لعين المشاهد فالعين تغلب الأذن في استقبال الرسالة.
- ✓ يجب الأخذ بعين الاعتبار أنه في حال زادت مدة عرض الفيلم، قل عنصر التشويق، وبالتالي يجب وضع قطع مغناطيسية على طول الطريق لجذب المشاهد ودفعه للحركة باستمرار للأمام.[1]

رابعا: الفيلم الوثائقي في العالم العربي

يذهب البعض إلى أنه وعلى الرغم من كون الفيلم الوثائقي هو رؤية شخصية للواقع، فإنه عربيا تأثر بثقافتنا الخاصة، وهو أمر محمود باستثناء تلك المعايير التي تخرج الفيلم الوثائقي عن

[1] . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص، 46.

شروطه المهنية والفنية، ومن ذلك أننا مازلنا نتمسك بثقافة الكلام لا الصورة، فتأتي الأفلام الوثائقية العربية معتمدة بشكل كبير على قوة الكلمة لا قوة الصورة.[1]

4. 1. بداية الفيلم الوثائقي العربي:

لم تتأخر السينما الوثائقية العربية كثيرا عن اللحاق بركب صناعة السينما العالمية، متمثلة في السينما المصرية ذات التاريخ العريق في هذا المجال، إذ تبوأت السينما المصرية موقع الصدارة في منطقة الشرق الأوسط منذ البداية، وشاركت مصر في الانطلاقة الأولى للسينما العالمية منذ السنة الأولى لها. وقد كان تاريخ أول عرض سينمائي في مصر مساء يوم الخامس من نوفمبر عام 1896، أي بعد أقل من عام واحد من تاريخ عرض الأخوين "لوميير"، وكان ذلك في بورصة "طوسون" بالإسكندرية، حيث تم عرض فيلم فرنسي أخذ شكل الجريدة السينمائية من عدة مشاهد قصيرة، تضمنت موضوعات:(المتصارعين، أهالي مدغشقر، رقصة الكاتكان)، وفقراتٍ أخرى قصيرة من أفلام الأخوين "لوميير".

وتبع ذلك محاولات فردية قام بها "لا جاردان" صاحب سينما "لا جاردان" بالإسكندرية و"عبد الرحمن صالحين"، إلاّ أن أول اسم سينمائي متخصص ظهر في مصر هو الرائد "محمد بيومي"، عندما عاد من النمسا عام 1923، بعد أن درس التصوير السينمائي، وأحضر معه المعدات الخاصة بذلك، وافتتح أول استوديو للإنتاج السينمائي في مصر. كانت أول إنتاجاته: جريدة سينمائية مصرية تحمل اسم "آمون"، عام 1923. وظهرت منها ثلاثة أعداد تضمنت عدة مناسبات قومية هامة. وظل محمد بيومي. يقوم بتصوير كل المناسبات المثيرة الهامة، وبعد هذه التجارب الهامة التي قام بها بيومي، ظهر أول فيلم تسجيلي في تاريخ السينما المصرية عام 1924، ليواكب افتتاح مقبرة "توت عنخ آمون"، والذي أخرجه "محمد بيومي" أيضا. وكانت مدته ثمان دقائق، ثم تلاه فيلم "حديقة الحيوان" من إخراج "محمد كريم"، والفيلم الوثائقي:"الحج إلى مكة" عام 1938 للمخرج "مصطفى حسن"، كما قدم المخرج

[1] . أسعد طه، **صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي: الواقع و التحديات**، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2. السنة 2007. ص. 39 1

"صلاح أبو سيف" فيلما عن وسائل النقل في مدينة الإسكندرية عام 1940. وقد تحول كل هؤلاء ليصبحوا من أعمدة السينما الروائية المصرية.[1]

وقد تميزت فترة الأربعينيات بتركيز السينما الوثائقية المصرية على أفلام الدعاية للمشروعات الوطنية والأفلام الإرشادية..، كما اعتمدت بعض الوزارات المصرية السينما الوثائقية لنشر والإرشاد الزراعي والصحي والاجتماعي، بعد ثورة جويلية 1952، زاد الاهتمام بالفيلم الوثائقي، لما له من دور في توعية الشعب المصري والدعاية لمبادئ الثورة ومشروعاتها. وفي عام 1963، تم إنشاء إدارة الأفلام الوثائقية ملحقة بالشركة العامة للإنتاج السينمائي، وفي عام 1967 تم إنشاء المركز القومي للأفلام الوثائقية والقصيرة، وبعد ذلك حل محلها الوكالة العربية للسينما، ومع نهاية الستينات وبداية السبعينات بدأت بعض الشركات الخاصة في إنتاج بعض الأفلام الوثائقية. فأنتجت أفلاما ذات مضامين فنية و اجتماعية وسياحية. ومن الفنانين الذين أسهموا في هذا الاتجاه، " رمسيس نجيب"، " و"صلاح أبو سيف"، "عبد القادر التلمساني"، و" حسن التلمساني "و"هاشم النحاس" وغيرهم. في عام 1972 تم إنشاء جماعة السينمائيين الوثائقيين المصريين، بهدف تدعيم الفيلم الوثائقي و تحقيق الرسالة الجادة في التعبير الخلاق، وفي عام 1948، صدر قرار وزاري بإلزام دور العرض السينمائي في مصر بأن يتضمن برنامج العرض فيلما تسجيليا قصيرا لا تزيد مدته عن خمسة عشر دقيقة، وهذا لدعم ونشر الفيلم الوثائقي.[2]

وكان الفيلم الوثائقي المصري رغم ارتباطه برأس المال في بداياته –جريدة شركة شل المصورة– وبالسلطة السياسية بعد ذلك –جريدة مصر السينمائية وأفلام عن السدّ العالي والتنمية في مصر–، والتي جاءت نتاج اهتمام حكومات ثورة 23 يوليو بتوثيق منجزاتها والدعاية لها، وهو ما أكده الرائد الوثائقي المخرج "سعد نديم" في كتابه "تاريخ السينما الوثائقية في مصر": "...من المعلوم أن السينما قد نشأت تسجيلية وكانت مدة عرض الفيلم تتراوح بين دقيقتين حتى وصلت إلى ساعة وما يزيد عن الساعتين.[3]

---

[1] . محمد بغدادي، **الفيلم الوثائقي من السلطان إلى الإنسان**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/2008122811156532855.html

[2] . . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص، 18.

[3] . أسامة صفار. **السينما.. ذاكرة المنسيين في الأرض.** مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/07/201078105112196290.html

إذن، كانت البداية الحقيقية للأفلام الوثائقية العربية في الأربعينيات وعلى شكل أفلام تعليمية أو دعائية، إما رسمية أو حكومية أو تابعة لهيئات دولية، بعد عام 1967. بدأت نهضة حقيقية للفيلم الوثائقي العربي. ويحسب لمنظمة التحرير الفلسطينية دورها في تبني العديد من صناع الأفلام وإنتاجاتهم الوثائقية المستقلة. وقد سطع اسم عدد من المخرجين العرب في المهجر، لبنان، مصر، سوريا، فلسطين والعراق. وفي أواخر التسعينات وبعد انطلاق قناة الجزيرة الفضائية وما تلاها من قنوات عاد الاهتمام الإنتاجي بالفيلم الوثائقي ودوره وغايته.[1]

4. 2. أهمية الفيلم الوثائقي العربي:

يرى البعض أن الفيلم الوثائقي بمختلف أنواعه يمثل حلقة اتصال ثقافي بين عالمنا العربي وبين الأمم الأخرى، لذلك فمهمته هي لفت النظر لنا ولقضايانا، وهذا المجال لو أحسنا التعامل معه واختيار أفكاره سيصبح إنتاج الأفلام الوثائقية أمرا واقعا تحدده احتياجات السوق، وهذه المسؤولية تقع على عاتق الكاتب المتخصص، والذي يجب أن يراعي ويضع في الحسبان، أن الهدف الحقيقي من النهوض بالفيلم الوثائقي العربي، هو إحياء ثقافة ووعي الأمة.

فالعالم العربي مطالب بأن يؤسس صناعة وثائقية ذات طابع علمي تجد القبول والرضا خصوصا في نواحي البحث العلمي والاكتشافات والتقنيات والعلوم. في مقابل زمن امتلك فيه الغرب زمام صناعة العلم والإعلام. ولو تأملنا ما يقدم لنا من برامج سنجد أنها تقدم بشكل فني وعلمي راقي ولكنه ممزوج بقيم الحضارة الغربية المادية التي تسيطر على حياتهم في كثير من الأحيان، وهذا النموذج يبقى غريبا عن الأمة العربية وفي الغالب لا يناسبها. لذلك من الأفضل البحث جيدا في تاريخنا وثقافتنا وعلومنا القديمة ودمجها مع روح العصر وعلومها.

انطلاقا من اعتبار الفيلم الوثائقي العربي وسيلة اتصالية، يفترض فيه تقديم رسالتين الأولى موجهة للمشاهد العربي، تستهدف الارتقاء بمستواه المعرفي والعلمي بلغة بسيطة يفهمها الجميع. تساعد

[1] . أيمن عبد الحليم نصار– مرجع سابق– ص، 18.

في تشكيل الوعي بعيدا عن أفكار التطرف والعنف. والثانية موجهة لباقي المشاهدين عبر العالم. ففي حال ترجمة الأفلام الوثائقية إلى لغات أخرى يكون بالإمكان تقديم إجابات عن الكثير من التساؤلات التي تطرحها شريحة هامة من المشاهدين العامة والخاصة في الغرب والعالم حول الإسلام والمسلمين وأفكارهم ومعتقداتهم. فالتعريف بالقيم العربية والإسلامية الأصيلة، وتصحيح الفكر المشوه السائد لدى الغرب عن الإسلام والمسلمين وعدم صحة ربطهما بالإرهاب، من خلال معالجة الأفكار معالجة خلاقة تدل على المستوى الحضاري والفكري العربي خلال أوج الحضارة الإسلامية المتميزة، وأن هذا التراث سيبقى في صلب الفكر العربي المعاصر مهما يطغى على السطح من اغتراب فكري.[1]

4. 3. مقومات الفيلم الوثائقي العربي:

لعلنا نجد في الامتداد الجغرافي الواسع للعالم العربي وتنوع بيئاته، مجالا واسعا تتحرك فيه الكاميرا للتصوير، وتحديدا بالصحراء العربية وما لها من خصوصية، وسحر خاص بها والذي قد يوازي خضرة وجمال الغرب. والعالم العربي اليوم يشكل بؤرة اهتمام وأرض ساخنة تتفاعل عليها الأحداث، واستغلال الأمر من خلال إخراج أفلام وثائقية راقية تخاطب الغرب بلغتهم وتوصل لهم أفكارنا ومفاهيمنا. وتاريخ المنطقة العربية العريقة غني بمقومات مهمة للكثير من الأعمال، ولقد قام الغرب قبلنا بدراستها وتصويرها وتصديرها لنا، فالحضارة السومرية والفرعونية وبدايات الحضارة الإنسانية وغيرها من أقدم حضارات الأرض، ارتبطت بالكثير من المعارف والعلوم، وتركت آثارها على كامل المنطقة. وستبقى مادة مهمة في كل وقت، فما يميز موضوعات الفيلم الوثائقي والتي بالإمكان طرحها بأشكال فنية متعددة ومعالجات مختلفة.

كما أن الفيلم الوثائقي يجب أن يعيد إحياء التراث العربي الإسلامي الأصيل والزاخر بالمعارف والعلوم والذي لم ينل قدره من الاهتمام والتعريف به فهو من مقومات الأمة العربية. وتكمن بين طياته الكثير من الأفكار التي يمكن أن تغني الشاشة.[2]

بالنظر إلى حجم ونوعية الأفلام الوثائقية العربية مقارنة بالأفلام المترجمة للعربية، والتي تستورَد من دول عديدة، غالبا ما تكون أقل درجة نوعيا. وهي قضية تشغل بال كل من يعمل في هذا المجال وحلم يراود الجميع في أن يخترق الفيلم الوثائقي العربي الأسواق العالمية، الأمر لا يبدو

[1] . المرجع السابق، ص ص، 67-68.
[2]. المرجع السابق، ص، 69.

مستحيلا خصوصا بالنظر إلى الجوائز العالمية التي تنالها تلك الأفلام في المهرجانات العالمية للأفلام الوثائقية. ليبقى السؤال مطروحا حول عائق تسويقها إلى البلاد الأجنبية ودخول السوق العالمية.[1]

4. 4. العقبات التي تواجه الفيلم الوثائقي العربي:

إن الأكيد أن صناعة الفيلم الوثائقي بدأت تشق طريقها في العالم العربي، وهو أمر محمود سواء كان للأسباب السابقة أو لغيرها، غير أن هذا الفن المتميز يواجه مجموعة من العراقيل والمشاكل، لعل أولها وأخطرها هو ندرة الكفاءات العاملة في هذا الميدان، سواء من المخرجين أو الباحثين أو المنتجين، غير أن المخرج بصفة خاصة باعتباره المسؤول عن العمل هو المشكلة الأهم، فقلّما تجد مخرجا في العالم العربي يحمل هم الفيلم الوثائقي ويؤمن به ويخلص له، وحتى أولئك الذين يعملون في هذا المضمار إنما أجبرتهم ظروفهم على ذلك، بعد أن أغلقت في وجوههم أسواق الأفلام الدرامية. لذلك تجد مخرج الفيلم الوثائقي – في الأغلب– يعمل وعيناه على الدراما، ولا يرى في الفيلم الوثائقي إلا سلما يقوده إلى عالم الأفلام الروائية التي تجمعه بالنجوم وتسلط عليه الأضواء. وما يقال عن المخرجين يقال عن الكوادر الأخرى الصانعة للفيلم الوثائقي.

المشكلة الأخرى التي تواجه صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي هي ضعف الميزانيات المرصودة، فميزانية الفيلم الوثائقي العربي لا تزيد في أحسن الأحوال وليس أسوأها على ثلاثين بالمائة من ميزانيات الفيلم الوثائقي في العالم الآخر، سواء كان أوروبيا أو أمريكيا أو غير ذلك. والمسألة تعود مرة أخرى إلى ثقافة الكلام، فالمعنيون بالأمر في القنوات والمؤسسات الإعلامية يجدون أن ميزانية البرامج المبنية على الحوارات الحية أو المسجلة متدنية للغاية مقارنة بميزانية الأفلام الوثائقية، وهم باعتبار أن لا خبرة لهم في هذا المجال لا يستطيعون استيعاب حجم الأموال التي تنفق على عمليات التصوير والمونتاج.

يضاف إلى ذلك افتقاد آلية لتوزيع هذه الأفلام؛ بمعنى أن السوق العربي لا يعرف شركات لتوزيع الأفلام الوثائقية، أو شركات توزيع يكون الفيلم الوثائقي ضمن أعمالها. وبالتالي فعلى منتج الفيلم الوثائقي أن يجتهد بنفسه في خوض غمار السوق لتوزيع عمله، وهو ما يضيف عبئا جديدا عليه؛ بمعنى أن عليه أن يمارس كل مهام صناعة الفيلم الوثائقي منذ ميلاد الفكرة إلى إنتاجها وتوزيعها.

[1] . المرجع السابق، ص ص، 71-77.

إضافة إلى ندرة الكفاءات وضعف الميزانيات وفقدان آلية للتوزيع، فإن هناك مشاكل وعقبات أخرى تخص هويتنا العربية سواء كان تصوير العمل وإنتاجه داخل العالم العربي أو خارجه. فسقف الحريات محدود والرقابة في بعض البلدان مفروضة، عامة أو ذاتية يفرضها المخرج أو المنتج على نفسه متخيلا أن سلطات هذا البلد أو ذاك تفرضها.

أما في خارج العالم العربي، فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرضت عقبات وحساسيات في التعامل مع العرب في غير أوطانهم حتى ولو كانوا يعملون في مجال السينما والفن والإعلام- حساسيات أمنية وسياسية تحد من تحركاتهم وتقيدها.[1]

ويحدد الأستاذ "فرج شوشان" جملة من العقبات التي تواجه صناعة الأفلام الوثائقية العربية وهي:

- ✓ لا توجد هياكل متخصصة للوثائقيات في مستوى تنظيم العمل.
- ✓ لا توفر بعض الهيئات الوسائل المادية والتقنية الضرورية لإنجاز الإنتاج الوثائقي المتميز.
- ✓ لا يعهد بالأعمال الوثائقية لخيرة المخرجين والفنيين، وفي بعض الأحيان قد يغيب المخرج.
- ✓ لا وجود لمشروع كتابة مسبق ولا تحديدَ للمقاصد والأهداف والغايات.
- ✓ لا ترصد ميزانيات أو اعتمادات خاصة للإنتاج الوثائقي.
- ✓ مكافآت العاملين في هذا الحقل ضعيفة بالنسبة إلى أنواع أخرى من الإنتاج التلفزيوني.
- ✓ أما عن الرعاية والدعم الخارجي على غرار البرامج والمسلسلات والكليبات، فهو غير متوفر.
- ✓ لا يتم العمل عادة بطريقة الشراء المسبق ولا الخيار المسبق بالنسبة لاقتناء الوثائقيات مثلما هو رائج في التعامل في شأن أصناف أخرى من الإنتاج.

أما القيمة المالية لشراء الأفلام الوثائقية فهي لا تشجع المنتجين والموزعين على الاستمرار في إنتاج هذا الصنف.

[1] . أسعد طه ، مرجع سابق، ص. 40. 41.

وتبقى الكثير من الأسئلة المحيرة قائمة: لماذا يبقى حجم بث الوثائقيات ضئيلا في القنوات العربية؟ ولماذا يبقى حجم إنتاج الوثائقيات هزيلا ولا يصل إلى الأسواق العالمية إلا ما ندر؟ كل هذا على العكس من أوضاع أسواقها التي هي في نمو وازدهار؟[1]

عموما، بالإمكان القول أن صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي تعاني من مشاكل وعقبات عديدة، لعل أهمها التهميش الذي تعرفه من قبل دور الإنتاج العربية مقابل اهتمام مفرط بالفيلم الروائي الذي ظل دون منازع المهيمن على المشهد السمعي البصري العربي لأسباب عديدة. لكن إذا كان الإنتاج الوثائقي ضحية لعزوف المنتجين المصابين بـــ"هوس" معادلة "لا أنتج إلا لأربح"، فإن أسبابا عديدة تجمعت لتبقى هذه الصناعة دون تطلعات المواطن العربي. وفي هذا الصدد يرى الخبير اللبناني في إنتاج الأفلام الوثائقية "جون شمعون" أن هناك عدم احترام للفيلم الوثائقي في العالم العربي، وأن هناك عدم تعويد للمشاهد العربي على هذه النوعية من الأفلام، رغم اهتمامه عن قرب بواقع الإنسان وهمومه. فيقول: "أُحمِّل القنوات التلفزيونية العربية العامة والخاصة المسؤولية كاملة على تهميش الفيلم الوثائقي وعدم برمجته على حساب أفلام روائية تفسد ذوقه ولا تفيده في شيء" حسب تعبيره. وتابع شمعون "لنقارن بين الوثائقي في الغرب والوثائقي عندنا العرب، الفرق شاسع وكبير، إنهم يقدرون هذه النوعية ويهتمون بها لأنها صادقة أكثر ومخلصة للواقع وتعالج مواضيع حقيقية تنطلق من الإنسان وتتفاعل معه".

إن المنتجين العرب لا زالوا في مرحلة متأخرة في تعاملهم مع الفيلم الوثائقي، ويرى الخبراء عدم التفريق بعد بين الروبورتاج والوثائقي، في حين أن لكل من هذين النوعين تقنياته وأساليبه في طرح المواضيع والتعامل معها وإخراجها. ويؤكد مخرج الأفلام الوثائقية "محمد إقبال شقشم" هذا الرأي، معتبرا أن من بين المشاكل التي لا زالت تقف حجر عثرة أمام الأفلام الوثائقية، أنها لا تُعرض في قاعات السينما على غرار الأفلام الروائية، وبالتالي لا تحظى باهتمام المنتجين والممولين. "ليس هناك سوق للأفلام الوثائقية العربية، لا زلنا نعيش فترة التعويل على الآخر، وأعني هنا الدبلجة عن

[1] . فرج شوشان، **صناعة الوثائقيات: من واقع الحلقة المفرغة إلى آفاق الحلقة الفاضلة**، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2، السنة 2007. ص. 18.

القنوات الأجنبية، التي لها الجرأة والخبرة الكافيان حتى تمرر وجهة نظرها الخاصة التي قد لا تنطبق مع الواقع والعقلية العربيين".

ويتفق معه في هذا الرأي منتج الأفلام الوثائقية والروائية التونسي "لطفي لعيوني" الذي اعتبر غياب القنوات التلفزيونية وصالات السينما المختصة عائقا أمام إنتاج أكثر كما وأحسن جودة. ورأى "لعيوني" أن الأوروبيين والأمريكيين أنشأوا قنوات تلفزيونية تركز كليا على الأفلام الوثائقية بجميع أنواعها واستشهد بـــ"أرتي" الفرنسية الألمانية و"الخامسة الفرنسية" و"بي بي سي" الإنجليزية و"ديسكوفري" الأمريكية "و"زاد دي أف" الألمانية، في حين يكاد يندر وجود أي قناة عربية مختصة حتى الآن، حسب قوله.

ولا شك أن الأمور بدأت بالتغير مع انطلاق قناة الجزيرة الوثائقية التي تبنّت إلى حد كبير صناعة وتسويق الوثائقي في العالم العربي. وهو ما سنتطرق إليه في الفصل التالي.

4. 5. الثقافة الوثائقية وصناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي

يتفق أغلب المهتمين بالأفلام الوثائقية تقريبا على أن مسألة الإنتاج مرتبطة كليا بالسوق التي تمثل الممول الأساس لصناعة وثائقية عربية صلبة، يكون فيها الكم سبيلا إلى تحسين وتجويد الشكل والمضمون، ونقطة الانطلاق لبناء ثقافة وثائقية عربية حقيقية.

وأكد "محمد بلحاج" المختص في إخراج الأفلام الوثائقية تأييده لهذا الرأي، معتبرا أن منتج الوثائقي العربي ومتلقيه على حدٍّ سواء ليس لديهما ثقافة الوثائقي، لأنهما تعوّدا على ثقافة الكلام وهي الصفة الأولى للفيلم الوثائقي. "الوثائقي صورة تعبر عن نفسها والكلام تكملة للصورة لا أكثر"، حسب "بلحاج" الذي أضاف أن شعار الفيلم الوثائقي هو باختصار شديد "صورة أحسن من ألف كلمة".

ومن النقاط التي لا تقل أهمية عن الأولى وتفسر ضعف الإنتاج الوثائقي عربيا، هي التكوين الأكاديمي الذي ظل ولازال بدائيا هذا إن وجد أصلا. ويقول "بلحاج" في هذا السياق "أغلب المخرجين العرب ليست لديهم دراية بتقنيات الفيلم الوثائقي وتقنياته التي تختلف كليا عن الفيلم الروائي، هناك خلط كبير بين الاثنين، وجهل أيضا بمدرسة الإخراج الوثائقي الذي هو بكل بساطة إجابة عن سؤال "متى، أين وكيف أصطاد الصورة؟"، ولم تعد مسألة التضييق الذي يلقاه الفيلم الوثائقي بصفته ينقل الواقع

بجميع مستوياته السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي مسألة مؤثرة..خاصة مع بروز قنوات خاصة جديدة مختصة وشبه مختصة في بث الأفلام الوثائقية.[1]

بالرغم من الأهمية الفائقة للأفلام الوثائقية ودورها الكبير في كثير من مجالات الحياة ؛ وفي كثير من الميادين :التاريخية، الدينية، السياسية، الاجتماعية، الثقافية الخ. فإننا ــ في الجزائر ــ نعاني من إشكال كبير في هذا المجال، وهو"الفراغ" الكبير في مجال الأفلام الوثائقية، وخلو الساحة الإعلامية ــ السمعية البصرية ــ تقريبا من هذا النوع من الأفلام ذات الفائدة، علما أن منجزا كبيرا مثل الثورة التحريرية ــ وحده ــ كان كفيلا بـــ"صناعة" قائمة بذاتها في مجال الأفلام الوثائقية، حفظا لذاكرة الشعب والمجتمع، في كفاحهما المرير للحفاظ على الأصول والجذور..إنه لشيء مؤسف بالفعل أن تخلو الساحة من مثل هذه الأفلام في الوقت الذي تعج فيه بإنتاجات هابطة وغير ذات قيمة وملأى بالسخافات والترهات التي تمول بملايين الدينارات. فيما تبقى كثيرا من الموضوعات والقضايا في الظل، بل في الظلام، كأنه أمر وراءه مقصود.[2]

.(http://dvd4arab.maktoob.com/showthread.php?t=2211455)

وفي دمشق عقدت فعاليات سينما الواقع في دورتها الثالثة، في أوت 2010، استمرت لمدة تسعة أيام برعاية المؤسسة العامة للسينما في سورية، وأقيمت في كل من مدينتي حمص وطرطوس بالإضافة إلى العاصمة دمشق، فعاليات هذه السينما اعتبرت مهرجانا للأفلام الوثائقية وفرصة استثنائية وغير مسبوقة في العالم العربي للقاء مع بعض أشهر السينمائيين الوثائقيين وتقديم الأفلام وتدريب الشباب. واشتملت أيام الفعاليات على نشاطات متخصصة تحت عنوان "الفرص البديلة" للإنتاج والتوزيع الوثائقي في العالم العربي، وذلك عبر برنامج تبادل يدعو المختصين من منتجين وموزعين وممثلي محطات تلفزيونية وصناديق دعم ومهرجانات، للمشاركة في مجموعة من النشاطات التفاعلية. ومن الجدير بالذكر أن برنامج سينما الواقع هو نشاط خاص غير ربحي يهدف إلى رفع الاهتمام بالسينما الوثائقية في سورية من خلال التعاون مع جهات محلية ومدارس ومعاهد عربية وعالمية بهدف تشجيع صناعتها والإقبال عليها. (http://www.al-madina.com/node/247353/arbea).

---

[1] . ماهر محمد خليل، **الفيلم الوثائقي العربي يعاني من التهميش.**

http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=1028058

[2] . http://www.al-madina.com/node/247353/arbea

الخلاصة:

تطرقنا في هذا الفصل إلى العديد من النقاط التي تتعلق بالفيلم الوثائقي كان من أبرزها: أن تعرفنا على مفهوم الأفلام الوثائقية وخصائصها ومميزاتها، كما تطرقنا إلى توطئة تاريخية تعرضنا فيها إلى الأحداث التي صاحبت ظهور الفيلم الوثائقي وتطوره منذ ظهوره إلى وقتنا الحاضر وتأثير البث الفضائي والمنافسة بين العدد الهائل من القنوات الفضائية، كما تحدثنا على أهمية الأفلام الوثائقية، وأنواعها، كما كان جدير بنا أن نتعرض إلى موضوع تقني لكنه مهم على كل حال وهو كيفية صناعة الأفلام الوثائقية وشروط نجاحها وفي الأخير تطرقنا إلى موضوع الفيلم الوثائقي في العالم العربي، حيث تناولنا فيه بداية الفيلم الوثائقي العربي وأهميته ومقوماته والعقبات التي تواجهه كما تناولنا في هذا الموضوع صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي

الفـــصـــل الثالث

الجماعات الدينية

تمهيد

أولا: مفهوم الجماعات الدينية

ثانيا: خصائص الجماعات الدينية

ثالثا: تطور الجماعات الدينية

رابعا: التناول السوسيولوجي لظاهرة الجماعات الدينية

خلاصة الفصل

تمهيد:

يعتبر موضوع الجماعات الدينية من أكثر المواضيع استقطابا للتناول السوسيولوجي خاصة في الوقت الحاضر، انطلاقا من مكانتها داخل المجتمع وانتشارها الواسع، بالإضافة إلى تأثيراتها والأدوار التي تؤديها في المجتمعات المعاصرة.

وسوف نحاول من خلال هذا الفصل التطرق إلى مفهوم الجماعات الدينية، وتعريفها لغة واصطلاحا، وسوف يجرنا هذا بالتأكيد إلى تعريف الدين الذي على أساسه تتكون هذه الجماعات، ثم نتعرف على خصائص الجماعات الدينية، التي تميزاها عن باقي الجماعات الأخرى، ثم نعرض للحديث عن تطور الجماعات الدينية، المرتبط أساسا بتطور مفهوم الدين عبر العصور وتغير وظائفه من مجتمع إلى آخر، وأخيرا سوف نتحدث عن التناول السوسيولوجي لظاهرة الجماعات الدينية، والاختلافات بين الاتجاهات الحديثة والتقليدية في تناول الموضوع، ثم نتحدث عن الجماعات الدينية المختلفة في المجتمعات القديمة والحديثة، ثم ننهي الفصل بملخص لما ورد فيه من أفكار.

أولا: مفهوم الجماعات الدينية والمفاهيم المرتبطة به:

تعتبر الجماعة الدينية وحدة اجتماعية، بخصائص ومميزات معينة، وقبل الحديث عن أنواعها يجب تحديد هذا المفهوم بدقة، من الناحية اللغوية والناحية الاصطلاحية عند علماء علم الاجتماع وعلماء علم النفس الاجتماعي.

1.1. مفهوم الجماعة:

لا تشكل الجماعة كما يرى "ر. بودون وف.بوريكو" علاقة اجتماعية بسيطة وبدائية، إنها في آن معا، معقدة لأنها تجمع بطريقة هشة مشاعر ومواقف متنافرة، ويتم تعلمها، لأننا نتعلم المشاركة في جماعات متضامنة، وذلك بفضل مسيرة مجتمعية لا تكتمل أبدا رغم صعوبتها. وهي ليست أبدا نقية، بما أن الروابط الجماعية تقترن بالغايات والنزاعات وحتى العنف.[1]

وللتعرف أكثر على مفهوم الجماعة من الضروري الانطلاق من معناها اللغوي.

1.1.1. الجماعة لغة: هذا المفهوم، مأخوذ من الاجتماع، وهو ضد التفرقة، يقال: "جمع الشيء عن تفرقه فاجتمع، وجمعت الشيء إذا جئت به من هنا وهناك".

وهذا الاجتماع قد يكون حسيا كاجتماع الناس في مكان ما –أي رابطة مكانية تاريخية كالرابطة القومية– وقد يكون معنويا كاجتماع الأمة على الإيمان بالله ورسوله في رابطة إيمانية تتجاوز المكان، بل قد تتجاوز الزمان بالتواصل مع الأمة عبر التاريخ، وتقدير منزلة هذا التاريخ في إطار المرجعية.

لم يرد لفظ الجماعة في القرآن الكريم، وإن كان معنى "الجماعة" قد ورد عدة مرات مرتبطا بالترغيب في الالتزام بها، والنهي عن التفرق والتنازع والفشل.

ولكن لفظ "**الجماعة**" قد كثر وروده في السُّنة المطهّرة، والمتتبع لمواضع ورود هذه الكلمة في السنة يجد أنها تأتي دائما في مقابلة التفرق المذموم، وذلك في مثل: قوله (صلى الله عليه وسلم): "**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة**" رواه أحمد الترمذي.

---

[1]. ر. بودون وف.بوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987. ص، . 250.

– وورد في حديث أبي الدرداء –رضي الله عنه–: "... **فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**"، رواه أبو داود والنسائي والحاكم.[1]

2.1.1. الجماعة عند علماء علم الاجتماع:

أما في علم الاجتماع: فيعرفها "بوتومور" بأنها "تجمعات من الأفراد، تنشأ بينهم علاقات اجتماعية، كما يكون كل فرد واعيا بالجماعة ذاتها وبالرموز السائدة فيها. وبعبارة أخرى يمكن تعريف الجماعة بأنها بناء أو تنظيم سياسي على الأقل يتضمن القواعد والطقوس، وأساسها سيكولوجي يتمثل في وعي أعضائها". وطبقا لهذا التعبير يصبح كل من الأسرة، والقرية، والأمة والنقابة والحزب السياسي جماعات اجتماعية.[2]

كما يطلق مصطلح الجماعة عموما على الجماعات التي يوجد تفاعل بين أفرادها، وتتميز بأن لها أهداف عامة مشتركة، كما أنها تعمل على إشباع حاجات الأعضاء، ويعتبر وجود التفاعل والأهداف المشتركة وإشباع حاجات الأفراد أهم شروط وخصائص الجماعات.[3]

فيما يذهب "شينوى" إلى تعريف أكثر تركيزا على خصائص الجماعة وهو قريب لتعريف الجماعة الدينية تحديدا حيث يتصور الجماعة بأنها: عدد من الأشخاص تقوم بينهم علاقات وتتحدد على ضوئها نوعية المراكز والأدوار فيها، كما يشاركون في أنماط محددة من القيم والمعتقدات الدينية، كما أن لديهم نوعا من الوعي بطبيعة قيمهم المشتركة، وبعلاقاتهم ببعض، والتي عن طريقها يمكن تمييز أنفسهم عن الآخرين1. أما عبد الله عبد الرحمن فيحدد الجماعة كنسق من العلاقات الاجتماعية التي تربط أفرادها أو أعضائها عن طريق وجود نوع من التضامن والمشاعر والعواطف والأهداف والمصالح المشتركة بينهم. كما تتحدد أدوارهم ومراكزهم داخل الجماعة، باعتبارهم أعضاء بها عن طريق تقسيم العمل والتخصص، وتحديد الأدوار والمراكز ونوعية الولاء والانتماء.[4]

---

[1] .http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem

[2]. عبد الله عبد الرحمن، **علم الاجتماع النشأة و التطور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص. 224.

[3]. ضياء الدين إبراهيم نجم، **الجماعات الاجتماعية : مداخل نظرية ومواقف تطبيقية**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر. 2002. ص، 12.

[4]. عبد الله عبد الرحمن، مرجع سابق، ص. ص، 224. 225.

2.1. مفهوم الجماعة الدينية

تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الجماعة الدينية كغيره من المفاهيم السوسيولوجية الكثيرة، يفتقد للإجماع من قبل المختصين، حول طبيعته وخصائصه، ويمكن ردّ ذلك الاختلاف إلى اختلاف مفهوم الدين وتنوع المعتقدات الدينية[1]. فالجماعة الدينية قد تعرّف مُعتقدها الديني بأنه قوة الإيمان بقوة علوية سامية تأمر الناس بقيم أخلاقية وأنماط سلوكية معيّنة، وتبشّرهم أو تنذرهم بحياة أخرى. لكن؛ مثل هذا التعريف قد لا يصدق على جميع المعتقدات الدينية في العالم. وبالتالي، فهو لا ينطبق على كل الجماعات الدينية.

ولتحاشي الوقوع في منزلقات التحيز الثقافي، يجب أن تُستثنى بعض الخصائص التي لا تشترك فيها الديانات كافة. وينبغي في بداية الأمر عدم المطابقة بين الدين والوحدانية؛ أي الإيمان بإله واحد. فهناك بعض المعتقدات الدينية الشائعة اليوم تؤمن بما هو أكثر من إله واحد من جهة، كما أن ديانات أخرى لا تتضمن مفهوم الألوهية الشائع في المعتقدات الأخرى من جهة ثانية. لذلك، من الضروري تفادي الربط بين الدين من ناحية والتعليمات والتوجيهات الأخلاقية التي تحدّد أنماط السلوك البشري من ناحية أخرى. إذ إن بعض الديانات على سبيل المثال لدى قدماء اليونان وبعض الحضارات الآسيوية الراهنة، لا تتضمن سلوكا أخلاقيا محددا باعتبارها من مكوناته الجوهرية. يضاف إلى ذلك أن الديانات لا تحدد كلها بالضرورة الطريقة التي خلق بها هذا العالم أو تتبع أصوله الأولى وتطور الكائن البشري فيه. كما أن الكونفوشية وديانات أخرى على سبيل المثال، لا تتطرق إلى مثل هذه القضايا الجوهرية، بل تركّز اهتمامها على طابع الانسجام الطبيعي والتوازن في العالم.[2]

ومن أجل توضيح ذلك، يصبح من الضروري التعرف على مفهوم الدين؛ الذي يعتبر ظاهرة مميزة لكل المجتمعات الإنسانية السابقة والحاضرة واللاحقة، وقد كانت مساهمة علم الاجتماع والأنثروبولوجيا في معاملة الدين بصفته واقعة اجتماعية وبالتالي إنسانية، تتحدى كل الاختزالات، حتى ولو كانت قابلة لأشكال متنوعة في المكان والزمان.[3]

---

[1]. أنظر: نبيل محمد توفيق السمالوطي، **الدين و البناء العائلي**، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، السعودية، 1981، ص،ص، 46،41.

[2]. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2005، ص 569.

[3]. ر. بودون وف.بوريكو–مرجع سابق–، ص، 316.

3.1. تعريف الدين:

الدين، مصطلح مثير للجدل يعنى وبشكل متبادل: الإيمان، ويعرّف عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بما فوق الطبيعة، المقدس والإلهي. كما يرتبط بالأخلاق، الممارسات والمؤسسات المرتبطة بذلك الاعتقاد. وبالمفهوم الواسع، كما عرّفه البعض على أنه المجموع العام للإجابات التي تفسر علاقة البشر بالكون. وفي مسيرة تطور الأديان، أخذت عددا هائلا من الأشكال في الثقافات المختلفة وبين الأفراد المختلفين.

1.3.1. تعريف الدّين لغة: والدِّين يراد به: ما يَتَدَيَّنُ به الرجل، ويَدين به من اعتقاد وسلوك؛ وبمعنى آخر، هو طاعة المرء والتزامه لِمَا يعتنقه من أفكار ومبادئ.[1]

1. 3. 2. تعريف الدين اصطلاحا: لا يوجد تعريف واضح وثابت للدين، بل هناك العديد من التعاريف، تتصارع جميعها على محاولة الوصول إلى أشمل وأدق تعريف. لكن في النهاية، مثل هذا الموضوع يخضع لإيمان الشخص الذي يضع التعريف وبالتالي يصعب وضع تعريف جامع مانع يلتقي عنده جميع المهتمين. فالدين يتناول واحدة من أقدم نقاط النقاش على الأرض، وفي القدم كان النقاش يتناول شكل وطبيعة الإله الذي يجب أن يُعبد، أما في العصر الحديث فيتركز النقاش أساسا حول: وجود أو عدم وجود إله خالق تتوجب عبادته.

لذلك نجد من يحاول تعريف الدين من منطلق إيماني، روحاني، يقيني، أو من منطلق إلحادي، أو من منطلق عقلاني يحاول دراسة الدين كظاهرة اجتماعية أو نفسية أو فلسفية. وعلماء الاجتماع وعلماء الإنسان ينظرون إلى الدين على أنّه مجموعة مجردة من القيم والمُثل أو الخبرات التي تتطور ضمن المنظومة الثقافية للجماعة البشرية. فالدين البدائي كان من الصعب تمييزه بنظرهم عن العادات الاجتماعية الثقافية التي تستقر في المجتمع لتشكل البعد الروحي له.[2]

[1] .http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_12130.htl
[2] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%8

والديانة في المجتمعات البدائيّة مصدر قويّ للغيريّة حيث العقائد الدينية والممارسات الدينية تؤدي إلى كبح الأنانية، إلى جعل الإنسان يميل إلى التضحية وعدم المبالاة بالمصلحة الشخصية. والعواطف الدينيّة تربط الإنسان بشيء غير ذاته، وتجعله يعتمد على قوى سامية ترمز له إلى المثل الأعلى".[1] وهناك من يعرف الدين ليشمل مختلف الأشكال الثقافية داخل المجتمع. أي حتى الممارسات الشعبية المرتبطة بالدين، مما يوفر للباحث قدرا كبيرا من الحرية في تأويل وتفسير الرموز الدينية/الثقافية. وقد نتج عن هذا الوضع تعدد التأويلات وتضاربها واختلاف الآراء والدراسات.[2]

ومن وجهة نظر علماء الدين، لا يمكن اختصار الدين بمظاهره الاجتماعية والثقافية الجماعية التي لا تشكل إلا مظاهر ناتجة عن الدين وليست الدين أساسا، فالدين بالنسبة لهم هو الوعي وإدراك المقدّس، وهو إحساس بأن الوجود والعالم وجِد بشكل غير طبيعي عن طريق ذات فوق–طبيعية تدعى الإله أو الخالق أو الرب.[3]

كما يبدو من خلال التعريف الذي يقدمه الأب جرجس داوود. حيث يعرف الدين على أنه: إيمان وعمل؛ إيمان يوفر قوى خارقة فوق طبيعة البشر العقلية، ولهذه القوى تأثير في مجرى حياة الإنسان وعمل في أداء فرائض وطقوس معينة. تفرضها الأديان السماوية والأرضية، لاسترضاء الآلهة.[4]

ويذهب الدكتور "محمد عبد الله الدراز" إلى أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما ولزاما، وإذا قصد بها الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها.[5]

---

[1]. أنتوني غدنـــز، **الرأســماليـــة والنظريّة الاجتماعيّة الحديثة**. ترجمة: أديب يوسف شيش. الهيئة السورية العامة للكتاب. سوريا.2010. ص.75.

[2]. . عبد الغني منديب. **الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب**. أفريقيا الشرق. المغرب. 2006. ص. 62.

[3]. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%

[4]. جرجس داوود. **أديان العالم قبل الإسلام**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت لبنان. 2005. ص.157.

[5]. . نبيل محمد توفيق السمالوطي. **الدين و البناء الاجتماعي**. دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، السعودية، 1981 ص،ص، 17،19.

وبعض العلماء يعتبر هذا المقدس نتيجة للخوف والإحساس بعدم القدرة على السيطرة على المصير والحياة، ويؤيدون كلامهم بأن الإنسان عبدَ النار بداية وعبدَ النجوم وعبد الريح قبل أن يستطيع أن يسيطر على هذه القوى الطبيعية. وبالتالي، فإن الإحساس بعدم الأمان هو ما يولد الشعور بالحاجة لوجود خالق. ومن بين من ذهب إلى هذا الاعتقاد "فريدريك شلايرماخر"، الذي عرّف الدين في نهايات القرن الثامن عشر بأنه "**الشعور بالاعتماد المطلق (العجز المطلق)**".[1]

والدين لم يكن لازمة من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحة وطنية، أو حاجة نوعية..لأن الدين وجد قبل وجود الأوطان، ولأن الحاجة النوعية(البيولوجية) تتحقق أغراضها في كل زمن، وتتوافر أسبابها في كل حالة، ولا يزال الإنسان بعد تحقق أغراضها، وتوفر وسائلها في حاجة إلى الدين.[2]

إن التصور الذي يجعل من الدين نتيجة لعجز البشر يحاول أن يطرح فكرة أن الإنسان بعد كل القدرة على السيطرة والتحكم التي حصل عليها في العصر الحديث لم يعد بحاجة إلى مقدس وإيمان، إلا أن عصر ما بعد الحداثة بكل ما جلبه من إحباط ويأس من العالم المثالي الذي يتطلع له الإنسان، شهد عودة واضحة للروحانية تمثلت في العالم الغربي بشكل أساسي على شكل حركات العصر الجديد، أما في العالم الإسلامي فقد تمثلت بعودة حركات الإسلام السياسي والأصولية الإسلامية المعتدلة والمتطرفة. مما يعيد طرح السؤال حول علاقة الدين بالعجز أو إذا كان الإنسان فعلا قادرا عن التخلي عن الإيمان بالمقدس.[3]

ومن أشهر تعريفات الغرب للدين ما قاله الفيلسوف "كانط"، في كتابه: الدين في حدود العقل: الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية. والدين بهذا المعنى محصور في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السماوي مثل الإسلام، إضافة إلى اليهودية والنصرانية قبل تحريفهما، لكن هناك ديانات أخرى كالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل فقط والديانة الخرافية التي تستند إلى الخيالات والأوهام، وهي وإن كانت تخرج في جوهرها عن معنى الدين كما حددته

---

[1] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%8

[2]. عباس محمود العقاد. **الفلسفة القرآنية.** دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 1969. ص. 7.

[3] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%

التعريفات السابقة ــ لاسيما تلك التي تتخذ الأوثان والحيوان والكواكب أو الجن آلهة ــ إلاّ أن القرآن الكريم سمَّاها ديناً..يقول الله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديــنًا فــلن يُقــبل منه وهو في الآخرة من الخاسريــن**﴾[1].(**سورة آل عمران الآية 85.)**، ويقول جل شأنه : ﴿**لكم دينكم ولي دين**﴾[2]. **(سورة الكافرون الآية 6.)**، والدين على هذا منهاج حياة وطريق وسلوك.[3]

وتجدر الإشارة إلى وجود تداخل كبير في استعمال العديد من المفاهيم السوسيولوجية القريبة من مفهوم الجماعة الدينية، وخاصة مفهوم الطائفة، وعموما يمكن القول بأن اصطلاح الجماعة أو الطائفة الدينية يستعمل بكثرة من قبل علماء الاجتماع ويعنُون به "نوعا من المنظمات الدينية". والجماعة أو الطائفة أو المِلّة تخضع لمذهب ديني تدافع عنه الكنيسة أو المسجد. والطوائف تمثل الشيع والجماعات التي تعتقد بأفكار دينية قد تختلف عن الأفكار التي يعتقد بها الدين الأصلي خصوصا وقت نشأته، والعضوية في هذه الجماعات مفتوحة للجميع، والجماعة الواحدة عادة لا تتدخل في شؤون الجماعات الأخرى، وكل جماعة تدعي بأن أفكارها ومعتقداتها الدينية أقوم وأصحّ من أفكار ومعتقدات الجماعات الأخرى، وأنها الجماعة الوحيدة التي تمثل المجتمع بأكمله. ويتشابه أفراد الجماعة الواحدة خصوصا في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وإيديولوجيتهم الحياتية.[4]

جاء في المعجم الوسيط: الطائفة: هي الجماعة والفرقة، وفي التنــزيل {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما}. والطائفة: جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون بــه، والطائفة: الجزء والقطعة.[5]

والطائفة الدينية: مصطلح يعني في المفهوم الغربي فرقة دينية تدين بالولاء لزعيم حيّ أو تعاليم جديدة أو ممارسة غير عادية. ويتراوح عدد أفراد الطائفة ما بين عدد قليل من الأنصار يدينون بالولاء لزعيم ما، وتنظيمات على نطاق العالم تديرها سلسلة معقّدة من القيادات. وقلما تطلق مثل هذه الجماعات الدينية على نفسها اسم طائفة دينية وهي ترفض عادة هذه التسمية.

---

[1]. سورة آل عمران الآية 85.

[2]. سورة الكافرون الآية 6.

[3]. http://www.manhal.net/articles.php?action=show&id=262

[4]. دينكن ميتشل –مرجع سابق– ص 73 .

[5] .http://www.odabasham.net

وبما أنه ليس هناك تعريف واحد للجماعة الدينية في المفهوم الغربي، يصعب حصر أعدادها، وعضويتها، على وجه الدقة. ومع ذلك يقدِّرُ الخبراء هذه الجماعات أو الطوائف بثلاثة آلاف طائفة في مختلف بقاع العالم. وتبلغ عضوية هذه الطوائف مجتمعة ثلاثة ملايين شخص معظمهم من الشباب البالغين. [1]

ومن المعاني المغلوطة في فهم الجماعة الدينية أو الطائفة، ما يأتي في سياق التحليل التاريخي والسياسي لمسألة استغلال الدين واستثماره في العمل السياسي، الأمر الذي دفع الدكتور "برهان غليون"، في معرض حديثه عن النزاع الطائفي، للقول بأن: "الخلط بين الدين والطائفة هو الذي يجعل من الصعب فهم الأحداث السياسية التي يمر بها العالم العربي، وهذا الخلط مقصود عادة لأن حياة الطائفية، أي الاستخدام السياسي للدين، قائمة عليه".

والطائفة الدينية في علم الاجتماع غالبا ما تقترن مع نقاش الكنيسة في تصنيف الطوائف الدينية، وتعد الطائفة جماعة صغيرة يتميز دينها بالفردية وذات معتقدات وأحيانا معتقدات سرية خاصة وخفية.

والطائفة، هي جماعة دينية صغيرة طوعية تطلب من أتباعها التزاما كاملا، تأكيدا على انفصالهم عن المجتمع ورفضهم له. هناك مجادلة بارزة حول صفات هؤلاء تمت دراستها من قبل علماء الاجتماع، لكن تصنيف الطوائف الكنَسية بقي أحد المواضيع المركزية في اهتمامات علم الاجتماع الديني وقد تم مناقشة هذا الموضوع عندما كانت الطائفة ناجحة في استجلابها للأعضاء ونموها حجما وبناء.

وتستعمل الطائفة أو المذهب بمعنى واحد للدلالة على معنى: جماعة دينية متآلفة ذات درجة من التقدم كجماعات الكويكرز والمعمدانيون والميتوديون. كما تستعمل الطائفة الدينية، "الملة"، أحيانا لتعني طائفة دينية تتميز بانطوائها على نفسها وجمودها الفكري واعتناقها المتعصب لطقوس عقائدية.[2]

[1] .http://mosoa.aljayyash.net/category/5/1.html

[2] .http://www.rasid.com/artc.php?id=35058

ومن التحديدات الأخرى التي قدمت لتعريف مفهوم الطائفة:

هي منظمة اختيارية ينتمي إليها أشخاص يتمتعون بصفات شخصية نبيلة ورفيعة ويحملون معلومات واسعة وعميقة عن الطائفة ذاتها ويتم انتماؤهم عادة بعد تزكيتهم من قبل أعضاء الطائفة الذين يحتلون منزلة اجتماعية مرموقة فيها. وتتميز الطائفة عادة بصفة الأفضلية، إذ يدعي أفرادها بأنهم يتمتعون بالصفات العلمية والأخلاقية العالية، وبنفس الوقت يطمحون للوصول إلى الكمال الذاتي، وغالبا ما تكون الطائفة معادية للمجتمع الذي توجد فيه، وإذا لم تكن معادية، فإنها لا تربطها به أية روابط اجتماعية متماسكة كالتي تربطه ببقية الجماعات والمنظمات الأخرى. وبين فترة وأخرى تقوم الجماعة الدينية بتطهير عدد من أعضائها خصوصا أولائك الذين لا يلتزمون بمعاييرها وأحكامها وأعرافها، معتقدة بأن قيامها بهذا العمل سيحافظ على طهارتها واستقامتها.[1]

إن الاستخدام السابق لمفهوم الجماعة الدينية والطائفة الدينية يدفعنا للقول بأنهما يستخدمان لنفس المعنى وهذا ما سنعتمده في دراستنا هذه. وللتعرف أكثر على الجماعات الدينية، لابد من التعرف على خصائصها وهو ما سنتناوله تاليا.

ثانيا: خصائص الجماعات الدينية

يمكن القول بأن الجماعات الدينية كغيرها من الجماعات الاجتماعية، تتصف بأنها تقوم على عنصرين أساسيين هما: الأفراد المكوِّنون لها، والعلاقات التي تنشأ بينهم داخلها، وتنظم الروابط بينهم، وإن كان اجتماع الأفراد المكونين للجماعة أمرا مشتركا بين الجماعات الاجتماعية جميعا، فإن العلاقات التي تنظم الروابط بينهم تُكسِبُ الجماعة هويتها وشخصيتها وتميزها عن الجماعات الأخرى. إضافة إلى ذلك فإن الجماعات الدينية تكتسب خصائصها أساسا من خصائص الدين ذاتها، ويمكن جمع خصائص الأديان كافة بعدة نقاط أهمها:

- الإيمان بوجود إله فوق- طبيعي هو الخالق للكون والعالم والمتحكم بهما وبالبشر وكافة المخلوقات.
- التمييز بين عالم الأرواح وعالم المادة.

[1]. - دينكن ميتشل – مرجع سابق- ص 184

– وجود طقوس عبادة يُقصد بها تبجيل المقدس من ذات إلهية وغيرها من الأشياء التي تتصف بالقدسية.

– قانون أخلاقي، أو شريعة يجب إتباعها من قبل الناس ويعتقد المؤمنون غالبا، أن مصدرها هو الله الخالق المنظم لشؤون العباد.

– الصلاة، وهي الشكل الأساسي للاتصال بالخالق وإظهار التبجيل والخضوع.

– رؤية كونية تشرح كيفية خلق العالم وتركيب السماوات والأرض وآلية الثواب والعقاب، أي كيف ينظم الله شؤون العالم.

– شريعة أو مبادئ شرعية لتنظيم حياة المؤمن وفقا للرؤية الكونية التي يقدمها هذا الدين.[1]

ومن المنطلقات السابقة يمكن إجمال الخصائص التي تتميز بها الجماعات الدينية في العناصر التالية:

- ✓ قوامها من عدة أفراد: فردين فأكثر؛ وقد اصطلح على أن يتراوح أعضاء الجماعات الصغيرة إحصائيا ما بين فردين و30 فردا، أما الجماعات الكبيرة فهي التي تزيد عن 30 عضواً.
- ✓ وجود معايير ومعتقدات وقيم ودوافع وميول مشتركة، ويذهب الكثير من علماء الاجتماع إلى أن للمعتقدات الدينية عظيم الأثر في الحياة البشرية. وقد يكون أعضاء الجماعات الدينية المختلفة على يقين تام بسلامة ما يحملونه من معتقدات وما يمارسونه من شعائر، إلا أن تنوع الديانات، وارتباطها الواضح بأنواع مختلفة من المجتمعات يلقيان ظلالا من الشك على مثل هذه القناعات الراسخة. وبعبارة أخرى فإن الفرد الذي يولد في واحد من مجتمعات الصيد وجمع المحاصيل في أستراليا يعتنق مبادئ دينية مختلفة كل الاختلاف عما يعتنقه شخص آخر ترعرع في إحدى شرائح الكاست في الهند أو في ظل الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا في القرون الوسطى.[2]
- ✓ يتفاعل هؤلاء الأفراد بعضهم مع بعض تفاعلا هادفا لتحقيق أغراض أو أهداف معينة، منها ما هو خاص ومنها ما هو عام، تصب كلها في خدمة الجماعة، حيث تنمو وتربط بين الأفراد

[1] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%8

[2]. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص 579.

معايير معينة توجه سلوكهم. والمعيار، هو المعتقد أو الرأي التقييمي العام، الذي يحدد ما هو مقبول وما هو مرفوض من أساليب السلوك. ويلتزم بها كل أعضاء الجماعة الدينية.[1]

- ✓ يشترك أعضاء الجماعة الدينية في أداء مجموعة من الشعائر والطقوس، ويذهب "إيميل دوركايم" إلى التشديد على أن الديانات لا تنحصر في المعتقدات فحسب، بل تتجاوزها لتشمل مجموعة من الأنشطة الطقوسية والاحتفالية الدورية التي يتجمع فيها المؤمنون ويلتقون سويا. وفي هذه الاحتفالات الجماعية، يتأكد ويترسخ الإحساس بالتضامن الاجتماعي. وفي مثل هذه التجمعات ينأى أفراد الجماعة بأنفسهم عن المشاغل اليومية في الحياة الاجتماعية، ويرتقون بأنفسهم إلى مرتبة عليا يشعرون فيها بالتواصل مع قوى علوية، وهذه القوى العلوية المنسوبة إلى الآلهة أو المؤثرات السماوية أو الطوطم، إنما هي في واقع الأمر تعبير عن غلبة الروح الجماعية على النزعة الفردية. ومن منظور "دوركايم" فإن هذه الشعائر والاحتفالات تربط أفراد الجماعة بعضهم ببعض. ولا يتمثل ذلك في تجمعات العبادة المنتظمة فحسب، بل يتجلى في مراحل الانتقال والأزمات المتنوعة التي تمر بها حياة الأفراد والجماعات مثل الميلاد والزواج والموت، ويعتقد بأن هذه الشعائر الطقوسية التي تمارسها جميع المجتمعات. إنما تؤكد التضامن الاجتماعي في الأوقات التي يجد فيها الناس أنفسهم مرغمين على التكيف مع التغيرات الأساسية في حياتهم. فالجنازات على سبيل المثال تمثل تعبيرا عن ديمومة الجماعة بعد رحيل الفرد، وهي بالتالي تُعين المفجوعين من أهل الميت على التكيف مع الظروف المتغيرة. كما أن الحِداد ليس تعبيرا عفويا عن الحزن ممن لا يمتون بصلة قرابة مباشرة للموتى، بل هو في واقع الأمر واجب تفرضه الجماعة. وفي الثقافات التقليدية الصغيرة يتغلغل الدين في جوانب الحياة. كما أن الاحتفالات الدينية تكون مجالا لتوليد أفكار جديدة، أو تكريس القيم القائمة. وليس الدين سلسلة المشاعر والأنشطة بل هو القالب الذي تتحرك فيه أنماط التفكير لدى الأفراد في الثقافات التقليدية، بما في ذلك المفاهيم المتصلة بالمكان والزمان. حتى إن مفهوم الزمان نفسه قد نشأ في هذه المجتمعات للدلالة على الفترة التي تنقضي بين احتفال شعائري وآخر.[2] وهناك بعض التقاليد بقيت سارية عبر مئات السنين مثل التقاليد المرتبطة بالأديان السماوية. فعلى سبيل المثال هناك عادات جوهرية متقادمة في الإسلام يتمسك

[1]. محمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 226.

[2]. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص580.

المسلمون على نحو وثيق، وقد بقيت لحقب جد طويلة. ومع ذلك ومهما تكن الاستمرارية في مثل هذه التيارات، فإنها تتأثر بتغيرات عديدة، بل حتى تغيرات جذرية، تتعلق بكيفية تأويلها والعمل بموجبها.[1]

- ✓ يشعر الأعضاء داخل الجماعة بأن لديهم نوعا من التمايز عن الجماعات الأخرى، وهذا ما يؤدي إلى وحدة الجماعة وتماسكها، حيث يتشكل شعور مشترك بين أفرادها بالانتماء تجاه الجماعة والاشتراك في مصير مشترك.
- ✓ لكل جماعة دور اجتماعي محدد ومكانة معينه لأفرادها، ويتحدد لكل جماعة مركز اهتمام معين يختلف حسب طبيعة الجماعة، ويشارك الأعضاء بعضهم في أداء هذا المركز أو الهدف وتحقيقه.
- ✓ تتسم الجماعة بالطابع المنظم، ولها نوع من البناء الداخلي الذي يحدد طبيعة الأدوار، والمراكز ووسائل الاتصال وطبيعة السلطة، فهي كغيرها من الجماعات الأخرى عبارة عن بناء اجتماعي ثابت ونسق تنظيمي مترابط.[2]
- ✓ وجود أداة اتصال بين أفرادها تسهل عمليه التفاعل الاجتماعي بين أفرادها، والضبط الاجتماعي يقنن سلوك الفرد وفقا لمعاييرها.[3]
- ✓ تشكل الجماعة الدينية بالنسبة لأفرادها، جماعة انتماء ومرجعية، ومجموعة الانتماء هي التي ينتمي إليها الفرد بشكل فعلي، أما مجموعة المرجعية فهي التي تعطي الفرد قيمه وضوابطه، وأنماط مواقفه وآراءه، وسلوكياته. وقد تكون مجموعة الانتماء هي نفسها مجموعة الفرد المرجعية، وقد تكون مجموعة لا يكون الفرد منها، لكنه يتمثلها.

لقد ميز وحلل علم النفس الاجتماعي العلاقات بين الهوية الاجتماعية وبين الانتساب إلى الجماعة، فيمكن لنا أن نميز جماعات الانتماء من جماعات المرجعية. وقد دلت أبحاث "تاجفل" و"ترنر" أن الأفراد يميلون إلى بناء هويتهم الاجتماعية انطلاقا من مُعطَيِيْن: هم يبحثون عادة عن هوية اجتماعية إيجابية مبنية على مقارنات جيدة يمكن أن تنفذ داخل مجموعات انتماءاتهم وبعض مجموعات

[1]. المرجع السابق، ص ص. **68-69.**

[2]. محمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 226.

[3] .http://hamasat.do-goo.com/montada-f27/topic-t7093.htm

مرجعياتهم، فعندما لا تحقق مجموعة الانتماء تقييما إيجابيا، يحاول الأفراد مغادرة مجموعتهم أو جعلها أكثر إيجابية.[1]

ثالثا: تطور الجماعات الدينية

كما سبقت الإشارة إليه، فالجماعات الدينية غالبا ما تكون مرتبطة بأديان معينة، بغضّ النظر عن كون تلك الأديان توحيدية أو غير توحيدية. لذلك فإن الحديث عن تطور الجماعات الدينية يستلزم سلفا الحديث عن تطور الأديان التي انبثقت عنها تلك الجماعات في بداية ظهورها، لتعبر عنها تارة وتختلف معها في بعض الجوانب تارة أخرى. ويمكن القول بأن أنواع الجماعات الدينية تتعدد بتعدد أنواع الأديان التي يدين بها الناس: كما قد تتعدد تلك الجماعات داخل الدين الواحد. ويصنف "أنطوني غيدنز" الأديان إلى صنفين رئيسين هما: الديانات التوحيدية أو السماوية، وديانات الشرق الأقصى، في إشارة إلى مصدر الدين.

3. 1. الديانات السماوية: وتمثل اليهودية والمسيحية والإسلام. الديانات السماوية الثلاث الباقية في المجتمعات البشرية المعاصرة، ورغم التفاوت في نسبة انتشارها في عالم اليوم، إلا أنها نشأت جميعها في ما يعرف الآن بمنطقة الشرق الأوسط، وتميزت بكثير من أوجه التداخل والتقارب في بعض عناصرها ومنطلقاتها الأساسية. وقد اقتبس العبرانيون الذين عاشوا في مصر القديمة في حدود القرن العاشر قبل الميلاد بعض المعتقدات الدينية التي كانت شائعة في محيطهم آنذاك، غير أنهم تميزوا عن سواهم بإيمانهم بإله واحد أوصاهم بالتقيد بمجموعة من المبادئ الأخلاقية المتشددة. وكان عدد اليهود عام 1993 نحو 18 مليون نسمة، أي ما يمثل 3 بالمائة، من سكان العالم. أما المسيحية فقد نشأت في فلسطين، وبدأت بالانتشار في ظل الاضطهاد الروماني لعدة قرون إلى أن اعتمدها الإمبراطور قسطنطين دينا رسميا للإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي. وتسارع انتشارها بعد ذلك في آسيا الصغرى واليونان ثم أوربا بمجملها. وعلى الرغم من تعدد الطوائف المسيحية، إلا أن عدد أتباعها كان عام 1993 يقرب من بليون وثمانمائة وسبعين مليون نسمة، أي ما يمثل نحو 34 بالمائة من سكان المعمورة.[2]

---

[1] .http://www.al3ez.net/vb/showthread.php

[2]. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص. ص 571، 572.

ويتطلع الموقف الديني في الدين المسيحي إلى خلاص تصاعدي، ما ورائي يتجاوز الحياة الإنسانية لأنه ينطلق من قناعة تقول إن هذا الخلاص غير ممكن في هذا العالم الأرضي، والموقف العلماني انطلق من قناعة مماثلة ولكنها تقول بإمكان هذا الخلاص في هذه الأرض.[1] في حين يقوم الإسلام، الذي نشأ في الجزيرة العربية، في جوهره على أركان خمسة هي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.[2] مع إقرار الإسلام بالرسل والأنبياء والمرسلين. ويتركز أكثر المسلمين اليوم في شمال إفريقيا، والشرق الأوسط، وشبه القارة الهندية. وفي العقد الأخير من القرن العشرين تجاوز عدد المسلمين بليون نسمة، أي ما يزيد على 18 بالمائة من سكان العالم.[3]

3. 2. ديانات الشرق الأقصى:

ويوضح "جيدنجز" حجم الفروق الواسعة الموجودة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، من جهة وديانات الشرق الأقصى من جهة ثانية. وتمثل الهندوسية أقدم الديانات القائمة حتى الآن من الوجهة التاريخية، إذ تعود أصولها الأولى إلى ستة آلاف سنة. وتتميز الهندوسية بتعدد الآلهة، وبدرجة من التشعب والتنوع في تفرعاتها الداخلية دفعت بعض الدارسين إلى اعتبارها عنقودا من الديانات المتداخلة لا ديانة واحدة. ويؤمن أغلب الهندوس بمبدأ التناسخ، وهو الاعتقاد بأن جميع الكائنات الحية تمثل من صيرورة دائرية أبدية تعبر مراحل الميلاد والموت والميلاد المتجدد. ومن الملامح الأخرى التي تتميز بها على الصعيد الاجتماعي نظام الكاست، أي الاعتقاد بأن الأفراد إنما يولدون في شريحة اجتماعية محددة في نسق اجتماعي طقوسي معين وفقا لطبيعة الأنشطة التي كانوا يقومون بها في حياة سابقة، ولكل شريحة طبقية محددة منظومة من الواجبات والشعائر التي يحدد أداؤها مصير الشخص في الحياة المقبلة، ويتقبل الهندوس إمكانية التحول والانتقال بين عدة مذاهب دينية مختلفة. ولا يضعون خطا فاصلا بين المؤمنين وغير المؤمنين، وهناك ما يزيد عن 750 مليون هندوسي يعيش أغلبهم في شبه القارة الهندية، ومن الخصائص التي يتمتع بها الهندوسي أنه لا يسعى إلى التبشير بمعتقدات لاجتذاب

---

[1]. نديم البيطار. **فكرة المجتمع الحديث في المذاهب السياسية والايديولجيات الحديثة**. بيروت: بيان للنشر والتوزيع والإعلام 2000. ص.66.

[2]. أنظر: علي حسن طه، **مجتمعنا بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية**. دار الهدى. بيروت. لبنان.ص. 156.

[3]. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص. ص 571، 572.

الآخرين إليها على نحو ما يفعل المسيحيون والمسلمون مثلا، ويضم الشرق الأقصى مئات الملايين من أتباع ما يسمى "الديانات الأخلاقية"، مثل: البوذية والكونفوشية، والطاوية، وهذه الديانات لا تؤمن بإله واحد أو عدة آلهة، بل تؤكد على عدد من النماذج الأخلاقية العليا التي تربط المؤمنين بالتكامل والوحدة في الوجود.

وكانت الكونفوشية هي الأساس الثقافي للفئات الحاكمة في الصين القديمة، وقد عاش كونفوشيوس في الوقت الذي عاش فيه بوذا، أي القرن السادس قبل الميلاد، فكان مثل لاوتسو، مؤسس الطاوية يعمل في مجال التدريس، ولم يكن يعتبر نفسه رسولا أو نبيا، كما أن أتباعه اليوم لا يعتبرونه واحدا من الرموز المقدسة بل ينظرون إليه بوصفه أحكم الحكماء. وتسعى الكونفوشية إلى تكيف الحياة البشرية وانسجامها مع عالم الطبيعة الداخلي مع التشديد على إجلال الآباء والأجداد الأقدمين، وتدعو الطاوية إلى مبادئ مماثلة، مع التركيز على التأمل، وعدم استعمال العنف لتحقيق مستويات سامية من الحياة. وعلى الرغم من أن كثيرا من عناصر الكونفوشية والطاوية ما زالت باقية في عقائد الكثير من الصينيين وممارساتهم. إلا أن هاتين الديانتين قد فقدتا الجانب الأكبر من النفوذ والأثر، نتيجة للحظر الرسمي الذي فرضته الحكومة الصينية عليهما منذ الخمسينات من القرن الماضي.[1]

وتدعو الكونفوشية إلى العزوف عن التنمية الاقتصادية كما يفهمها الغرب، وتشدد على ضرورة الانسجام مع العالم لا إلى السعي النشيط للسيطرة عليه. وعلى الرغم من أن الصين كانت تمثل لعهود طويلة الحضارة الأقوى والأغنى ثقافيا في العالم، إلا أن القيم الدينية المهيمنة فيها كانت بمثابة الكابح الذي يلجم الالتزام القوي بالنماء الاقتصادي بوصفه هدفا بحد ذاته.[2]

3. 2. 1. الهندوسية:

وإذا كان الدين في الهند هو المقولة المنتسبة للهوية الأكثر انتشارا، فإن الهوية المحصل عليها فيه (في مقابل الهوية الجاهزة التكوين) إنما تتأسس قبل كل شيء على الانتماء لطائفة معينة.[3] ويذهب

[1]. أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص. ص 574، 576.
[2]. المرجع نفسه، ص، 583.
[3]. عزيز العظمة و آخرون. **الهوية: مفاهيم عالمية**. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. 2005. ص. **95**.

"ماكس فيبر" إلى أن الهندوسية تمثل دين العالم الآخر، أي أن القيم العليا فيها تؤكد على ضرورة الهروب من متاعب العالم المادي والتحليق إلى مستويات عالية من الوجود الروحي. كما أن المشاعر والدوافع الهندوسية لا تركز على ضرورة تشكيل العالم المادي أو السيطرة عليه، بل تعتبر الواقع المادي حجابا يستر الهموم الحقيقية، التي ينبغي للبشرية أن تتوجه إليها.[1]

والهندوسية هي أقدم ديانات الهند وأكبرها من حيث عدد معتنقيها، ويمكن تقسيم الهندوس إلى ثلاث جماعات، من يعبدون الإلهة "شيفا"، ومن يعبدون الإله "فيشنا" في تجسداته المختلفة، وأولئك الذين يعبدون الإله "شاكتي"، وللهندوسية عدة فرق أو جماعات لكل منها شكل عبادة خاص. في القرن التاسع عشر ظهرت عدة حركات إصلاحية هندوسية، نتيجة لاتصال الهند بالمسلمين أولا ثم بعد ذلك بالغرب، وأهم تلك الحركات الإصلاحية حركة "دام موهان روي" (1772-1833)م.

وتقوم الحياة الاجتماعية للهندوس على فكرة الطبقات، وهو نظام قديم في الهند يسمى "فارنا" وبناء عليه يقسم المجتمع إلى الطبقة البيضاء وهي طبقة "البرهميين" وتضم القساوسة والعلماء، والطبقة الحمراء "الكاشتري" وهم الحكام والجنود والإداريون، الطبقة الصفراء "الفيزية" وهم الفلاحون والمزارعون والتجار، وأضيفت طبقة رابعة في ما بعد وهي الطبقة السوداء "السودرا" وهم العمال المهرة كالخزافين والنساجين وصانعي السلال والخدم، كما ظهرت طبقة خامسة أدنى من "السودريين" وهم من يقومون بالخدمات الحقيرة ويعاملهم "البرهميون" بقسوة ويتجنبون حتى لمسهم، ويعرف هؤلاء بالمنبوذين أو "الشودرا"، ورغم إلغاء هذه الطبقة قانونيا عام 1950 وإطلاق اسم "أطفال الله" عليهم فإنهم يحبذون تسمية أنفسهم بالمنبوذين. وللهندوسية أثر كبير في كل مظاهر الحياة الهندية، وينتشر الهندوس في جميع الولايات الهندية حيث يصل عددهم إلى 837.4 مليون نسمة بما يمثل 81.3 بالمائة من مجموع الشعب الهندي، ويسيطر الهندوس على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية منذ استقلال الهند عن بريطانيا في 15 أغسطس/ أوت 1947.

3. 2. 2. البوذية

[1]. . أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص. 583.

البوذية هي ثاني أقدم ديانات الهند بعد الهندوسية وهي حركة دينية هندية إصلاحية ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، ومع ظهور أول إمبراطورية هندية خالصة "موريا" في عام 324 ق.م، أصبحت البوذية هي ديانة الهند الأساسية، تختلط في مظاهرها بالهندوسية، وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالآلهة، يعترفون بها ويتقربون إليها، لذلك لم تكن مظاهر البوذية خالصة للبوذية، بل كانت خليطا منها ومن الهندوسية، ومن هنا أخذت البوذية تتلاشى شيئا فشيئا، ويندمج أتباعها في تقاليد وطقوس الهندوسية وآلهتها حتى ظهرت البوذية بمظهر الهندوسية؛ الأمر الذي مهد السبيل لانحسار موجة البوذية من الهند ورجوع الهندوسية إلى مكانتها القديمة، بعد أن كانت البوذية الديانة الأولى في الهند خلال ألف سنة من ظهورها، ويصل عدد معتنقي المذهب البوذي في الهند حاليا إلى ما يقارب الـــ 10.3 مليون نسمة، بما يمثل 1 بالمائة من مجموع الشعب الهندي، ويعيش معظمهم في أعداد صغيرة بجبال الهيمالايا.

3. 2. 3. السيخية

هي إحدى الديانات الهندية، يطلق معتنقوها على أنفسهم اسم السيخ، وتعني كلمة السيخ، التابع، فهم يتبعون تعاليم 10 معلمين روحيين ويحتوي كتاب السيخ المقدس المعروف باسم "غودو حرانت حاهب" على تعاليم هؤلاء العشرة، وبدأ أول معلم سيخي ويدعى "ناناك" بوعظ حوالي 500 فرد، وقد عارض كلا من الهندوسية والإسلام واعتنقت السيخية الاعتقاد الهندوسي في التناسخ.

وبعد وفاة "ناناك" كون السيخ قوة عسكرية للدفاع عن أنفسهم، ففي عام 1699م قاد "جونبدس ينج"، المعلم العاشر، مجموعة من الجنود السيخ في عدة معارك من أجل تحقيق الاستقلال الديني، وحارب السيخ لإقامة مملكة مستقلة حتى عام 1849م عندما غزتهم بريطانيا.

وبعد استقلال الهند عام 1946 طالب السيخ بولاية خاصة بهم في الهند. وفي عام 1966 أقامت الحكومة الهندية ولاية البنجاب التي يحكمها السيخ جزئيا، حيث تقع المدينة المقدسة للسيخ "أمرتسار" في هذه الولاية. وفي عام 1980 اتجهت بعض جماعات السيخ إلى القيام بأعمال عنف

وتصاعدت حوادث الاقتتال الطائفي بين الهندوس والسيخ في مقاطعة البنجاب. مع ارتفاع أصوات السيخ في الإصرار على مواصلة النضال المسلح من أجل تحقيق حلمهم الكبير في تأسيس دولة السيخ المستقلة "خالستان"، الأمر الذي دعا الحكومة الهندية إلى إرسال قواتها إلى البنجاب في عام 1984. وتبلغ نسبة السيخ 1.9 بالمائة يعيشون في المناطق الريفية في إقليم البنجاب.[1]

رابعا: التناول السوسيولوجي لظاهرة الجماعات الدينية:

في هذا الإطار، سنحاول رصد مختلف ملامح التناول السوسيولوجي الغربي الذي تطرق لموضوع الجماعات أو الطوائف الدينية بالدراسة، من خلال التعرض لمختلف محاولات علماء الاجتماع لفهم هذه الظاهرة، (وتشمل هذه القراءة مستويين: المستوى النظري والمنهجي، والمستوى الميداني. كل ذلك في أفق توظيف هذا التراث لمقاربة موضوع هذه الدراسة).

4. 1. اتجاهات دراسة الجماعات الدينية:

4. 1. 1. الاتجاهات التقليدية:

ظهر الاهتمام بالحركات الدينية ذات الطابع الطائفي منذ الفترة الذهبية لعلم الاجتماع الديني، حيث ظهرت أعمال الآباء المؤسسين لهذا الفرع من علم الاجتماع العام، وعلى الخصوص في أعمال "دوركايم"، "ترولتش" و"فيبر". ويرى "ماكس فيبر" أن السوسيولوجيا ليس عليها أن تدرس جوهر الظاهرة الدينية، بل السلوك الذي تنتجه هذه الظاهرة كونها تستند إلى بعض التجارب الخاصة وإلى تصورات وغايات محددة، وعليه فإن السلوك المعبر للمتدين هو الذي يهم "فيبر". لهذا السبب لا مجال للتأمل في القيمة الخاصة بالعقائد والنظريات اللاهوتية المتنافسة أو بالفلسفات الدينية، ولا حتى في

[1] .http://aljazeera.net/NR/exeres/53F34654

شرعية الإيمان بالعالم الآخر، بل لدرس السلوك الديني كنشاط إنساني في هذا العالم يتوجه بصورة معبرة وفقا لأهداف عادية.[1]

ويعلق "دوركايم" في أولى كتاباته على أهميّة الدين في المجتمع، ويعترف بأنه المصدر الأصلي لكل الأفكار اللاحقة الأخلاقيّة والفلسفيّة والعلميّة والشرعيّة أو القضائيّة، ويلخص في كتابه تقسيم العمل أطروحته بأن أي معتقد يشكل جزء من الوعي الجماعي يميل إلى اتخاذ طابع ديني.[2]

أما "ترولتش" وفي إطار تصنيفه للكنائس والفرق الدينية السائدة في العالم المسيحي، رأى أن الطبقات الدنيا هي التي تكون منبع الاستقطاب بالنسبة للجماعات الدينية، فالظلم الاجتماعي وعدم المساواة من الجوانب الأساسية في خلق الظروف السيئة للإنسان، لذلك فإن التوتر بين الكنيسة والفرق الدينية سوف يستمر طالما استمرت المسيحية في الوجود.[3]

ويقدم كل من "فيبر" و"دوركايم" تفسيرات وظيفية للمعتقدات والممارسات الدينية، كما أن "دوركايم" يرى أن جوهر الدين يكمن في الوظيفة الكامنة التي يؤديها لتكامل الجماعة، كذلك يفسر "فيبر" السلوك الديني وظيفيا بالنظر إلى نتائجه بالنسبة لنموذج الحياة. ولكنهما يختلفان بالفعل في شيء مهم، هو أنه بينما ركز "دوركايم" معظم انتباهه على وظيفة التماسك التي أداها الدين في المجتمعات البدائية، كان "فيبر" أكثر تيقظا للطرق التي ربما يصبح بها معتقد ديني ما، وظيفيا بالنسبة لجماعة اجتماعية واحدة في المجتمع. ولا وظيفيا بالنسبة للجماعات الأخرى التي تعيش في نفس المجتمع.[4]

كما أن "فيبر" تركزت دراساته على ما أسماه "أديان العالم"، التي تنضوي تحتها أعداد هائلة من المؤمنين والتي تركت حسبه آثارا حاسمة على مجريات التاريخ البشري، إذ يرى "فيبر" أن الدين لا يمثل بالضرورة قوة محافظة، بل إن بعض الحركات والتوجهات الدينية التي تستلهم جانبا من تعاليم الدين قد أحدثت تحولات اجتماعية مثيرة في المجتمعات الغربية. ويرى "أنطوني جيدنجز" أن "فيبر"

---

[1]. جوليان فروند. **سوسيولوجيا ماكس فيبر**. ترجمة: جورج أبي صالح. مركز الإنماء القومي. بيروت. لبنان. 1998. ص. 87.

[2]. أنتوني غيدنز، **الرأسمالية والنظريّة الاجتماعيّة الحديثة** ، مرجع سابق، ص. 583.

[3]. http://social.subject-line.com/montada-f26/topic-t2015.htm

[4]. مجموعة من الكتاب. **نظرية الثقافة**. ترجمة. علي السيد الصاوي. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب. الكويت. عالم المعرفة.عدد: 233 1997. ص.284.

كان على حق عندما اعتبر أن لبعض النماذج والتيارات الدينية آثارا ثورية في النظر إلى النظم الاجتماعية القائمة. إذ كانت بعض العقائد الدينية بمنزلة المحرك الرئيسي للعديد من الحركات الاجتماعية الرامية إلى الإطاحة بأنظمة الحكم الجائرة، كما حدث في حركات الحقوق المدنية التي تزعمها "مارتن لوثر كينغ" في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات، والثورة الإسلامية في إيران في الثمانينيات من القرن الماضي.[1]

كما ركز "فيبر" تماما كما كان الشأن بالنسبة لترولتش، على الفروق التي أصبحت تميز بين الكنيسة والطائفة، فقد تحولت الكنيسة من مؤسسة تعمل في سبيل النعمة والخلاص، إلى مرفق للاستئمان يتلقى مساهمات أعضائه الإلزامية من حيث المبدأ، بدون أن يكون في وسعه إثبات شيء في ما يتعلق بفضائل أتباعه كما كان الأمر من قبل. وفي مقابل هذا التحول، تأسست الجماعات الدينية لتقوم مقام الكنيسة في تأدية واجباتها، بما أنها تجمع طوعي وحصري معزول عن العالم يضم المنتسبين إليه دينيا في نظام أخلاقي شديد الصرامة.

انطلاقا من هذا النموذج الإرشادي الذي يقابل بين الكنيسة والجماعة الدينية، تناسلت الأبحاث هادفة إلى بيان أثر هذا التقابل في الحياة الاجتماعية. وكانت النتيجة، السريان بهذا التقابل إلى حدود قصوى وقع التمييز فيها، هذه المرة، بين الجماعة الدينية والبنية الاجتماعية ككل، إذ غالبا ما نظر علماء الاجتماع إلى تلك الجماعات الدينية على أنها مشكلة اجتماعية، من خلال مقابلتها مع البنية والحركة الاجتماعيتين، بحيث اعتبرت الجماعات الدينية بعيدة عن طرق العمل الديني المألوفة، وتمثل التوجه الذي يواجه البنية الاجتماعية. علاوة على ذلك، فإن تلك الجماعات الدينية لا تتمتع بصفة الديمومة والاستقرار التي تتميز بها الهياكل المكونة للمجتمع. إنها ليست مجرد مظاهر موازية لأنماط التدين المألوفة، وإنما مؤشرات غير عادية على أوضاع اجتماعية غير عادية.

كان لهذا المدخل في التحليل كبير الأثر في صياغة الإشكاليات التي طرحها علماء الاجتماع آنذاك حول الجماعات الدينية، فقد كانوا يريدون في مستوى أول، اختبار فرضية الطابع الاستثنائي لهذه الجماعات، من خلال اكتشاف مصدر ما يشاع من عدم تلاؤم البنى الدينية التي كان يعتقد أنها تحتاج إلى حركة تصحيحية أو إصلاحية، ثم كانوا يريدون، في مستوى ثان، أن يعرفوا لماذا يساند البعض هذه الحركات. ثم التوصل في مستوى ثالث، إلى إدراك في أية ظروف تستطيع هذه الجماعات أن

[1]. . أنتوني غيدنز، **علم الاجتماع**، مرجع سابق، ص. 582.

تتخلص من طابعها العابر. فالواضح إذن، أنها خطط بحث مؤسسة على اعتبار تلك الجماعات مشكلة من وجهة النظر السوسيولوجية. ومما له دلالة على تقليدية هذه النظرة، أنها لا تختلف في شيء عن الآراء التي يتداولها مناضلو الأديان حول المجموعات التي ينتمون إليها، فالمقابلة بين البنية الاجتماعية والحركة الدينية هي السمة المميزة لوجهات النظر الشخصية عند الأعضاء حول معنى جماعاتهم الدينية وتطورها.

إن وصف هذا الاتجاه بالتقليدي، ليس دلالة على سبقه الزمني فحسب، بل كذلك، لإمداداته في الأبحاث المعاصرة، فقد بقيت هذه الأخيرة محتفظة بالفرضيات السابقة، محاولة تأكيدها بالانصراف إلى دراسة جوانب أخرى من الظاهرة، وأهم هذه الجوانب، تتبُّع ظروف الملتحقين حديثا بالطوائف، وتفسير ما يلاقيه هؤلاء من حرمان وإحباط قبل انخراطهم فيها. (الحرمان النفسي، الخوف من الانحدار الاجتماعي، تفكك الظروف الاجتماعية، والنشاز المعرفي).

وفي بعض الحالات، ينطوي الاتجاه التقليدي على مسلمات ضمنية قابلة للنقاش فيما يتعلق بمنطقها، من ذلك مثلا أنها تنزع إلى اعتبار تلك الطوائف مجرد ظواهر ناتجة عن التحولات العميقة التي يشيعها المجتمع. إنها مثل تلك الدمى التي توجد يد خفية وراء كل حركة من حركاتها، ولفهم حركة الدمى، يكفي أن نفهم ما يحركها من قوى.

نتيجة أخرى للطريقة التقليدية في دراسة الجماعات الدينية سوسيولوجيا، وهي أن هذه الطوائف تفقد أهميتها أو طابعها الاستثنائي بمجرد اكتسابها استقرارا عضويا وبنية مؤسسية قائمة، أي عندما تتحول إلى حركة دينية ذات مكانة معترف بها ومشروعة اجتماعيا. وهو تصور يتقاطع مع آخر سائد في حقل الفلسفة وعند علماء اللاهوت الكنسيين ومؤرخي المسيحية عندما يدفعون بمقولة الحيرة الماورائية، حيث يرى بعضهم أن التعبير الاجتماعي للمسيحي واقع في حلقة لا نهاية لها من تحول الحركات الجذرية إلى تجمعات محافظة أو العكس.

إن الفكرة العامة التي تتجلى من هذه النظريات، هي أن الدراسات السوسيولوجية للجماعات الدينية كانت تستعين تقليديا بجملة من الافتراضات النظرية المسبقة ومن العلاقات ذات الطبيعة الارتباطية التي تساهم كلها في تحديد موضوع الدراسة بكيفية متميزة لا محالة، ولكنها حصرية. وثمة في كل هذا التأويل، بطبيعة الحال، ترابط منطقي يضفي على كل ما كتب جانب من الوجاهة العلمية. لكن بعض الاتجاهات وخطط البحث الجديدة قد أخذت تتبلور لتنقل النقاش السوسيولوجي حول هذا الموضوع إلى مسالك جديدة ومستويات أرحب كانت غائبة عن الاتجاهات التقليدية.

4. 1. 2. الاتجاهات الحديثة:

بفعل التحولات التي طرأت على أشكال التعبير الديني في الغرب، خصوصا في فترة الستينيات في الولايات المتحدة والسبعينيات في أوربا، بدأت الحركات الدينية تتخذ أشكالا جديدة وتعبر عن طموحات مغايرة. كانت النتيجة الأولى للظروف التي أصبحت تعمل فيها الطوائف الدينية، استبعاد النظر إلى التعبيرات الدينية كمؤشرات أحادية على وضع اجتماعي عام، بل كمؤشر من بين عديد المؤشرات الأخرى، بمعنى أن التعبير الديني، في عمومه، لا يتمتع بأية خصوصية تميزه عن غيره من المؤشرات السياسية والاجتماعية والثقافية في السياقات الدالة على وضع معيشي محدد، وفي ذلك بداية لانهيار الفرضية الحادة التي أقامت تمييزا جذريا بين الطوائف الدينية والبنية الاجتماعية.

بدأت النظرة الجديدة في الظهور، في الأبحاث السوسيولوجية الأمريكية أولا، ثم الأوربية بشكل متأخر نسبيا، من خلال النقاش حول أهمية ما أصبح يطلق عليه الحركات الدينية الجديدة، ويدل التعبير الجديد على ظواهر غاية في التنوع، لا تعدو الطوائف الدينية أن تكون سوى أحد مظاهره، ففيها العبادات الجديدة، أو الطرق الجديدة المنافسة للديانات المعترف بها، وكذلك الجماعات ذات الإلهام المشرقي، والحركات الموجهة للرفع من الطاقة الإنسانية على المستوى الفردي والسيكولوجي.

في البداية، كانت الانشغالات الأساسية لهذه النقاشات تتمحور حول إشكالية حدود الظاهرة الدينية في المجتمعات الغربية، من أين تبدأ وإلى أين تنتهي، فذهب اتجاه إلى اعتبار الحركات الدينية الجديدة بمثابة العامل المعبر عن إعادة تركيب الحقل الديني، والمؤشر الكاشف عن ظهور شكل من التدين الجديد الذي أصبح يعوض المسيحية في المجتمعات الغربية وهو ما يذهب إليه "لوكمان"، بينما هدف الاتجاه الثاني إلى إنقاذ الأشكال الكلاسيكية لدنيوية الدين، بعد أن طرح طفو هذه الحركات استفهامات كثيرة حول نظريات علماء الاجتماع بصدد صيرورة العلمنة التي يتجه نحوها العالم كما يرى "بريان ويلسون".

وفي مواجهة هذه الطفرة التي أصبح يشهدها النقاش السوسيولوجي العام حول الحركات الدينية الجديدة، بدأت الأطر النظرية السائدة في علم الاجتماع تتحول في اتجاه اكتشاف أبعاد جديدة في الظاهرة مركز اهتمام هذا البحث وهي الحركات الدينية ذات الطابع الطائفي.

ورغم أن التوجه الأساسي لأعمال البحث التي أنجزت في هذه الفترة إلى اليوم بقي ثابتا أي مستندا إلى التمييز(طائفة/ كنيسة)، لكنه لم يعد يستند إلى المقولات التقليدية التي تتعلق بالتوتر الماهوي

النابع من التعاليم المسيحية بين "البنية" و"الحركة"، أو على اعتقاد أن التجديد الديني يجب أن ينظر إليه على أنه ردّ فعل جماعي على ما يشعر به الأفراد من ألوان الحرمان. بل إن الجديد في الأبحاث المعاصرة هو التخلص من صرامة التنميط المبني على ثنائية صارمة صنفت على أساسها الجماعات الدينية فيها وفق معايير: الامتثالية/ المعارضة، تجميع/ تفريق، قبول العالم/ رفض العالم. والتي تستمد مرجعيتها من التاريخ المسيحي. وعلى الأرجح، فإن الإشكاليات الجديدة إنما تستلهم اعتبارات نابعة من نظريات سوسيولوجية أعمّ، بدأت تؤتي أكلها في الدراسات المعاصرة، كما بدأت الأبحاث تنتبه إلى التعدد في تجارب الطوائف الدينية المختلفة، وكان للدراسات الميدانية المقارنة كبير الأثر في السير بالبحث نحو هذه الوجهة، إذ أنها بينت ما للدين السائد في المجتمع الذي تنشط فيه الحركات الطائفية من تأثير على هذه الأخيرة في ما يتصل بمعتقداتها وأنماط عملها وطرق تنظيمها حتى لو كانت تعمل في إطار ديانة واحدة. كان من نتائج هذا التناول، التخفيف من مطلقية التصنيفات التقليدية. فعلى سبيل المثال، أعيد النظر في التحليل الذي يعتمد السلوك الانعزالي كمعيار لتمييز الجماعات الدينية عن الحركات الدينية الأخرى، على خلفية أنّ هذا السلوك، وإن كان خاصية لدى الطوائف الدينية في ما مضى، فإن المناخ الاجتماعي السّائد اليوم أصبح لا يرجح هذا النزوع، ذلك أن أشكال التضامن العضوية السائدة في المجتمعات الحديثة، والضبط الاجتماعي الممارس من طرف المؤسسات الرسمية لم يعد يرجح إمكانية الانعزال التام للجماعات الدينية.

تتمثل الطفرة الأخرى التي حققتها الأبحاث الحديثة، حول موضوع الحركات الدينية الجديدة في تناول هذه الأخيرة من زاوية علم النفس الاجتماعي، بحيث تم استغلال مباحث عديدة ضمن هذا التخصص لتوضيح عديد القضايا المرتبطة بالجماعات الدينية، كمقترب دينامية المجموعات، فكان الانتباه إلى ما للروابط الأحاسيسية في تقوية التماهي بين التابعين للجماعة وبين هؤلاء وزعمائهم، ودور ذلك في عملية التنشئة، بناءً على مذهبية الجماعة وتوجهاتها العقدية. ويمكن، باختصار شديد، تحديد المحاور الأخرى التي اهتمت بها الأبحاث الحديثة في أربعة:

- تحليل أنماط الاشتغال الداخلي.
- دراسة الأبعاد الدولية للظاهرة.
- قياس المشروعية الاجتماعية عن طريق استطلاع الرأي العام.

- الاهتمام بما تثيره من مشاكل متصلة بالحريات الدينية والنظام القانوني العام في البلدان الأوربية.

ويرى البعض أن الأبحاث الحديثة لم تتوصل بعد إلى نظرية عامة بهذا الخصوص، بل ظل أغلبها ينطلق من النموذج الإرشادي (كنيسة –طائفة) مع تطعيمه بفروض، تسمح باستمرار استعماله. فرغم المؤشرات العديدة التي توضح الإضافات التي حققها علماء الاجتماع في دراستهم للجماعات والطوائف الدينية، فإن التنقيح لم يشمل بنفس القوة النظرة التقليدية في تفسير نشأة ونمو الجماعات الدينية، رغم التجديد الذي لحق بالنتائج المترتبة عن توظيف هذه النظرية، بل ظل التنميط "الفيبيري" صامدا ولم يفقد بعد نجاعته التفسيرية.

وإجمالا، يمكن القول أن الأبحاث الحديثة حققت هدفين هما: توضيح النقائص الكبيرة التي احتواها المنظور التقليدي (كنيسة– طائفة) وإعادة توظيفه في حلّة جديدة، ثم الانفتاح على النظريات السوسيولوجية العامة، فكانت بمسائل الدلالات الرمزية، تنظيم الحركات، طرق التلقين، التنشئة، النخب، وأنماط السلطة. لقد كانت المداخل بمثابة محاور بحثية جديدة أصبح بفضلها الاشتغال على ظاهرة الحركات الدينية ذات الطابع الطائفي مسألة معقدة حقا، لكنها أضحت، في مقابل ذلك، أكثر متعة.[1]

4. 2. أنواع الجماعات الدينية:

يختلف الباحثون في تصنيف الجماعات الدينية، تبعا للعوامل التي يعتمدونها في التصنيف، حيث يتم الاعتماد على نوع الدين والقيم والمعتقدات التي تقوم عليها تارة، وعلى أساس توزعها الجغرافي ومدى انتشارها في العالم أو اختلاف أعداد المنتسبين إليها تارة أخرى.

وتشير الموسوعة العربية إلى أنه يمكن تصنيف الجماعات الدينية إلى صنفين: الأول يضم الجماعات المتميزة بعقائدها الدينية والتشريعية التي تأخذ بها، وتدين بمبادئها، وأما الثاني فيتكون من الجماعات المتميزة بانتماءاتها الطائفية داخل الدين الواحد أو العقيدة الواحدة. وغالبا ما يتشابه أبناء

[1] .http://social.subject-line.com/montada-f26/topic-t2015.htm

الدين الواحد أو الطائفة الواحدة في مجموعة من التقاليد والقيم والمعايير المحددة لأنماط السلوك الاجتماعي.[1]

4. 2. 1. الجماعات الدينية في العالم العربي:

لقد أثارت أحداث 11 سبتمبر2001 بالولايات المتحدة الأمريكية انتباه العالم إلى هذه الجماعات، واعتبرت العديد من الأوساط أن المذهبية التي تعتنقها هذه الجماعات مسؤولة أدبيا عمّا جرى، لأنها وفرت المرجعيات النظرية التي تشبّع بها مرتكبو تلك الأحداث. لذلك أصبحت الظاهرة مثار اهتمام كبير، وموضوعا تُرسم في ضوئه الإستراتيجيات الدولية، وتوضع السياسات الوطنية خصوصا بعد تكرار تلك الأحداث في أكثر من دولة، بما فيها الدول العربية والإسلامية.[2]

وإذا أتينا إلى تصنيف الجماعات الدينية التي ظهرت في العالم الإسلامي فذلك ليس بالأمر السّهل، نظرا لحجمها الهائل خاصة بعد الانشقاقات والتمفصلات التي عرفتها الكثير من الجماعات التي كانت موجودة سابقا. بالإضافة إلى تلك الجماعات التي لا تمت للإسلام بصلة والتي انتشرت بكثرة وسط المسلمين. ومن أوسع الجماعات الدينية انتشارا في العالم الإسلامي نجد الجماعات التالية:

4. 2. 1.1. جماعة السنة والجماعة

أ- نشأة الجماعة:

يعتبر البعض أن أول موقف يمثل التوجه السني هو اختيار أبو بكر رضي الله عنه، خليفة للمسلمين، حيث يؤمن المسلمون السّنة بأفضلية أبو بكر، والخلفاء الثلاثة بعده على الترتيب، بالنص عن رسول الله محمد (صلع)، وهذا ما أسس للعقيدة السنية التي تتبع القرآن والسنة. هذا الطرح، يؤيده السنة أنفسهم. في حين، يرى الشيعة الإمامية أن اختيار أبو بكر في السقيفة كان مخالفا لتعاليم النبي محمد(صلع)، والتي تنص على إمامة علي بن أبي طالب للمسلمين والأئمة من نسله بعده. ويمكن القول أن الطائفة السنية تبلورت كطائفة إسلامية مستقلة بعد صلح الحسن بن علي مع معاوية بن أبي سفيان، حيث تجنب أقطاب السنة الخوض في الخلاف بينهما، ومنهم ابن عمر وأنس بن مالك. وازدادت قوة هذه الحركة في زمن الدولة الأموية. حيث نشط بعض من الصحابة أو الفقهاء مثل أبو هريرة وحسان

[1] .http://www.arab-ency.com
[2] -http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B121D637-D09B-4900-9412-672D0C762C35 .htm .

بن ثابت وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وكذلك فقهاء المدينة، ورووا الأحاديث التي وصلت إلى مرحلة التدوين المتفرق؛ كما في صحيفة همام بن منبه تلميذ أبو هريرة، وما دونه عروة بن الزبير وأبان بن عثمان بن عفان وغيرهم قبل أن يتم الجمع في بداية الدولة العباسية. وتبنى هذه الفكرة أئمة الفقه الأربعة لأهل السنة فيما بعد كما يتضح مما نقلوه من فقهاء المدينة، حيث اعتمدوا على الكتاب والسنة بشكل أساسي. وكان معاوية قد قرب إليه أبو هريرة وحسان وغيرهم ممن يقف في صفه، وكان عمر بن عبد العزيز قد رعى فقهاء المدينة ذوي العقيدة السنية السلطات وتتلمذ على يدهم أو أخذ عنهم أئمة الفقه السني الأربعة في العصر العباسي. كما تتلمذ الإمام مالك على يد ربيعة بن فروخ وهو أحد فقهاء المدينة السبعة وكان الشيخان البخاري ومسلم يحتجان بربيعة.

ب- عقيدة أهل السنة والجماعة

أصول الفقه لأهل السنة تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية (حديث نبوي) والإجماع والقياس. السنة النبوية مجموعة في كتب السنة العشرة ومنها صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن الأربعة كسنن أبي داود وسنن النسائي والمسانيد؛ كمسند أحمد بن حنبل وغيرها كمصدر للاعتقاد والتشريع، لذلك فإن كل ما ورد في القرآن هو شرع للمسلمين وكل ما صَحَّ من سنة محمد. وتختلف السلفية (وإن كان هؤلاء الأئمة أصحاب المذاهب هم من السلف) مع باقي أهل السنة هنا في الأخذ بالآحاد وإن كان الأشاعرة والماتريدية تأخذ بها في مسائل السمعيات أو إذا تضافرت الأدلة على صحتها.

ويعتقد أهل السّنة أن بعض الأفكار والعادات التي استحدثتها الطوائف الأخرى المنتسبة للإسلام هي بدع مخالفة للقرآن والسنة. من أمثلتها الغلو في الأشخاص. وغلو الخوارج في تفسير آيات الوعيد حتى كفروا كل من يرتكب إثما. كذلك رؤى القدرية والجهمية حول القدَر تعدُّ من البدع في نظر أهل السنة، فهذه البدع لم تكن في عهد الرسول أو السلف الصالح وينسبونها إلى تأثر المسلمين بثقافات البلاد التي يفتحونها.

ج- ديموغرافيا أهل السنة والجماعة

الديمغرافيا هي فرع من علم الاجتماع يدرس الخصائص السكانية البشرية مثل الكثافة السكانية والتوزع السكاني الجغرافي. ويلاحظ أنه من بين كل عشرة أشخاص من المسلمين فإنك ستجد

تقريبا تسعة من أهل السنة والجماعة بينما ستجد شخصا واحدا من الطوائف الأخرى المنتسبة للإسلام، مما يوحي لمن يتعامل مع أي مسلم للوهلة الأولى بأنه سني!. فأهل السنة والجماعة يتواجدون في كل دول العالم الإسلامي وهم الأغلبية، باستثناء بعض الدول الإسلامية. هذا الاستثناء يعود في أغلب الأحيان لأسباب سياسية أو قبلية أو اجتماعية. فأهل السنة والجماعة هم جماعة المسلمين، بل إن البعض يصور أهل السنة والجماعة على أنهم يشكلون البحر السني وأن بقية الطوائف هي بمثابة جزر في هذا البحر.

وبذلك يُعدُّ المذهب السني أكثر المذاهب الإسلامية إتباعا وسعة انتشار، حيث يبلغ عدد أفراده حوالي 90 بالمائة من مسلمي العالم، كما يعد المذهب الرسمي لمعظم الدول الإسلامية اليوم وقديما، فهو المذهب الرسمي للعديد من دول الإسلام السابقة شرقا وغربا، فعلى سبيل المثال اعتمدت الدولة العثمانية المذهب الماتُريدي السني كمذهب رسمي، كما اعتمدت المدرسة الحنفية كمصدر لأحكام وتشريعات الدولة، مع الاعتراف بالمذاهب الأخرى وتعيين قضاة ومدرسين لها. ويمكن القول أن أهل السنة والجماعة هم الغالبية السّاحقة في دول العالم الإسلامي والتي هي خمسين دولة باستثناء إيران وأذربيجان والبحرين والعراق حيث يشكل الشيعة الإثني عشرية الأغلبية، وسلطنة عمان حيث يشكل الإباضية الأغلبية.

د- تعداد المنتسبين للطائفة السنية

حسب "الموسوعة المسيحية العالمية" للمؤلف "دايفد باريت": فإن عدد أهل السنة في عام 2000م يقدر تقريبا بـــ:1,002,000,000 نسمة، بينما عدد طائفة الرومان الكاثوليك (الطائفة الكاثوليكية) عام 2000 ميلادية بما يقارب: 1,057,000,000 نسمة، وبالتالي حسب هذه الموسوعة فإن الفرق بين طائفة أهل السنة والجماعة والطائفة الكاثوليكية هو:55 مليون نسمة. وكذلك أيضا حسب "الموسوعة المسيحية العالمية" للمؤلف "دايفد باريت" : فإن عدد جميع الطوائف التي تنسب نفسها للإسلام عام 2000 م هو تقريبا: 1,188,000,000 نسمة، بحيث يشكل أهل السنة والجماعة الغالبية؛ إذ يقارب عددهم الـــ:1,002,000,000 نسمة (أي ما يعادل84.34 بالمائة)، بينما تشكل الطوائف الأخرى غير أهل السنة والجماعة ما يقارب الـــ: 186,000,000 نسمة (أي ما يعادل 15.65 بالمائة)، وتضيف "الموسوعة المسيحية العالمية" للمؤلف "دايفد باريت": بأنه يولد يوميا ما يقارب الـــ: 340 ألف شخص منهم 68 ألف مسلم، أي 60 ألف سني يوميا.

في أحدث الدراسات التي نشرتها وكالات الأنباء العالمية، بلغ تعداد المسلمين لعام 2009 حوالي 1,57 مليار نسمة، وحسب الدراسة نفسها فإن نسبة أهل السنة والجماعة بلغت ما بين (87 بالمائة–90 بالمائة)، وهذا يعني أن نسبة أهل السنة والجماعة تتراوح ما بين (1,37 – 1,4) مليار نسمة.

وفي العصر الحديث ظهرت جماعات تطالب بعودة الخلافة الإسلامية وإقامة الدولة على أسس الدين الإسلامي، منها:

- ✓ حزب التحرير
- ✓ جماعة الإخوان المسلمين
- ✓ حركة الموحدين على أسس سلفية
- ✓ تنظيم القاعدة وحركة طالبان

هـ– المدارس الفكرية السنية

ينقسم أهل السنة والجماعة في تحقيق العقيدة إلى ثلاث مدارس فكرية هي:

– **الأثرية:** يعتمد هذا المنهج في الاعتقاد والتشريع على التلقي من نصوص القرآن والحديث وتقديمها على العقل وسائر النقل من أقوال أو آراء تخالف النصوص المثبتة الواضحة، بينما يفتح مجال الاجتهاد فيما لم يَثبت أو يصحّ فيه نص. والسّلف بمفهوم أهل السنة جميعا هي الفترة الزمنية التي أشار إليها محمد بن عبد الله (صلع)، وهي القرون الثلاثة الأولى من الأمة الإسلامية، والتي شهد لها محمد بالخيرية بحسب بعض الأحاديث في كتب السنة، وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين.

– ***السلفية:*** هم جماعة ظهروا في القرن الرابع الهجري نسبوا آراء لابن حنبل في إثبات ما ورد من الصفات لله في القرآن والسنة. في العصر الحديث ظهروا في شبه الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب بالتزامن مع تكوين الدولة السعودية الأولى.

– **أهل النظر العقلي**، الذين استخدموا علم الكلام لإثبات العقائد الدينية، وهم:

– **الأشاعرة:** وسميت بالأشعرية نسبة إلى أبو الحسن الأشعري وهو الذي عمل على التصدي للمعتزلة باستخدام حجج عقلية وبراهين منطقية سعيا لإثبات عقيدة السلف. وأبو منصور الماتريدي وإليهما ينسب الأشاعرة والماتريدية. واتبعهم كثير من أئمة السنة مثل البيهقي والنووي والغزالي والعز بن عبد السلام والسيوطي والقرطبي وابن عساكر والزبيدي وكثيرون غيرهم.

- **الماتريدية:** نسبة إلى أبو منصور الماتريدي وعمل كذلك على إثبات عقيدة السلف باستخدام علم الكلام. وتعتبر أفكارهم قريبة للغاية من الأشاعرة.

- **الصوفية:** نسبة للتصوف، وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به، والتحقق بمقام الإحسان، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليته بالأخلاق الحسنة. والصوفية يتبعون من حيث المقدمات العقائدية المدارس المعروفة عند أهل السنة، أي الأثرية والأشاعرة والماتريدية، ويتبعون أحد المذاهب الفقهية السنيّة الأربعة، ويأخذون بالكشف والإلهام اللّذين لا يعارضان القرآن والسنة. وقد تنوعت الطرق التي يسلكها المربون في تربيتهم لمريديهم فنشأ عنها ما عرف بـــ "الطرق الصوفية"، أشهرها عند أهل السنة: الطريقة الدسوقية، الطريقة البرهانية، الطريقة الشاذلية، الطريقة القادرية، الطريقة التيجانية، الطريقة الرفاعية.

و- الجماعة السلفية الحديثة:

يصعب العثور على تعريف شامل لمفهوم السلفية، لكن بتقدم البحث الميداني في أوجه نشاط الحركات السلفية العاملة في المغرب، خلصت الدراسة إلى صياغة المقصود من هذا التعبير، إذ يدل مفهوم السلفية على نزعة احتجاجية على التطويرات التي طرأت على مستويين من مستويات الدين، المستوى العقائدي والمستوى التعبدي. فمن الناحية العقائدية، تهتم السلفية بإعادة تقنين الدين، هادفة إلى الترشيد الأخلاقي للعقائد الممارَسة. وعلى المستوى التعبدي، تهتم السلفية بإعادة تقنين الشعائر الدينية بتوحيد نماذجها، كلماتها، إشاراتها، وإجراءاتها، لكي تحافظ على النشاط الشعائري الأصلي في مواجهة ما تراه أنه "بدع مستجدة".

ومن الناحية السوسيولوجية يتمظهر هذا الاتجاه الديني ويتجلى في حركات تحاول ضمان الاستقلالية تجاه العلاقات الاجتماعية السائدة، إنها حركات اجتماعية تتبنى تدينا انعزاليا تبتعد بموجبه عن المؤسسات الاجتماعية والسياسية، وتنزع إلى الحفاظ على أقصى حد من الحرية تجاه ما درج عليه المجتمع الرسمي من عادات وسلوكيات دينية، مستوحية طقوسها الخاصة من مذهبية دينية أخرى أحيانا، أو من تأويل مختلف للديانة الرسمية.[1]

[1] -http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B121D637-D09B-4900-9412-672D0C762C35 .htm

والتيار الأكثر انتشارا بين السلفية في المغرب مثلا، هو تيار ما يعرف بالسلفية التقليدية الذي يركز على قضية تصحيح الاعتقاد ومسائل العبادات، ويليه تيار السلفية العلمية وهو تيار يعتمد على إحياء التراث وتحقيقه وتكوين نخبة علمية سلفية.

والتياران يشتغلان دونما أي مقاربة للسياسة جدلا أو اشتغالا، لكن الانتقال سهل وميسور من السلفية التقليدية والعلمية إلى السلفية الجهادية، لأسباب عدم وضوح فكرة السلفية التقليدية والعلمية من مسألة الجهاد، والفراغ السياسي – رؤية وممارسة– الذي يتركه هذان التياران من خلال ابتعادهما عن السياسة، وعدم وجود تصور للتعاطي مع هذه الأمور عند رموز وشيوخ ما يعرف بالسلفية التقليدية والعلمية، مما يشجع بعض الأتباع على التحول نحو إطار سياسي يعطي لفكرة الجهاد موقعا في عقيدته.[1] ولعل ذلك يرجع لربط هذه الجماعة للإصلاح الديني بالإصلاح السياسي كما يرى محمد عابد الجابري.[2]

4. 2. 1.2. – جماعة الإخوان المسلمين:

الإخوان المسلمون، جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنها "إصلاحية شاملة". تعتبر أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، خاصة في مصر، أسسها "حسن البنا" في مصر في مارس عام 1928م كحركة إسلامية. وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول، ووصلت الآن إلى 72 دولة تضم كل الدول العربية ودولاً إسلامية وغير إسلامية في القارات الستّ.[3]

أ– أهداف الجماعة ووسائلها:

طبقا لمواثيق الجماعة، فإن "الإخوان المسلمين" يهدفون إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظور إسلامي شامل في مصر وكذلك في الدول العربية التي يتواجد فيها الإخوان المسلمون مثل الأردن والكويت وفلسطين، كما أن الجماعة لها دور في دعم عدد من الحركات الجهادية التي تعتبرها حركات مقاومة في العالمين العربي والإسلامي ضد كافة أنواع الاستعمار أو التدّخل الأجنبي، مثل حركة حماس في فلسطين، وحماس العراق في العراق وقوات الفجر في لبنان.

[1] .-http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B121D637-D09B-4900-9412-672D0C762C35 .htm

[2]. إسماعيل صبري عبد الله وآخرون، **الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي**، ط 5. مركز دراسات الوحدة العربية المعاصرة. مكتب الشرق الأوسط. بيروت. لبنان. 2004. ص. 189.

[3] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%

وتسعى الجماعة في سبيل الإصلاح الذي تنشده إلى تكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، ثم الحكومة الإسلامية، فالدولة فأستاذية العالم وفقا للأسس الحضارية للإسلام عن طريق منظورهم. وشعار الجماعة "الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا".[1]

والمتصفح لكتب ومراجع الإخوان يجد خطين متوازيين في الفكر الإخواني بقيا يمارسان تأثيرا على فكر حركة الإخوان عالميا: الأول، رسائل حسن البنّا، والثاني فكر سيد قطب. وتعتبر رسائل الشيخ حسن البنا –والذي يسمى بأدبيات الإخوان بالإمام الشهيد، ويوصف بالمجدد– أهم مفردات منهج الإخوان المسلمين وعمدة نظامهم الأساسي، وما تزال فعالة في نهج الحركة وفكرها، وتربو على العشرين رسالة، تناولت مواضيع مختلفة في أوقات ومناسبات مختلفة، وشملت على آراء ومواقف دينية، وسياسية، واقتصادية، وتنظيمية وغيرها. كما إن إحداها تضمنت عشرين أصلا احتفى الإخوان بها احتفاء خاصا من حيث شرحها وتعليمها والالتزام بها.

أهم ما في رسائل البنا، هو إعطاء دعوته صفة الشمولية تبعاً لطبيعة الدين الذي تنتمي إليه، فالإسلام دين ودولة، وسيف وقرآن. والوطنية حدودها أرض الإسلام والقومية تحدُّها تعاليم الإسلام. فالبنا يقول في رسالة المؤتمر الخامس للإخوان: "نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة، تنظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة..فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف". وبناء على شمولية الإسلام يقرّر البنّا أن دعوة الإخوان المسلمين:

- ✓ دعوة سلفية: لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.
- ✓ وطريقة سنية: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.
- ✓ وحقيقة صوفية: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير.
- ✓ وهيئة سياسية: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

[1] http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9% .

- ✓ وجماعة رياضية: لأنهم يعنون بجسومهم، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.
- ✓ ورابطة علمية ثقافية: لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.
- ✓ وشركة اقتصادية: لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه.
- ✓ وفكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

فدعوة "حسن البنا" برغم طابعها الإصلاحي ومضمونها التبشيري مثقلة بهم استعادة الحكم الإسلامي. يقول "البنا" في هذا: "إن الإخوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله".

وابتداء من نقطة الحكم تخوض حركة الإخوان صراعها السياسي مع الأنظمة القائمة، لتحقيق ذلك، إضافة لأهدافها الأخرى، شكلاً تنظيمياً خاصاً، اختارت له الصيغة الدولية (أي تنظيم يمتد في أكثر من دولة في العالم) وعملت بفاعلية على مستوى العالم العربي في بعض المراحل السياسية وتركت أثرا واضحاً في بعض دول العالم الإسلامي، مما جعلها موضع خصومة أكثر من نظام عربي وإسلامي، وموضع اتهام وإساءة، وتعرضت للمنع والحظر، بخاصة تنظيمها المركزي في مصر، وتعرض عناصره أكثر من مرة للملاحقة والسجن والإعدام أحيانا.[1]

4. 2. 3.1. جماعة الشيعة:

الشيعة هو اسم يطلق على ثاني أكبر طائفة من المسلمين، ويرى الشيعة أن علي بن أبي طالب هو ونسله من زوجته فاطمة بنت النبي محمد أئمةٌ يفترض طاعتهم بالنص السماوي، وأنهم وهم المرجع الرئيسي للمسلمين بعد وفاة النبي. ويطلقون عليه اسم الإمام الذي يجب إتباعه دون غيره طبقاً لأمر من النبي محمد في بعض الأحاديث مثل حديث بالثقلين المنقول عن النبي محمد والذي يستدلون به على غيرهم من خلال وجوده في كتب بعض الطوائف الإسلامية التي تنكر الإمامة وهو كالتالي: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من

[1] http://www.aljazeera.net/NR/exeres

السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

وأصل تسمية لفظ "شيعة" في الأساس من الفعل تشيُّع وهو الإتباع. وعلى مدار التاريخ الإسلامي أطلق لفظ شيعة على العديد من الحركات الإسلامية، مثل شيعة عثمان وشيعة معاوية وغيرهم. ولكن لفظة الشيعة وحدها تعتبر علَما لشيعة علي ومتبعيه. ويرى الشيعة بأن أصل التسمية ورد في حديث لمحمد بن عبد الله نبي الإسلام في حياته حيث سأله علي بن أبي طالب عن خير البرية فأجابه: «أنت وشيعتك»، وبهذه الرواية يعتقد الشيعة أن التشيع لم يظهر بعد وفاة محمد بل هو الإسلام الحقيقي الذي بعث به محمد. وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة في كتب الشيعة وبعض المذاهب الإسلامية الأخرى.

أ- نشأة المذهب الشيعي

من الشيعة أن التشيع هو الإسلام ذاته، ويتبناه الشيعة أنفسهم حيث يرون أن المذهب الشيعي أصلا لم يظهر بعد الإسلام ويعتقدون أنه الإسلام ذاته. ويرون أن المسلم التقي يجب أن يتشيع ويوالي علي بن أبي طالب، وبالتالي، فإن التشيع، هو ركن من أركان الإسلام الأصيل وضع أساسه النبي محمد نفسه على مدار حياته، وأكّده قبل موته في يوم "غدير خم" عندما أعلن الولاية لعلي من بعده. كما يرون أن الطوائف الإسلامية الأخرى هي المستحدثة ووضعت أسسها من قبل الحكام والسلاطين وغيرهم من أجل الابتعاد عن الإسلام الذي أراده النبي محمد في الأصل.

ب- طوائف الشيعة

وفقا لمؤرخي الشيعة فإن انقسام الشيعة لفرق وطوائف جاء بشكل متدرج والمعروف منها اليوم:

- **الإثناعشرية أو الإمامية:** وتؤمن هذه الجماعة، بأربعة عشر معصوما منهم اثنتا عشر إماماً معصوما. ويعتقدون بأن محمد المهدي ابن الحسن العسكري وهو عندهم الإمام الثاني عشر هو المنتظر الموعود الذي غاب عن الأنظار ثم سيعود ليملأ الأرض عدلا. وتعتبر الطائفة الإثناعشرية أكبر الطوائف الشيعية من حيث عدد السكان، حيث يقدر عددها بحوالي 85 بالمائة من الشيعة، وتحتوي إيران والعراق وأذربيجان على أكثر من ثلثي عدد الشيعة الإثناعشرية، ويرى بعض السنة والشيعة أن ذلك يعود لفترة الحكم الصفوي (1501م – 1736م)، حيث كانت إيران سنية المذهب

طوال أكثر من ألف عام. ولم يكن فيها سوى أربع مدن شيعية وهي آوه وقاشان وسبزوان وقم، وعقب وصول إسماعيل الصفوي للسلطة في إيران أعلن فرض المذهب الشيعي الإثناعشري مذهبا رسميا للدولة، « بالرغم من وصول الشيعة للسلطة عبر التاريخ الإسلامي (أي كالقرامطة والعبيديون والبوهيون)، حتى القرن السادس عشر ميلادية 1501م ووصول الحكم الصفوي للسلطة وفرضه للمذهب الشيعي الإثناعشري على مستوى الإمبراطورية، مما أدى إلى تحول الشعوب في بلاد الفرس وأذربيجان وبعض الترك ليصبحوا من أتباع الطائفة الشيعية الإثناعشرية.».

– **الإسماعيلية:** وضع جعفر الصادق الفقه الشيعي ونشر تلاميذه بين الناس وتلقى العلم على يديه آلاف الطلبة واعتبره المسلمون عامة بمن فيهم أهل السنة من نجوم الأمة الإسلامية لذا يسمون بالجعفرية أيضا. وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق التف الشيعة حول ولده موسى الكاظم ولكن أعلن بعض الشيعة أن الإمام كان إسماعيل بن جعفر الصادق وإن مات في حياة أبيه فإن الإمامة في نسله ورفضوا إمامة موسى الكاظم. وظهر ثاني انقسام وهو ما يعرف بالطائفة الإسماعيلية. التي هي الأخرى حدث بها انشقاق إلى فرعين (نزارية – مستعلية) ومازالتا موجودتين إلى يومنا هذا.

واشتهر الإسماعيليون بنشاطهم بل استطاعوا ولأول مرة بعد مقتل علي بن أبي طالب تأسيس دولة شيعية بخلافة شيعية يرأسها أئمة ظهروا بعد نجاح دعوتهم السرية قائلين إنهم من ذرية علي بن أبي طالب وهي الدولة الفاطمية. وبدأت في شمال إفريقيا ووصلت إلى مصر وكانت العاصمة القاهرة في عهدهم من أكبر مدن العالم آنذاك. يوجد الإسماعيليون بنجران جنوب المملكة العربية السعودية وفي الهند وغيرها من البلدان.

– **الزيدية:** بعد مقتل الحسين بن علي وبعد وفاة ابنه علي زين العابدين الذي كان له ولدان محوريان هما زيد بن علي ومحمد الباقر. خرج زيد بن علي على الأمويين والتف حوله جمع من الناس من الشيعة وغيرهم، حتى لقي حتفه بعد قصة مأساوية لا تختلف كثيرا عن قصة جده الحسين. وبعد وفاته انفصلت طائفة عن الشيعة لا ترى الإمامة لمحمد الباقر الذي كان الشيعة يعتبرونه إمامهم حتى في حياة زيد وعرفت هذه الطائفة بالزيدية؛ نسبة إلى زيد بن علي واختلفت هذه الطائفة الموجودة إلى يومنا عن باقي الشيعة إذ أنها رأت بأن الإمامة ليست بالنص على شخص محدّد وإنما هي لأي شخص

من نسل علي بن أبي طالب يخرج طالبا لها. ومن أئمتهم يحيى بن زيد بن علي وأيضا محمد النفس الزكية وغيره. هذا، وتعتبر الزيدية قريبة من المذهب السني لأخذها بفقه المذهب الشافعي.الذي يعد بدوره أقرب المذاهب السنية للشيعة.

ج- الشيعة في العصر الحاضر

تعتبر الإثناعشرية الطائفة الأكبر، وتليها الإسماعيلية، ثم الزيدية بنسب صغيرة. ويتراوح عدد الشيعة في العالم ما بين 154 و200 مليون نسمة، بنسبة 10 بالمائة إلى 13 بالمائة من إجمالي عدد المسلمين في العالم. يعيش منهم ما بين 116 ألف و147 ألف في قارة آسيا بما يعادل ثلاثة أرباع عدد المسلمين الشيعة الكلي. ويعيش الربع الباقي في شمال إفريقيا، ويتراوح عددهم ما بين 36 و44 مليون نسمة. يتركز معظم الشيعة -حوالي 68 بالمائة، 80 بالمائة- في أربعة دول هي إيران (66-70 مليون)، وباكستان والهند والعراق وبهم قرابة 16 مليون نسمة مجتمعين.

4. 2. 4.1. الجماعة الوهابية

أ- نشأة الجماعة

الوهابية مصطلح أطلق على حركة إسلامية سياسية[1] قامت في وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الموافق للثامن عشر الميلادي على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1703 - 1792) ومحمد بن سعود حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية، وكانت بدايتهما في الدرعية ثم أعلن محمد بن عبد الوهاب "الجهاد" فشن سلسلة من الحروب (وكانوا يسمونها بالغزوات) صادروا فيها أموال خصومهم (وكانوا يسمونها بالغنائم) وخسر العديد من المسلمين أرواحهم نتيجة هذه الحروب، واعتبرتهم مصادر عديدة أنهم بذلك خرجوا على الخلافة الإسلامية التي كانت تحت حكم العثمانيين. بينما اعتبرها الوهابيون إقامةً لدولة التوحيد والعقيدة الصحيحة وتطهيرًا لأمة الإسلام من الشرك، الأمر الذي جعل العديد من العلماء السنة يرى في اتهام محمد عبد الوهاب ومريديه للآخرين بالشرك مواصلةً لطريقة الخوارج في الاستناد على نصوص الكتاب والسنة التي نزلت في حق الكفار والمشركين وتطبيقها على المسلمين، بينما يرى الوهابية أنهم هم أهل السنة الحقيقيون وأصحاب الفرقة الناجية الوحيدة من النار أما من خالفهم فإمّا كافر أو مبتدع ضال أو لديه أخطاء في العقيدة. ونتج عن هذه الحروب قيام الدولة السعودية الأولى، فاستطاعت أن تصل إلى دمشق شمالا وعمان جنوباً. وفي

[1]- أنظر: إسماعيل صبري عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص،ص، 194،195.

عام 1818 حاصرت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ودمرتها، إلا أن الدولة السعودية تأسست من جديد في أوائل القرن العشرين تحت قيادة عبد العزيز بن سعود (1902–1953م) مؤسس المملكة العربية السعودية.

جاءت دعوة الوهابية للمنهج السلفي بهدف ما تعتبره تنقية عقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وتراها الوهابية مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي مثل التوسل بالقبور، والأولياء، والبدع بكافة أشكالها أو ما يطلق عليه بشكل عام اسم بدعة. ويصفها أتباعها بأنها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والرجوع إلى الإسلام الصافي وهو طريقة السلف الصالح في إتباع القرآن والسنة أي عمليا، عدم الاعتماد الكلي على المذاهب الفقهية السنية الأربعة والاعتماد المباشر على النص من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح وإجماع العلماء مدللين على ذلك بأقوال للأئمة الأربعة.

جاءت تسمية الحركة بالوهابية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب، والتسمية بحد ذاتها يرفضها الوهابيون مفضلين عليها مسمى سلفية أو اسم "أهل السنة والجماعة"، لاعتقادهم أنها دعوة دينية وليست حركة سياسية وأن ابن عبد الوهاب لم يبتدع مذهباً جديداً لكنه كان يدعو إلى ما كان عليه الصحابة والأئمة الأربعة من إتباع كتاب القرآن وسنة رسول الله في الإسلام على حد اعتقادهم، لكن مصطلح أهل السنة والجماعة كمصطلح تاريخي له أهميته، تتمسك به الصوفية وأصحاب المذاهب السنية، وتجده حتى في أدبيات الفرق الكلامية من أشاعرة وماتريدية مما يجعله مصطلحاً خلافياً، لكن مصطلح وهابية يبقى مستخدما بشكل كبير من قبل معارضيهم الذين يرفضون نسبتهم إلى "السلف" وبالتالي يجدون في نسبتهم لابن عبد الوهاب الطريقة الأفضل لتمييزهم في وسائل الإعلام والكثير من المؤلفين يستخدمون المصطلح أيضا للتعبير عن الفكر أو المدرسة الإسلامية السلفية التوجه المنتشرة في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي. يستخدم مصطلح وهابية كذلك للإشارة إلى النظام السلفي الحاكم بالشريعة الإسلامية أو النموذج السلفي للدولة الدينية في السعودية. تذكر بعض المصادر أن مصطلح الوهابية أطلق سابقا على فرقة خارجية إباضية ظهرت في القرن الثاني الهجري والتي قامت بالمغرب على يد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الإباضي.[1]

ب_ الوهابية كنظام للحكم

[1] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%8

يتبنى أتباع الوهابية فكرة الدولة الدينية ويرون أن الدولة لابد أن تُحكم بالشريعة الإسلامية ويطبقون ذلك من خلال بعض الآليات منها:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: حيث تأسست هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية، أتباعها هم طائفة من الموظفين المدنيين يجوبون الشوارع ويفرضون ما يعتبر في باقي البلدان الإسلامية بأنه خيار شخصي. وإن كانت قد تفاوتت درجة فرضهم للعبادات والأخلاق حسب الحقبة، حيث بالرياض قديما إذا مر أحد المتطوعين بجانب منزل وشم رائحة تبغ كان لا يتورع عن اقتحام المنزل وضرب المدخن لانتشار الجهل آنذاك. أما الآن فقد اقتصر عملهم على حدود أضيق مثل إغلاق المحلات أوقات الصلوات. ويعتبر السلفيون نظام الهيئة الحالي هو التطبيق الأمثل لنظام الحسبة المستوحى من الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، والذي كان متبعا بالعصور الإسلامية. وكلمة المحتسب أو المطوع مشتقه من الاحتساب لوجه الله (المحتسب) أو التطوع لوجه الله (المطوع).[1]

4. 2. 5.1 .5 الجماعة القاديانية الأحمدية:

أتباع الطريقة "الأحمدية القاديانية" في مصر، يتخذون مكانا في منطقة المقطم جنوب القاهرة لإقامة شعائر الحج، ما يعد مخالفة صريحة للشريعة الإسلامية والسنة. والمجموعة تهدف للترويج لأفكار الطريقة المخالفة لصحيح الدين الإسلامي في أوساط مخالطيها، بقصد إثارة الفتن وازدراء الدين الإسلامي وتكليفها عدداً كبيراً من العناصر التي تم القبض عليها بنشر أفكار هذه الطريقة.

ومن بين الأفكار المتطرفة التي تنشرها المجموعة الادعاء بأن النبي محمد(ص) ليس خاتم الأنبياء، وأن الوحي ينزل على مؤسس الجماعة ومن يخلفه ومؤسس الجماعة هو غلام أحمد القادياني، وتعتبره هذه الطريقة بمثابة المهدي المنتظر والمسيح الموعود، الذي سيُبعث في نهاية الزمان من قبره بمدينة قاديان الهندية. كما تروج المجموعة إلى أن فريضة الحج تكون لقبر القادياني بالهند وليس إلى الكعبة المشرفة بمكة، وتعتمد المجموعة في تمويلها على جمع التبرعات والاشتراكات الشهرية وتحصيل نسبة 16/1 من دخل عناصرها، وتعقد اللقاءات الأسبوعية في حي المقطم لأداء صلاة الجمعة داخل إحدى الشقق والاستماع إلى خطب أمير الجماعة الحالي عن طريق شبكة الأنترنت.

[1]. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%8

والأحمدية طائفة نشأت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في شبه القارة الهندية، ويعيش الأحمديون في كل البلدان التي يوجد بها مهاجرون من شبه القارة الهندية.[1]

4. 2. 2. الجماعات الدينية في أوروبا:

يختلف مصطلح الجماعة الدينية في المفهوم الغربي عن غيره من المفاهيم، حيث يعني فرقة دينية تدين بالولاء لزعيم حي أو تعاليم جديدة أو ممارسة غير عادية. ويتراوح عدد أفراد الجماعة ما بين عدد قليل من الأنصار يدينون بالولاء لزعيم ما. ويشير مصطلح الجماعة الدينية بهذا المفهوم، عادة، إلى أي شكل من أشكال العبادة أو ممارسة الطقوس الدينية أو حتى أية مجموعة من الناس تجمع بينهم أهداف مشتركة. بيد أن الدعاية التي صاحبت ظهور هذه الطوائف منذ منتصف القرن العشرين أضفت على المصطلح معنى أكثر تحديدا. وهو يستعمل اليوم عادة عند الإشارة إلى أية جماعة يتزعمها قائد حي يدعو إلى عقائد غامضة. ويطلب معظم قادة هذه الجماعات من أتباعهم أن يعتزلوا الحياة الاجتماعية، وأن يعيشوا في مجموعات تسمى كوميونات. ويدعي قادة هذه الجماعات أنهم يمتلكون الحقيقة الدينية الكاملة ويأمرون أتباعهم بالطاعة والولاء المطلقين. وتطالب جماعات دينية عديدة أتباعها بالتبرع بكل ما يملكون لصالح الجماعة.[2]

ولا يختلف علماء الاجتماع فيما بينهم عموما بأن سطوة الدين على المؤسسات الاجتماعية الغربية، بما فيها الدولة، آخذة في التناقص والانحسار، إلا أن الملاحظ أن المعتقدات الدينية والروحية مازالت تؤثر تأثيرا بالغا في حياة الكثير من الأفراد والجماعات.[3] وتكون منظومة واسعة من الحوافز والدوافع التي تحدد مسارات السلوك الفردي والجماعي فيما بينها، بصرف النظر عن مشاركتهم في طقوس العبادة الشائعة في المؤسسات الدينية التقليدية. إن أعدادا هائلة من الغربيين يؤمنون بالله أو بقوة علوية، غير أنهم يمارسون هذا الإيمان بأساليب مختلفة خارج إطار المؤسسات الدينية التقليدية.

وقد ظهرت في أوروبا وعلى مرّ العصور مجموعات دينية عديدة صنفت باعتبارها طوائف أو جماعات دينية. وقد بدأت النصرانية بوصفها طائفة دينية في إطار اليهودية ثم تطورت إلى كنيسة راسخة التقاليد. وفي العصر الحديث فإن الجماعات التي بدأت في هيئة طوائف دينية ثم تطورت إلى كنائس منتظمة تشمل الكويكرز، والمورمون، والروزيكروشيين والسويدنبورجيين، وعلماء الروحانية النصرانية، والميثوديست، وشهود يهوه والمجيئيين (السبتيين)..إلخ، وهناك طوائف أخرى لا حصر لها

[1] http://www.profvb.com/vb/t34508.html.

[2] .http://mosoa.aljayyash.net/category/5/1.html

[3]. أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**– مرجع سابق– ص 588.

ذاب بعضها في الحركات الدينية الموجودة، وتلاشى بعضها الآخر. ومن أمثلة الطوائف التي لم تتغير إلا قليلاً عبر القرون: الأميشيون، وهم جماعة بروتستانتية في أمريكا الشمالية يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر الميلادي.[1]

وهناك من يذهب إلى أن الجماعات الدينية المتطرفة هي التي تحكم أوروبا، وهي جماعات غير تابعة رسميا لأي ديانة سماوية وتسميتها بالدينية إنما ينبع من أن أصحابها الذين يعتنقونها كملل وديانات وهذه الجماعات تنقسم لأكثر من 129 نوعا مختلفا من الجماعات المتطرفة سواء من حيث المعتقد أو الممارسات بل ومن حيث طريقة الدعوة، فإنها تنتشر بطول وعرض أوروبا الغربية والشرقية وبعضها معتمد رسميا بالفعل بل ومرخص به حكوميا. وسبب انتشار هذه الجماعات هو حالة الفراغ الديني الذي تعيشه أوروبا بعد تضاؤل حكم الكنيسة في النسيج الاجتماعي والسياسي وتراجع دورها إلى الاكتفاء بالوعظ التقليدي وجني التبرعات فقط، أيضا اختفاء دَور المؤسسات الدينية كقدوة شاملة وبالتالي يصبح الفرد في حالة خواء روحاني يُلْقي به في أحضان أي جحيم يقنعه أنه قادر على مده بالغذاء الروحاني. على سبيل المثال، هناك جماعة من المتطرفين تسمى الروزا كروشان (الوردة الصليب) وهي من أقدم الجماعات الدينية المتطرفة في العالم والتي لها تعاليم سرية وطقوس بحسب عقيدة تحتانية (سرية وصوفية) تمارس في الخفاء لكن لها أتباع كثيرون منذ أكثر من 500 عام وكان من أشهر أتباعها العالم إسحاق نيوتن مكتشف قانون الجاذبية. لكن اللافت أنها بدأت تنتشر في أوروبا هذه الأيام انتشار النار في الهشيم بحيث أصبحتَ ترى مبشريها في المقاهي ومحطات المترو مما أوصل أتباع هذه الجماعة على مستوى العالم إلى :50 مليون عضو، منهم في أوروبا فقط 33 مليوناً (ولا يخفى أيضا أن لها عملاء في الدول العربية) الأهم أن هذه الجماعة تمارس طقوساً ضاربة في البدائية والتخلف مثل ممارسة تعميد الدمّ وهو ما يطلق عليه التاوروبوليوم وهو تعميد الأعضاء بالدم أيضاً والغريب أيضاً أنها تجتذب أعدادا كبيرة وتقنع الأعضاء أنها تحل مشكلاتهم الروحية والنفسية، حتى أن بعض مراكز العلاج النفسية تلجأ لها في بعض الحالات.

ولكن، يمكن أن نقول أن الروزا كروشان أقل ضرراً من جماعات أخرى مثل القبالة وطائفة السر وجماعة الثلاثين وراصدي القيامة، التي تعدُّ من أخطر الجماعات ضمن مئات الجماعات في أوروبا التي تحاول أن تستقطب العقل الأوربي نحو الجهل وإقناعه بأمور غيبية باطلة، فتبعده من

[1] . http://mosoa.aljayyash.net/category/5/1.html

خلال ذلك عن التفكير العلمي السوي والسليم. ويكفي أن نقول أن 12 بالمائة من رجال السياسة الأوروبيين يتبعون وبشكل رسمي جماعات دينية متطرفة، من خلالها يحاولون أن يمارسوا سلطة قهرية على غالبية المتدينين في أوروبا. ونجد أن غياب القدوة، هو السبب في حالة الانجذاب لجماعات أكثر اتساقاً مع مضمونها من وجهة نظر الأوروبيين. حيث نرى أنه، في خلال ثلاث سنوات تم تنحية أكثر من 186 من الآباء الكهنة بسبب اتهامهم بالتحرش الجنسي بالأطفال وطبعا فإن الفاتيكان يفشل في التستر على هذه الأحداث لأنها، كما تحدث في أوروبا تحدث في أمريكا!! لكن اللافت للنظر هو ترك الحكومات لكل هذا الزخم من التطرف ينتشر بشكل شبه وبائي مع علمها أن هذه الجماعات تفرز حركات تخريبية في نهاية الأمر مما قد يتطلب في النهاية اللجوء للعنف كرد منطقي.

ومن بين الجماعات الدينية المنتشرة في أوروبا "جماعة القبالة"، وهي حركة سرية متطرفة عادت للوجود منذ حوالي ثلاثين عاما. وهي واحدة من الجماعات الدينية المتطرفة اليهودية التي انتشرت في جميع أنحاء العالم. و"القبالة" مذهب سري قديم من مذاهب اليهودية، يلقى قبولا بالتحديد بين طوائف المثقفين ورجال الفن، ونستطيع أن نشبهه إذا جاز التشبيه بطريقة صوفية لها عهود وطقوس سحرية وممارسات سرية وباطنية للغاية ولها كتاب مقدس يسمي الزوهار. وتدّعي هذه الطائفة أن هذا الكتاب هو النسخة الأصلية للتوراة أي الأسفار الخمسة التي نزلت على سيدنا موسي عليه السلام. هذا الكتاب بالطبع كتبه أحد الربانيين وهو الرابي "شيمون بار يوخاي" في القرن الأول قبل الميلاد. هذه الطائفة بدأت تنشط في الفترة الأخيرة بشكل ملفت ومقلق أيضاً، إذ أنشأت مركزا لها في لوس أنجلوس ثم تبعت ذلك بـــ 76 مركزا على مستوى العالم، منهم مركزين في تركيا (أنقره- اسطنبول) وهي مراكز رسمية ومرخص لها. وعن قريب سوف يفتتح أول فرع لهذا المذهب في إحدى الدول العربية (دولة شرق أوسطية). الخطير في هذا الموضوع أن هذه المراكز تعمل بصوره تعطيها شكل مراكز الإرشاد النفسي والاجتماعي وتطرح برنامجا جديداً للتأهيل الاجتماعي عنوانه (هل فقدت شهيتك للحياة – نحن نعيد إليك الرغبة في الحياة). مع أن هذه الطائفة واقعياً لا تمت للحياة بصلة فهي في الحقيقة تبحث في أمور تخص السحر الأسود وتراثه، لكن هذه هي الخطة المتبعة: استقطاب الجماهير واستخدام المذهب في تفكيك الديانات السماوية.

المؤسف له، هو أن هذه المذاهب بدأت بشكل منظم جدا فأنشأت قناة تليفزيونية تبث برامجها وأفكارها وأصحابها يدعون أنهم يعلمون الناس الحكمة التي تؤهلهم للحياة الصحيحة وأن في كتابهم (الزوهار) ردّا على كل الأسئلة التي تتعلق بالله وبداية الخلق ونهاية العالم. وفي ظل الخواء الروحاني والفراغ الديني يبدو من الطبيعي انتشار هذه الطوائف الهدّامة.[1]

ويزيد عدد الجماعات الدينية في أوروبا على الثلاثمائة حسب بعض الدراسات، لذلك يستحيل الإحاطة بكل هذه الجماعات. ولكن ضمن تصنيف ثنائي يقسم الظاهرة المدروسة إلى قسمين كبيرين: الجماعات المنحدرة من الجذع اليهودي المسيحي، والجماعات المستوردة من الشرق الآسيوي.

والجماعات الأولى أيضا يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام: الألفيون، وحركات اليقظة، والمجموعات العلاجية.

الألفيون:

هي جماعات تؤمن بنهاية العالم القائم وبداية عالم جديد يمتد ألف عام تكون هي أسعد الأيام في حياة البشر، وبعدما يأتي يوم القيامة، ولذلك أطلق عليهم لقب الألفيون؛ لقولهم بالألفية السعيدة وهم يجعلون "الإنجيل" كتابهم المعتمد ويفسرونه تفسيراً حرفياً ظاهرياً، خاصة كتاب القيامة الذي يتنبأ بقدوم المسيح المخلص الذي سيملأ الدنيا عدلاً بعد أن تمتلئ جوراً، ليؤسس مملكة عالمية جديدة. وجدت هذه الأقوال صداها خاصة في زمن كثرت فيه الكوارث البيئية الطبيعية والبيئية التي أحدثها التدخل الإنساني في النظام العام للكرة الأرضية، مثل: كوارث بوبال في الهند، وتشيرنوبيل في الاتحاد السوفييتي، وثقب الأوزون، وانقراض حيوانات وكائنات ونباتات، وتلوث مياه، وحروبٍ تُستعمل فيها الأسلحة البيولوجية والنووية المحرمة بالقانون الدولي...، ويصاحب ذلك زلزال اجتماعي انعدم فيه الأمن وكثرت فيه الجرائم والتنظيمات الدولية الخطيرة المتخصصة في القتل والسرقة والمتاجرة في الجنس البشري، وغيرها، وعندما تتعزز هذه المعطيات والوقائع بالاستبداد السياسي والاقتصادي الدولي وتجديد أساليب الهيمنة والاستعمار من لدن الدول الصناعية الكبرى في حق دول العالم الثالث، مع ارتفاع نسب البطالة في العالم، يصبح سهلاً على النفوس أن تتقبل أن الحل الأمثل للخروج من هذه الأوضاع لن يكون إلا بانقلاب تام وقريب متبوع بتحرير شامل ينجزه مخلص سماوي وإلهي، وهذا ما يفسر النجاح المتزايد –في القارات الخمس– لنبوءة جماعة شهود يهوه التي تعلن حتمية قيام معركة

[1] http://mohajir.wordpress.com/page/12 .

هارمجدون المتبوعة بمملكة ثيوقراطية ليهوه، كما يفسر ذلك توسع بعض الجماعات الألفية قبيل الألفية الثالثة.

واستمدت الجماعات المعنية فكرة الألفية والانقلاب الكوني والسياسي من مقاطع الإنجيل خاصة كتب دانييل وكتاب سفر الرؤيا، وهي الكتب التي تتردد في الأذهان عند كل أزمة كبيرة واضطراب عظيم وسط المسيحيين، ووفرت للمجموعات الدينية الحجج لتحديد تاريخ نهاية العالم وعودة المسيح والقضاء على الأشرار والعيش السعيد مدة ألف عام متواصلة. اليوم تتجسد هذه المجموعات في "كنيسة الرب الكونية"، وجماعات "عشاء الرب"، وجماعة "ماهيكاري" اليابانية، وعدد من المجموعات الإنجيلية الصغيرة والمتطرفة، وهذه الإعلانات تغذي الخيال وتوقظ في كل فرد أسطورة "الفردوس المفقود". ونختار نموذجين اثنين من هذه المجموعات الدينية: الأولى جماعة "شهود يهوه"، والثانية جماعات العهد الجديد.

"شهود يهوه":

هذه جماعة نموذجية للجماعات المنحدرة من الجذع المسيحي اليهودي، وطريقتهم الملحة في الدعوة والانتشار بطرق الأبواب والزيارات المتكررة والمواجهة المباشرة في الطرقات والساحات أصبحت مألوفة معروفة لدى الجميع في الدول الغربية والدول المسيحية في كل بقاع العالم.

والجماعة من الناحية العقائدية أقرب ما تكون إلى اليهودية منها إلى المسيحية خاصة في تصورها للذات الإلهية (العهد القديم)، وتعد في ذات الوقت جماعة "أصولية" بسبب قراءتها الحرفية للإنجيل.

تأسست منذ 1874م بالولايات المتحدة على يد شارلز تيز راسل (1852-1916م)، الذي تقلب في جماعات ومذاهب مسيحية في ولاية بنسيلفانيا، وهو رجل أعمال أمريكي تفرغ للدعاية لأفكاره وعقائده بعد أن تخلى عن كل التزام ديني، اعتقد أن عودة المسيح قد أوشكت وأنه إن كانت لا تراه عيون كافة الناس، فإن أعين المؤمنين تستطيع رؤيته خاصة "راسل"، ومن ثم سارع إلى الإعلان عن ذلك، وابتداء من سنة 1879-1880م أنشأ مجموعات رهبانية تحت اسم "دارسو الإنجيل" (تحولت في 1931م إلى شهود يهوه). بعد موته، خلفه كل من ج.ف.رادرفورد (1869-1942م) ون.هـ.كنورت (1905-1977م) وف.و.فرانز الرئيس الحالي.

للجماعة هدف واحد هو ترويج المذهب عن طريق المطبوعات والمنشورات والزيارات المنزلية، وبسبب ذلك تعرف الجماعة تزايداً في أعضائها، إذ كل عضو فيها يعد مبشراً وداعياً. في سنة 1992م كان عدد الأعضاء 4 472787 عضو، وأكثر من 11 مليون متعاطف: أي عضو لكل 475 نسمة بفرنسا، وواحد لكل 375 نسمة ببلجيكا، وواحد لكل 297 نسمة بإيطاليا، وواحد لكل257 بكندا...نسبة النمو على الصعيد العالمي هي +5.4 بالمائة (في فرنسا + 2.1 بالمائة).

تعتقد الجماعة بأن على كل راغب في أن يكون من أعضائها أن يؤمن بكل الحقائق الإنجيلية، وتعتقد الجماعة أن أكبر قضية تطرح على البشرية هي مشروعية هيمنة "يهوه"، وبسبب هذه القضية سمح يهوه بوجود الشر، والمسيح له وجود سابق على الإنسان، وهو مسبوق بأبيه السماوي، واليوم يوجد "عبد مخلص ومتبصر" على وجه الأرض "عهدت إليه كل المصالح الدنيوية للمسيح"، وهذا العبد يجسده حالياً المقر المركزي لجماعة شهود "يهوه". وحدهم المسيحيون المختارون هم الذين سيتلقون الجزاء العلوي، ولن يتجاوز عددهم 144000. أما "هارمجدون" –معركة اليوم العظيم للرب– فقد اقتربت، وهي معركة ستتبعها مملكة المسيح الألفية التي ستجعل من هذا العالم جنة أرضية، ولسوف يكون أول داخل إليها أعضاء "الحشد الكبير" من دون "أنعام المسيح الأخرى".

ومن عقائد الجماعة توحيد الرب، والاجتهاد المتواصل لتجديد هذا التوحيد بعد أن شابه الشِّرك في القرون الثلاثة الأولى لظهور المسيح، ورد الاعتبار للاسم الحقيقي له، ألا وهو "يهوه".

والجماعة محكمة التنظيم دائبة النشاط: يوجد مقرها المركزي "برج الحراسة" في بروكلين بالولايات المتحدة الأمريكية، ويصل عدد الأعضاء به إلى 200 عضو يجتمعون في "قاعة المملكة"، و"مملكة الرب" تهدف إلى تهيئة المجال للأيام السعيدة القادمة للإنسانية، وقد شرعت في ممارسة حكمها منذ 1914م في الوقت الذي توج فيه المسيح في السماء).

ويذهب بعض المحللين الاجتماعيين إلى أن الجماعة حركة احتجاجية ضد النظام القائم بناء على رفضها أداء الخدمة العسكرية والمدنية التبرع بالدم كما ترفض نظرية التطور الداروينية، وبهذه المواقف تدفع الجماعة السلطات إلى اتخاذ مواقف قمعية في حقها ليظهر الطابع العسكري لبعض

الأنظمة، كما "ينكرون النظام الاجتماعي القائم عن طريق تقديم بديل مثالي يضاعف نقائص الأول بالمقارنة"، وفي هذه النقطة يلتقون مع الحركة المناهضة للثقافة القائمة التي اشتهرت في سنوات 1960-1970م.

ويعد رفض العالم القائم وانتظار زواله يوم يأتي المسيح وانقلاب أوضاعه، حيث يصبح المحرومون هم المختارون وجهاً آخر من وجوه الاحتجاج لدى هذه النحلة، أيضاً يصر العضو على الالتزام العملي الحرفي بالتعاليم، وتتحول حياته اليومية إلى نموذج مضاد للحياة الشائعة، فأن تكون عضواً في الجماعة معناه أن تلتزم بمنهج حياة جديد، وبهذه الطريقة تتحكم الجماعة في أعضائها وتدفعهم إلى التوسع في الدعوة والنشاط يومياً، ولا يوجد في حياة العضو مشاعر دينية وجدانية أو درجات في النمو النفسي والفكري. أهم ما تركز عليه الجماعة هو التوسع والاستقطاب المتجسد في أرقام ومعطيات إحصائية.

حركات "العهد الجديد": عام 2000:

يتميز موضوع العهد الجديد (المستوحى من الثقافة الأنجلوساكسونية) بالاقتناع بأن الإنسانية أوشكت على الدخول في مطلع العصر الفلكي المسمى "القوس"، حيث يتجدد الوعي الروحي العام والانسجام والنور والتحولات النفسية العميقة. عصر سيشهد عودة ثانية للمسيح بدأت "معالمها" في الظهور بين الناس.

ويعتقد أصحاب هذا المذهب أن الكون خاضع لتغيرات كبرى عند مطلع كل ألفية وفق قانون قاهر لا يمكن الفرار منه، وأن الألفية الثالثة هي حافلة بالانعطاف الجماعي الدولي نحو التدين والروحانيات، بحيث تتجسد الإرادة العليا في الأجسام البشرية دون إرادة أو شعور، وهذا التوجه لا يزال في بدايته ويتوسع هو الآخر شيئاً فشيئاً ليضم بين طياته عدداً من الجماعات المتشابهة، ومن مراجعه هـــ.ب. بلافاتسكي، وأليس بايلي، وغودجيف، ور.شتاينير، ور.غينون، وأوروبيندو، وتيلار دوكاردان.

الكلمات والمصطلحات المتداولة داخل هذه الأوساط تحمل دلالات رمزية تستخدم بمثابة كلمات السر بين "المؤمنين"، مثل: الانسجام والوحدة والحب والنور والذبذبات والوعي بالذات والتصوف وتلقين المعرفة وولادة المتحولين وظهور المغامرين الروحانيين الجدد وانبعاث الكائنات الناجية من الانقلاب الكوني الوشيك...الخ.

المجموعات المنتمية إلى هذا المذهب كثيرة جدا ومتنوعة، لكنها كلها تقترح طرقاً روحية ليصبح العضو "كائناً متحققاً" (أو مسيحاً). والعبور من مجموعة إلى أخرى سهل جداً ومتداول: مجموعات غربية خالصة، مثل: "الصليب الوردي"، "الأخوة العالمية البيضاء"، "غرآل"، و"أركان"، ومجموعات تستورد التجربة الآسيوية البوذية والهندوسية، مثل: "راجا يوغا"، و"التأمل المتصاعد".. ومجموعات تطوير الطاقة الكامنة في الإنسان، أو علاجه، ومجموعات الكائنات الفضائية...

طموح هذه المجموعات يتركز في اقتراح ديانة عالمية تعلو وتسود في "برج الدلو" الألفية الثالثة مثلما سادت الديانة البابلية "برج الثور"، والديانة الموسوية "برج الحمل"، والديانة المسيحية "برج الحوت"، وحتى يحدث ذلك سريعاً، يستعجل هؤلاء اندثار المسيحية الحالية، وسيكون العصر الجديد عصر "إنجيل جان" بعد أن ساد "إنجيل بيير"، عصر المسيح الغنوصي الخفي، بعد مسيح الكنيسة الظاهر، وبما أن عودة المسيح الجديد قد أوشكت، في زعمهم، فإن كل واحد مدعو إلى تحقيق المسيح الذاتي الباطني، ولهذا السبب يدّعي كثير منهم أنه المسيح المنتظر في العصر الجديد.

بالإضافة إلى المجموعات المذكورة سلفاً، تزخر الخريطة الدينية بمجموعات أخرى، مثل: "منتظرو اليوم السابع" وهي جماعة أصولية حرفية تعتقد أن المسيح المنتظر أوشك على الظهور، وتحرص كثيراً على التطهر من أجل لقاء رفيع معه، وهناك "أصدقاء الإنسان" المنحدرون من طائفة "شهود يهوه" والذين زعموا أنهم تلقوا رسالة يعلمونها للناس، وهي معرفة الحياة الخالدة على وجه الأرض؛ لأنهم يعتقدون أن الجنة ليست في السماء، ولكنها في الأرض الحالية، وأن مهمتهم بناؤها ودعوة الناس إليها، وهناك شيعة "صليب دوزولي الممجد" التي تزعم أنها تلقت رسالة عام 1972م من أم لخمسة أطفال بمنطقة كالفادوس تعلن قرب عودة المسيح ممجداً معززاً مكرماً بعد اضطرابات كونية كبيرة، وهناك "كنيسة الرب الكونية" الأمريكية القريبة من شهود يهوه، وهي معروفة ببرنامجها الإذاعي "العالم القادم"، ومجلتها المجانية "الحقيقة الخالصة" (8 مليون مشترك)، وهناك شيعة "المورمون" (أو كنيسة المسيح لقديسي الأيام الأخيرة)، وأسسها شاب مراهق أمريكي يدعى "جوزيف سميث" سنة 1830م، زعم أنه تلقى زيارة من ملائكة دلته على كتاب غريب يروي قصة تاريخ شعب الله بأمريكا، حيث ظهر المسيح أول مرة: "كتاب المورمون"، والأعضاء يحترمون التقاليد العائلية والأخلاقية والغذائية احتراماً حرفياً، وينشطون في الدعاية لمبادئهم عبر العالم، ويقدر عدد المنخرطين بـــ8120000، وبذلك تحتل هذه الشيعة المركز الرابع في ترتيب كنائس الولايات المتحدة.[1]

[1] . http://mohajir.wordpress.com/page/12

4. 2. 3. الجماعات الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية:

إن ظهور الجماعات الدينية وتحديدا الأصولية الدينية ليست وقفا على المجتمعات التقليدية، فهي شائعة في المجتمعات الغربية بدرجات وأشكال متفاوتة. وربما كان انتشار الجماعات الدينية الأصولية المسيحية، خلال العقود الثلاثة الماضية في الولايات المتحدة بصورة خاصة، واحدا من أبرز التيارات التي استأثرت باهتمام الباحثين الاجتماعيين. ولا يزال بعض هذه الجماعات التي تدخل في عداد "اليمين المسيحي الجديد" وثيق الصلة بمواقع صنع القرار السياسي والاجتماعي، في الولايات المتحدة. كما أن الكثير من هذه الجماعات قد عززت مواقعها في أوساط المجتمع الأمريكي عموما باستخدامها وسائل الاتصال الإلكترونية والتلفزيونية بصورة خاصة خلال العقود الأربعة الماضية، مما عزز وجودها بين مختلف الشرائح الاجتماعية، وأغناها عن كثير من الطقوس والممارسات الدينية التقليدية التي تتطلب من المؤمنين المشاركة الفعلية المباشرة في موقع مكاني محدد. [1]

ويميل عدد من الباحثين الاجتماعيين إلى استثناء المجتمع الأمريكي من جملة المجتمعات الغربية التي انحسر فيها دور الدين. حيث يعرف هذا المجتمع ظهور العديد من المجموعات الدينية التي أخذت في الانتشار والسيطرة على الحياة الاجتماعية داخل أمريكا.[2]

ولعل أسوأ الطوائف الدينية سمعة بالولايات المتحدة في أواخر القرن العشرين هي" جماعة المعبد" التي قادها القس البروتستانتي "جيم جونز"؛ إذ أن مئات من أعضاء الطائفة انتقلوا إلى كوميونة ريفية تسمى جونز تاون في غايانا بأمريكا الجنوبية، وعاشوا هناك تحت حكم جونز المطلق. وفي عام 1978م اغتال قادة الطائفة أحد أعضاء الكونجرس وثلاثة من الصحفيين كانوا يحققون فيما كان يدور من نشاطات داخل جونز تاون، فما كان من جونز إلا أن أمر أتباعه بالانتحار فانتحر ما يزيد عن 900 شخص.[3]

وتشير بعض الدراسات إلى أن "الأصولية الأمريكية قد تحولت إلى حركة قومية محافظة امتزجت فيها العناصر الأخلاقية والدينية والسياسية"، وقد برزت – حسب تقديرها – هذه الحركة خلال الحرب العالمية الأولى.

---

[1]. أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**– مرجع سابق– ص 589.

[2]. أنتوني غدنز، **علم الاجتماع**– مرجع سابق– ص 588.

[3] http://mosoa.aljayyash.net/category/5/1.htm .

بحث الدكتور "سمير كرم" المفكر المصري في التطرف الديني في مجتمع متقدم "ظاهرة الجماعات في أمريكا"، ورأى بأن الظاهرة الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية لافتة للنظر، حيث تشير نتائج سبر الآراء في الشارع الأمريكي- ليؤكد "أن سيادة الروح الدينية في هذا البلد كانت وراء انتخاب رؤساء أمريكا الثلاثة الأخيرين قبل بيل كلينتون، وهم جيمي كارتر "1976"، ورونالد ريغان "1980 - 1984" وجورج بوش الأب "1988"-، أنهم جميعا محافظون، أي أقرب إلى الدين. كما كان لا بد من إشارة إلى أن أول زعيم أسود رشح نفسه في انتخابات الرئاسة وهو القس جيمي جاكسون هو رجل دين"، كما أن الملاحظ هو "انتشار الكنائس في الدولة الأمريكية انتشارا مذهلا"، ويلاحظ أيضا "وجود صراع حاد في الحياة الأمريكية بين مؤيدي نظرية الخلق الدينية وبين دعاة نظرية داروين التي تنطلق من الاعتقاد بالتطور وليس بالخلق".

من هنا، يستنتج المرء بأن الديمقراطية الأمريكية التي تعتمد على الفصل بين الدين وبين الدولة حسب الدستور الأمريكي بدأت تشهد تحولات وذلك بسبب استخدام ورقة التدين والدين في الانتخابات والتي أبرزت الأيام أنها قد لعبت ولا تزال تلعب أدوارا حاسمة في ترجيح كفة المترشحين الأصوليين. ولعل حالة الرئيس جورج دبليو بوش أنصع دليل على ما تشهده الولايات المتحدة الأمريكية من تحول وبروز الدين في داخل هرم السلطة. يقدر الدكتور سمير كرم عدد الجماعات الدينية الأصولية المتطرفة الأمريكية أنه يتراوح ما بين ألفين وخمسة آلاف جماعة، ويقدر العدد الإجمالي لأعضائها بين 10 ملايين و20 مليون شخص. [1]

ولعل من الأحداث التي تبرز حقيقة الصراع بين الجماعات الدينية المختلفة داخل المجتمع الأمريكي تلك المتعلقة ببناء مسجد في موقع برجي مركز التجارة العالمي الذي تعرض لهجمات 11 سبتمبر 2001. ولأسباب داخلية تماما تتعلق بالاستعداد لانتخابات التجديد النصفي للكونجرس المقررة نوفمبر المقبل، أطلق الرئيس الأمريكي باراك أوباما مبادرة لكسب أصوات الناخبين الأمريكيين من أصول إسلامية بتأييده لذلك القرار، ولنفس السبب تراجع بعد 24 ساعة فقط عن مبادرته وتنصل منها بعد أن اتضحت الصورة سريعا أمامه، مشيرة إلى أن الرأي العام الأمريكي (أي القاعدة العريضة من الناخبين) تعارض هذا القرار وتستاء من تحمس أوباما للفكرة، بما يعني أن الديمقراطيين يمكن أن

[1] . http://www.sudanforum.net/showthread.php?t=80955&langid

يزداد موقفهم الانتخابي ضعفا إذا ما راهنوا على أصوات الأقلية الإسلامية الأمريكية التي اعتادت أن تصوت إلى جانبهم في انتخابات الرئاسة والكونجرس.

وقد أصبح الأمر مثار جدل في الأوساط الرسمية والحزبية والرأي العام في أمريكا عندما صوتت لجنة بلدية في مدينة نيويورك بالإجماع ضد قرار منح صفة تاريخية لمبنى يفترض هدمه مما يمهد الطريق أمام المضي في مشروع بناء مسجد ومركز إسلامي على بعد أمتار من موقع مركز التجارة العالمي. والمبنى ذو طابع إيطالي تم استخدامه بأشكال مختلفة على طول تاريخه من مبني صناعي إلى متجر للتجزئة يقال إنه يرمز تاريخياً إلى صعود الرأسمالية الأمريكية وحفاظ الأمريكيين على الحرية. ولكن اللجنة المختصة لم تعتبره كذلك، بما يعني السماح بهدمه ومن ثم يصبح بالإمكان قانونياً إقامة أي مبنى آخر في موقعه. حيث من المفترض إقامة مسجد بدلا منه إعمالا بحق كل الجماعات الدينية في التعبير عن حقوقها وممارسة شعائرها، ومنها الأقلية الإسلامية، فإن الموقف اختلف جذريا بأن ثارت القوي المعارضة في وجه المشروع ومن بينها جماعات يهودية متطرفة وفتحت ملف موقف الأمريكيين من المسلمين والإسلام عموما على خلفية أحداث 11 سبتمبر فجعلته قضية سياسية من الطراز الأول وليس مجرد ممارسة للشعائر الإسلامية وحقا من حقوق المسلمين مثل غيرهم من الجماعات الدينية الأخرى على طول وعرض الولايات المتحدة.

ولكن المبادئ والقيم الأمريكية سقطت في الاختبار سريعا لأن استطلاعات الرأي أوضحت أن حوالي 70 بالمائة من الأمريكيين من مختلف الأطياف السياسية يعارضون بناء هذا المشروع. وهنا تتراجع المبادئ لصالح الاعتبارات البراغماتية المعتادة في السياسة الأمريكية التي لا تصدق فقط على أداء الديمقراطيين، بل وعلى الجمهوريين وكل القوى السياسية الأخرى في الولايات المتحدة، فطالما أن النتائج ستكون سيئة فإنه لا مجال للحديث عن المبادئ والقيم! ولا يخجل الرئيس الأمريكي من التراجع في كلام يمثل وعدا من جانبه بمؤازرة مطالب المسلمين بإقامة المشروع حتى لو كان ذلك يخدم مشروعه السياسي الأكبر وهو تصحيح صورة الولايات المتحدة في العالم الإسلامي. فالمهم هو الحفاظ على السلطة السياسية ممثلة في البيت الأبيض والكونجرس. ولن يعير أوباما وفريقه من الديمقراطيين بالا لأي انتقادات توجه إليهم من العالم الإسلامي بأنهم يتعاملون بازدواجية المعايير، فلو كانت الجهة التي طلبت إقامة المشروع من اليهود مثلا لما ظهرت هذه الاعتراضات، ولو أن موقف

الأقلية المسلمة في أمريكا كان من القوة لفرض نفسه ووضع حدا سريعا لهذا الجدل، ولو كانت خطوات أوباما الانفتاحية على المسلمين والإسلام جادة ومؤثرة لتغير الموقف برمته .فالأجواء لا تزال متأثرة بأحداث 11 سبتمبر والتحفز ضد المسلمين الأمريكيين لا يزال جاهزا حتى إنهم يخشون من الآن التعرض لاعتداءات أمنية من الجماعات العنصرية المتطرفة في الولايات المتحدة وذلك عندما يحتفلون بعيد الفطر الذي سيتصادف موعده تقريبا مع ذكرى هجمات 11 سبتمبر. وقالت صحيفة "يو. اس.ايه توداي" إن هذا التزامن سيوجد سوء فهم وربما أسوأ من ذلك في عام يواجه فيه المسلمون أصلا تصعيدا من الهجمات التي تستهدف دينهم ومساجدهم، وقال "إبراهيم هوبر" المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية (كير): «إن المسألة التي أشعر بها تختمر في مواقع الكراهية على الأنترنت وهي أن "هؤلاء المسلمين يحتفلون بـــ 11 سبتمبر"، وأضاف أن "الأمور تزداد رعباً".

أمام هذا المشهد يتحول موقف أوباما من النقيض إلى النقيض، أي من التحمس لمطالب الأقلية الإسلامية الأمريكية إلى التعاطف مع الجالية اليهودية ذات التأثير القوي في الحياة السياسية الأمريكية، ويتراجع عن مواقفه الليبرالية باتخاذ أكثر من موقف مختلف يزايد فيه على معارضيه من الجمهوريين ولا غرابة حينئذ إذا ما غازل أشد القوى السياسية المتطرفة في بلاده لأنه يخشى من سقوط حزبه في انتخابات التجديد النصفي خصوصا أن الحزب واجه انتكاسات سياسية على الصعيد الخارجي في الفترة الأخيرة وقد تؤدي الانتخابات إلى عودة الجمهوريين للسيطرة على الأغلبية في الكونجرس ليجد أوباما نفسه محاطاً بمعارضة قوية قد لا تمنحه الفرصة للبقاء في البيت الأبيض 4 سنوات أخرى.[1]

ومما تقدم يمكن القول أن المشكلة الكبرى التي تبرز أمام الباحث في شؤون الجماعات الدينية الغربية عموما والمتطرفة تحديدا، تتمثل في عدّة نقاط منها :

- ✓ تحول الدين إلى مسوغ وبعد من أبعاد الحياة السياسية وهذا يعني أن ما يسمى بالنضج العلماني في إدارة شؤون الحكم بعد يتعرض للانسحاب .
- ✓ ارتباط الجماعات الدينية الغربية المتطرفة بالحركة الصهيونية وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. في الماضي كانت الحركات العرقية الغربية تعادي اليهود وتبطش بهم ولا تزال هذه الحركات موجودة وتتمثل في الاتجاهات التي تتغطى بغطاء القومية.

[1] .http://main.omandaily.om/node/27489

هذه الاتجاهات القومية المتطرفة رغم أنها تظهر نفسها بمظهر العلمانية ولكنها لا تخلو من الاحتماء بالهوية المسيحية. وتمثل تهديدا للأقليات الأجنبية المقيمة في أوروبا ــ الغرب، وأكثر من ذلك فإنها لم تصرح عن فصل نفسها عن التيارات المدعوة بالمحافظين الدينيين الجدد في الفضاء الغربي.

- ✓ إن التيارات المسيحية الأصولية المتطرفة وصلت إلى الحكم في عدد من البلدان الغربية وخاصة في أمريكا، وتتأتى خطورة هذه التيارات من تقسيم العالم إلى قطبين متعارضين أبديا وهما قطب الشر وقطب الخير الذي ترى بأنها تمثله في حين تمثل الحركات الإسلامية قطب الشر.

إن هذه الحركات المتطرفة تعتمد النظرية الفكرية التي تتأسس على الثنائيات المتضادة على نحو لا ينتهي، وترفض التاريخ كحركة متعددة الأبعاد، وتحصر العقلانية الحضارية في المركز الغربي في حين تحشر الفضاءات اللاغربية في خانات اللاعقل.[1]

4. 2. 4. الجماعات الدينية في آسيا

بدأت اثنتان من أكبر الطوائف الدينية في الأقطار الغربية أنشطتهما في آسيا؛ إذ تأسست الجمعية العالمية للوعي بتعاليم كريشنا والمعروفة عادة باسم هير كريشنا في كلكوتا بالهند عام 1954. وأسست هذه الطائفة خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين العديد من المراكز في المدن الغربية. وكان أعضاء طائفة هير كريشنا يستجدون الأموال في المطارات والأماكن العامة. يَحلِق الذكور رؤوسهم ويستغرق أعضاء الطائفة في تأملاتهم بطريقة خاصة. أما الطائفة الآسيوية الثانية ــ الكنيسة التوحيدية ــ فيحكمها مؤسسها الكوري البروتستانتي صن ميونغ مون. وهي مستمدة من النصرانية، ويُعرف أتباعها عادة باسم المونيون، وهم يعتقدون أن إدخال الناس في دينهم سوف يفضي في النهاية إلى حدوث مواجهة نهائية بين قوى الخير وقوى الشر ممثلةً في الشيوعية العالمية. ويبرر قادتهم فرض الوحدة الدينية والسياسية على أتباعهم بأن الحق في جانبهم تماما. أما الطوائف الدينية الأقل عدوانية وانضباطا فتميل إلى التركيز على التأمل الشخصي الانفرادي.[2]

خلاصة الفصل:

[1] . http://www.sudanforum.net/showthread.php?t=80955&langid
[2].http://mosoa.aljayyash.net/category/5/1.htm

يمكننا أن نقول في نهاية هذا الفصل أن تعريف الجماعات الدينية اختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر وكذلك من دين إلى آخر كما عرفنا أن خصائص الجماعات الدينية، هي واحدة مع بعض الاختلافات في الوظيفة الاجتماعية لهذه الجماعة أو تلك ورأينا أن هذا المفهوم تطور تبعا لتطور مفهوم الدين عبر العصور وتغير وظائفه من مجتمع إلى آخر، وخلصنا إلى أن الجماعة الدينية هي مجموعة من الأفراد اجتمعوا على عقيدة واحدة، لكن تتطور الوظيفة السوسيولوجية لهذا التجمع وتطغى على حياة الأفراد المنتمين لها بحيث تشكل وجدانهم النفسي والاجتماعي وتنعكس على السلوك والقيم والأفكار التي يؤمن بها هؤلاء الأفراد.

الفصل الرابع

الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية

تمهيد:

أولا: العولمة الإعلامية وتأثيرها على الإعلام العربي

ثانيا: مكانة الأفلام الوثائقية في القنوات العربية

ثالثا: القنوات المتخصصة في الأفلام الوثائقية في العالم العربي

رابعا: محاور اهتمام الأفلام الوثائقية العربية

خامسا: الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية

خلاصة

تمهيد:

سوف نحاول في هذا الفصل رصد صورة الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية، وسيتم ذلك من خلال معالجة الموضوعات التالية أولا: العولمة الإعلامية وتأثيرها على الإعلام العربي حيث سنحاول تقييم تأثير هذه الظاهرة على الإعلام العربي الرسمي والخاص، وسنتناول في الموضوع الثاني مكانة الأفلام الوثائقية في القنوات العربية وحجم الإنتاج العربي ونوعيته جمهوره وتأثيره على المشاهدين، ثم نتناول موضوع القنوات المتخصصة في الأفلام الوثائقية في العالم العربي، مركزين على بعض القنوات المحترفة والواضح تأثيره وانتشارها في العالم العربي، ثم نلقي الضوء على بعض محاور اهتمام الأفلام الوثائقية العربية محاولين الإجابة عن مدى معالجة الأفلام الوثائقية للقضايا العربية ومشاكل ومشاغل وهموم المواطن العربي، ثم أخيرا سنتناول موضوع الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية.

أولا: العولمة الإعلامية وتأثيرها على الإعلام العربي

يربط الكثير من المهتمين بشؤون الأفلام الوثائقية في العالم العربي، الاهتمام بها من قبل التلفزيونات العربية بظهور العولمة، ويتضمن أحد جوانب مفهوم العولمة المرتبط بتفسيرها على أنها انتشار عالمي لمنتج ما. بعض المخاطر التي يمكن ملاحظتها من خلال الممارسة العلمية لإنتاج الأفلام الوثائقية وخاصة عندما يتعلق الأمر بقصديه مسبقة يحكمها الطموح النرجسي للوصول إلى العالمية، حيث تبين الممارسة العلمية لإنتاج الأفلام الوثائقية، أن الكثير منها يصنع ليعجب الآخر، خاصة عندما يكون الآخر هو الممول أو القادر على الدعم وهو الذي يمنح المنتج الفيلمي شهادة "العالمية"، يختلف الفيلم الوثائقي عن أي منتج صناعي آخر من حيث قدرته على الوصول إلى السوق العالمي، فبعكس المنتج الصناعي المنتشر عالميا الذي تكون قيمته في ذاته وبما تتضمنها من فائدة، وبعكس قلة من الأفلام ذات المستوى الإبداعي الرفيع ذي الهوية الوطنية الحضارية والخصوصية الأسلوبية والأصالة، بحيث تفرض نفسها فرضا على المستوى العالمي، فنادرا ما ينتشر المنتج الوثائقي عالميا أو يكتسب تأثيرا ما على المستوى العالمي لخصائص في ذاته، بل قد ينتشر لكونه يعرض الواقع المحلي كما يريد الآخر، المهيمن على التمويل والإنتاج وأسواق التوزيع وسائط العرض، أن يراه فيركز على جوانب ويتجاهل جوانب أخرى، يركز على السلبيات ويتجاهل الإيجابيات، أو يعرض الواقع المحلي بوصفه فلكلورا مثيرا للفضول، فلا يكون التعبير عن الواقع أصيلا وصادقا.[1]

إن الفترة التي سبقت العولمة اتسمت بغياب يكاد يكون تاما للأفلام الوثائقية ما عدا ما يتم استيراده من دول أوربا وأمريكا من أفلام تتم ترجمتها، وتتناول في معظمها مواضيع اقتصادية أو بيئية تغيب فيها خصوصية البيئة العربية، ولا تعكس واقعها ولا تطرح مشاكلها ولا تهتم بمشاغل المواطن العربي. ومع ذلك يمكن الإشارة إلى بعض المحاولات العربية المحتشمة، رغم غياب المختصين في إنتاج هذه الأفلام الوثائقية وضعف الإمكانيات وكثرة العوامل التي تعيقها. كل هذا جعل تلك الأفلام أقرب إلى الروبورتاجات منها إلى الأفلام الوثائقية. من ذلك أعمال "محمد بيومي" في مصر في 1924. والتي أشرنا إليها سابقا، و"نور الدين الرفاعي" في سوريا في بداية الثلاثينيات.

[1]. عدنان مدانات، **عولمة السينما، عولمة الصورة الوثيقة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/01/2010159237458909.html

أما في تونس فقد كانت بدايات الفيلم الوثائقي، في السبعينيات من القرن الماضي محتشمة. واقتصرت على إنتاج أفلام تهم تاريخ الحركة الوطنية أو للتعريف بالسياسات الحكومية للتنمية الجهوية أو للإشهار السياحي و أحيانا للتعريف ببعض الثروات الطبيعية والبيئية، لكن ذلك كان بشكل متقطع وقليل ثم توسعت في وقت لاحق شيئا ما لتشمل بعض المواضيع الأخرى.

ومع التطورات التي أحدثتها العولمة في كل المجالات كان من المفترض أن تدفع مؤسسات الإنتاج العربية إلى تطوير مضامينها وتنويعها للتأقلم مع هذا الوضع الجديد مثل البطالة، ورصد اهتمامات الشباب وتعامله مع التكنولوجيات العصرية، وخاصة منها ما يتعلق بوسائل الاتصال الحديثة والتحسيس بمشاكل البيئة والتلوث وندرة المياه وعدة مواضيع أخرى هامة، لها انعكاسها المباشر على المواطن والمشاهد العربي أينما كان، لكن مع ذلك لم يحدث ما كان مأمولا، وبقيت أغلب التلفزيونات العربية رغم كثرتها وتمدد ساعات بثها، بعيدة عما هو مطلوب القيام به، وكأنها غير معنية بكل ما يجري من تحولات حولها.

وقد ساهم ظهور فضائيات عربية جديدة في تطوير مضامين الأفلام الوثائقية العربية، فمع مطلع التسعينيات من القرن الماضي، حدثت قفزة نوعية في هذا الصنف من الأفلام خاصة لدى بعض القنوات التي نجحت في استقطاب المشاهد العربي، وعلى سبيل المثال قناة "أم. بي. سي"، و"الجزيرة الإخبارية"، ثم في وقت لاحق "قناة العربية"، التي انطلقت عام2003، ونجحت هذه القنوات في تأسيس تصورات متطورة للأشرطة الوثائقية، وإن كانت ذات مضامين سياسية بنسبة عالية. وهذا التطور الذي أثار اهتمام كثير من الأخصائيين لم يأت من قبيل الصدفة بل أتى انطلاقا من إستراتيجية واضحة ومدروسة تستهدف شريحة من المشاهدين وصنفا من المواضيع التي تستقطب جزء كبيرا من اهتمامات المشاهد العربي، وشعورا منها بأهمية هذا النوع بادرت قناة الجزيرة بإنشاء مهرجان سنوي للأفلام الوثائقية.

إلا أن التسييس المفرط للأفلام الوثائقية التي تحمل في مضامينها مآس تصور الواقع العربي المتردي في ظل التحالفات الدولية والصراعات الإقليمية والتحديات الراهنة التي تواجه المنطقة العربية، سواء من الناحية الاقتصادية أو الحضارية أو الثقافية، يجعل هذا الصنف من الأعمال بعيدا عن روح المفهوم الحقيقي للفيلم الوثائقي. لقد أدى ظهور هذه الأفلام إلى لفت انتباه أصحاب القرار في الفضائيات العربية إلى أهمية الفيلم الوثائقي في بعض الدول العربية. إلا أنه في غياب سياسة

واضحة لإنتاجها في المؤسسات الرسمية، أفسح المجال للكثير من الشركات الخاصة لخوض هذه التجربة بإمكانيات متواضعة لكن بروح عالية غالبا.[1]

ثانيا: مكانة الأفلام الوثائقية في القنوات العربية

إن المساحة التي شغلها عرض الأفلام الوثائقية على القنوات العربية، لم تكن بالحجم الكبير، وهذا ما أكدت عليه الدراسة التي قدمتها مجلة الإذاعات العربية، حول منزلة الأفلام الوثائقية في البرمجة التلفزيونية العربية، وهي دراسة حاولت تتبع الحضور الفعلي لتلك الأفلام في التلفزيونات العربية، وقد توصلت إلى نتائج تقول بالاهتمام النسبي لتلك القنوات بالأفلام الوثائقية المحلية منها والمستوردة، حيث كانت مهمشة بالنظر إلى المدة الزمنية التي كانت مخصصة لها وفترات البث ومحاور الاهتمام والقضايا المطروحة قطريا وقوميا إضافة إلى أساليب المعالجة.[2]

ويذهب البعض إلى أنه وحتى زمن قصير مضى، كانت القنوات العربية تشتري الأفلام الوثائقية الأجنبية لمجرد ملئ وقت الإرسال، إلا أن هذا قد تغير تماما. الآن تنتج محطات مثل الجزيرة والعربية بنفسها، وذلك لأفضل أوقات الإرسال، مما وسع الاهتمام بمجال الأفلام الوثائقية وصنع لها جمهورا على تلك القنوات.

2. 1. قناة الجزيرة الفضائية:

تأسست قناة الجزيرة الفضائية في الأول من نوفمبر 1996، وكانت القناة الفضائية الوحيدة لدولة قطر آنذاك، وتحمل شعار الرأي والرأي الآخر، وقد شرعت الحكومة القطرية في تمويل البنية الأساسية لهذه القناة على أن يتولى القطاع الخاص تملكها وإدارتها مستقبلا، ولها شخصيتها القانونية المستقلة، وتعمل على أسس تجارية صرفة مع مراعاة القيم والعادات والتقاليد العربية والإسلامية. وقد

---

[1]. هاجر بن نصر، **المضامين الوثائقية العربية في ظل التحولات الاجتماعية، تجربة نصر للإنتاج الفني و التوزيع مثالا**، مجلة الاداعات والتلفزيونات العربية، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 2. السنة 2007. ص. ص 30-31.

[2]. عبد القادر بن الشيخ، **البرامج الوثائقية و التسجيلية في البرمجة التلفزيونية العربية**، إحصائيات حول الإذاعة والتلفزيون، مجلة الإذاعات العربية، العدد ص- ص، 64- 67.

أعلنت في 2006/03/23، تحولها إلى شبكة تضم إلى جانب قناة الجزيرة الإخبارية العربية، قنوات الجزيرة مباشر والجزيرة الوثائقية وقناتي الرياضة والجزيرة الدولية الناطقة بالإنجليزية.[1]

وتبث القناة الأخبار على مدار الساعة، والعديد من البرامج الحوارية والمباشرة، وكذا الأفلام الوثائقية. اكتسبت الجزيرة شهرتها عربيا بسبب قيام القناة ومنذ إطلاقها ببث حوارات غير مسبوقة حول الشأن العام العربي، حيث أثار جدلا في العديد من الدول العربية، وبعد هجمات 11 سبتمبر اكتسبت القناة اهتماما عالميا بسبب بثها لأشرطة أسامة بن لادن وتغطيتها للحرب على أفغانستان. وقد توسعت شبكة الجزيرة لتضم عدة قنوات أخرى بتوجهات مختلفة وبعدة لغات. وكانت بداية القناة بتوظيف الكادر المؤهل من قناة BBC العربية الإخبارية البريطانية من لندن والتي أغلقت في أفريل 1996 بعد اعتراض الحكومة السعودية على برنامج بث فيها.

وقد أصبحت الجزيرة أكبر قناة إخبارية عربية من ناحية الانتشار (أكثر من 45 مليون مشاهد) وكانت سبباً قوياً في انطلاق قنوات فضائية أخرى بهدف منافستها. ومن أكثر أسباب شهرة قناة الجزيرة عالمياً فهو بثها أشرطة "أسامة بن لادن" حصريا وتغطيتها لغزو أفغانستان (2001).[2] وغزو العراق 2003 والعدوان الإسرائيلي على لبنان 2006، وعلى غزة 2009. ولعل من أهم العناصر التي زادت من أهمية هذه القناة ووسعت مشاهدتها هو تلك الأفلام الوثائقية المتنوعة المواضيع والقضايا التي تبثها دوريا حتى مع إطلاق قناتها المتخصصة الجزيرة الوثائقية. ومن بين أشهر الأفلام الوثائقية التي بثتها الجزيرة نجد: الجريمة السياسية"، "تحت المجهر"، و"أرشيفهم وتاريخنا، حكاية ثورة وغيرها كثير من الأفلام الوثائقية الهامة.

2. 2. قناة العربية وقناة mbc:

بينما كان موضوع تأسيس قناة مختصة بالأفلام الوثائقية لا يزال قيد البحث في محطة الجزيرة، كانت شركة الإنتاج التابعة لمجموعة MBC، قد أنتجت الأفلام الوثائقية الأولى لمحطة

[1]. هالة إسماعيل بغدادي، **الإخباريات الفضائية العربية الواقع والطموح: دراسة ميدانية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2009.، ص56.

[2] .http://ar.wikipedia.org/wiki/

العربية الإخبارية ولمحطة MBC. ففي العام الأول للإرسال فقط، نفذت شركة الإنتاج أفلاما وثائقية لأكثر من ستين ساعة حول مواضيع تخص السعودية العربية والعراق وفلسطين ومضامين عربية أخرى مع تركيز واضح على الحدث السياسي الجاري في المنطقة. ولكنها أنتجت أيضا سلسلة عن إرهابيين سابقين، وعن مبشرين أو عن الخط العربي، كلها مواضيع تضمنها برنامج الإنتاج. "نتناول، منذ الحادي عشر من سبتمبر، على نحو متزايد، العلاقة بين العرب والغربيين والجدال عن الإرهاب"، حسب محمد سويد، مدير الإنتاج في قسم الفيلم الوثائقي في شركة الإنتاج التابعة لمجموعة mbc.

وفي كل عام تقوم محطة العربية في دبي بورشة عمل لصانعي الأفلام العرب. حيث تقدم مشاريع واقتراحات لصناعة أفلام وثائقية، يجري تطويرها في لقاء العمل الذي يستمر لعدة أيام. ورشة العمل هذه عتبة انطلاق لصانعي الأفلام الناشئين. ويذهب "سويد" "أنه لا توجد إنتاجات عربية – عربية مشتركة، على تنوع المحطات التلفزيونية العربية"، فكل قناة تنتج بمفردها. لذا تكون ميزانيات الأفلام منخفضة ولا يتاح المجال للمشاريع الطموحة، عدى ذلك كان من الصعب في البداية إقناع صانعي البرامج بإمكانية كسب الربح بالأفلام الوثائقية. وحسب "محمد سويد " فإن محطة العربية استطاعت تسويق بعض إنتاجاتها الخاصة في الخارج، وذلك مع اهتمام متزايد من طرف كل من المحطة الفرنسية الألمانية ARTE، والألمانية ZDF والمحطة اليابانية NHK.[1]

2. 3. قناة الـــ"بي بي سي العربية":

مع انطلاقة البث التلفزيوني لـــ"بي بي سي العربي" تم إنتاج مجموعة من الوثائقيات، بالاستفادة من تراث "بي بي سي الأم"، في إنتاج الوثائقيات الذي يعتمد على الجدية في تناول الموضوع، وتقصي الدقة في التحقيق. وتقدم السلسلة بأسلوب جديد إلى حد ما، بالمقارنة مع ما جرت عليه العادة في الإعلام العربي، غير أن الظروف حينها لم تكن مواتية للاستمرار بهذا المشروع، لأن إنتاج فيلم وثائقي مدته نصف ساعة يتطلب من فريق العمل التفرغ لمدة أربعة أشهر أو أكثر. فعملية الإنتاج معقدة وتتطلب تقنيات عالية لتنفيذه. ميدان إنتاج الوثائقيات في العالم العربي بصورة عامة غير مستقر، لذا تم الخوض في هذه التجربة ثانية انطلاقا من أن العالم العربي مفعم بالموضوعات الحساسة

[1]. أسماء وهبة، **السينما الوثائقية" صناعة بلا جمهور من المؤلفين نفسهم أيضا** الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

والمعقدة التي تجعل من الصعب تناولها في تقرير مدته ثلاثة دقائق أو حتى في برنامج حواري. والوثائقيات هي الشكل الأكثر ملائمة لتناول مثل هذه المواضيع.

أما الموضوعات التي تتناولها السلسلة فيدخل بعضها تحت عنوان "التابو والمحرم"، ومن هنا جاء عنوان السلسة: "ما لا يقال". الحلقة الأولى كانت تحت عنوان "دبي.. هي العالم"، وهي العبارة التي وردت في خطاب الشيخ "محمد بن راشد آل مكتوم" عند إعلانه عن مشروع "دبي لاند" عام 2003. وتناول ما حدث لدبي في أعقاب الأزمة العالمية؟ كيف تأثرت حياة من يسكنها؟ وأين حلم الشيخ محمد لدبي الآن؟ أسئلة حاول البرنامج الوثائقي الإجابة عليها من خلال قصة أربع شخصيات لكل منهم حلمه ولكل منه "دبي" مختلفة تأخذ منه وتعطيه. ومن المواضيع الأخرى الشائكة التي تم التطرق إليها في إطار السلسلة الوثائقية الجديدة، ظاهرة ترميم عذرية الفتيات في الشرق الأوسط، التي بالرغم من أنها شائعة يبقى الموضوع محصورا في مجال "ما لا يقال". حيث يتم الالتقاء بفتيات خضعن لمثل هذه العملية. كذلك هو الحال مع مسألة تغيير الدين في العالم العربي التي تعتبر أيضا من الممنوعات.[1]

ثالثا: القنوات التلفزيونية المختصة في الأفلام الوثائقية في العالم العربي

إن الحديث عن القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة عموما، يستوجب التوقف عند جملة من الملاحظات تشكل في معظمها عقبات أمام الباحث في هذا المجال. إن حدود التخصص ليست دائما واضحة تمام الوضوح ونادرا ما تجد قناة عربية متخصصة بما تنفرد به من مضمون دقيق التخصص، كما أن التخصص يتسع ويضيق في بعض القنوات لأسباب واضحة لعل من أبرزها التردد بين الرغبة في التوغل في التخصص وبين التمسك بالتوجه الشمولي لاتخاذ منهج بين الاثنين يستفيد من مميزات هذا وذاك.[2]

ومن هنا فالبحث في مجال التلفزيونات العربية المتخصصة في مجال الأفلام الوثائقية ليس سهلا بالنظر إلى وجود قنوات خاصة بهذا النوع من الإنتاج ما عدا قناة الجزيرة الوثائقية وبالمقابل

---

[1]. نجلاء العمري، **العالم العربي يعج بالموضوعات الحساسة**.
http://www.bbc.co.uk/arabic/multimedia/2010/04/100401_naglaa_ale

[2]. المنصف العياري ومحمد عبد الكافي، **القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة**. اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث و دراسات إذاعية، تونس. 2006. ص . 16.

تحتل الأفلام الوثائقية مساحة معتبرة في قنوات أخرى مثل العربية. وفي دراستنا هذه سنركز على قناة الجزيرة الوثائقية كقناة متخصصة ومنفردة بهذا النوع من الإنتاج الإعلامي في العالم العربي.

ولعل من الأسباب التي دفعت لاستحداث هكذا قناة متخصصة بالأفلام الوثائقية، هو تغير النظرة النمطية التي كانت سائدة حول الفيلم الوثائقي بانحصار دوره وقيمته واعتباره خاصا بفئات النخبة، واتسعت بذلك رقعته الجماهيرية. مما فرض على المختصين العمل من أجل مضاعفة الإنتاج وتنويع المواضيع لتشمل القضايا ذات الاهتمام من طرف مشاهديها.

فالأفلام الوثائقية تلعب دورا كبيرا في تقديم الواقع الموجود واستعادة الماضي وطرح قضايا ثقافية وسياسية عميقة، بالإضافة إلى المسائل العلمية والجغرافية المساعدة على زيادة الوعي المعرفي في مجمل القضايا.[1]

وهو الأمر الذي جعل القائمين على الصناعة الإعلامية الوثائقية وفي قناة الجزيرة تحديدا، يدركون أهميتها وخطورة الدور الذي يمكن أن تؤديه في التغيير الاجتماعي والثقافي داخل المجتمعات العربية وزيادة وعي المتتبع العربي بمختلف القضايا التي تعرض عليه. وهذا ما حدا بهم إلى إنشاء قناة وثائقية متخصصة لتكون دعما قويا لشبكة الجزيرة.

✓ قناة الجزيرة الوثائقية

هي إحدى فروع شبكة الجزيرة، وهي قناة ثقافية متخصصة في عرض الأفلام الوثائقية، أنشأت وانطلقت في 1 جانفي 2007، وأطلق الموقع الإلكتروني الخاص بها بعد عامين في 1 جانفي 2009. تبث العديد من المواضيع الوثائقية بشكل منوع، وتنطلق من اهتمام أساسي قوامه الإنسان وبيئته المعاشة والتفاعل الحاصل فيما بينهما. وتمتلك الجزيرة واحدة من أكبر المكتبات الوثائقية المرئية على مستوى العالم، وبالتالي كان إصدار القناة التي لاقت إقبالا كبيرا لأسباب كثيرة منها شهرة قناة الجزيرة واللغة العربية المستخدمة والمواعيد الدقيقة، والتنوع في البث للبرامج.

تهدف هذه القناة إلى تقديم برامج ثقافية وثائقية للمشاهد العربي تتناول مواضيع شتى في ميادين العلوم والتاريخ والسياسة والأدب والفن على مدار الساعة. وترمي إلى إنتاج ما يقارب 15 بالمائة مما تعرضه، على أن ترتفع هذه النسبة إلى 20 بالمائة في المستقبل القريب، أما الباقي، فستعتمد القناة على

[1]. عاصم جرادات، **الوثائقيات بين تجربتي الbbc العالمية و شبكة الجزيرة الفضائية.**
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/2009624907146808.htm

ترجمة برامج أخرى عالمية – ليست فقط أوروبية وأمريكية–. وقد أبدت القناة استعدادها لدعم المصورين والمخرجين العرب والأجانب حول العالم ذوي الكفاءة المثبتة في مجال الأفلام الوثائقية لمحاولة نشر أعمالهم عبر شاشاتها. كما يهدف قسم الإنتاج بالقناة إلى تكليف منتجين بإنتاج أفلام وثائقية عالية الجودة من كافة أنحاء العالم عن الإنسان وبيئته والتفاعل الحاصل بينهما، وذلك بهدف وضع المشاهد في قلب أحداث وقصص شيقة ومثيرة، وذلك لاكتشاف ودعم التعاون مع رواد الإنتاج الوثائقي للمساعدة في خلق صناعة توثيقية في مختلف دول العالم. وهذه الأفلام ينبغي أن تعطي صورة بانورامية شاملة عن القضايا ذات الاهتمام العربي بطريقة شيقة ومثيرة.

ولكن يبقى الهدف الرئيس للقناة هو إشاعة ثقافة الوثائقية في عالم اللغة العربية، وإلى رعاية مبدعيها وصانعيها وإلى خلق صناعة وثائقية. تسعى القناة لشراكة حقيقية مع روادها حول العالم..أملا في تحقيق إعلام وثائقي مختلف يخدم الإنسان وبيئته برؤية حضارية ذات رسالة وروح تنشر الأمل وتشيع ثقافة التواصل بين الشعوب والحضارات. وتعمل قناة الجزيرة الوثائقية على أن تكون هي النافذة التي يطل منها جمهورها العربي والناطق بالعربية أينما كان. فيرى من خلالها الآخر أيا من يكون، ويرى أيضا نفسه على ذات الشاشة فيتعرف على العالم من حوله ويحافظ في الوقت نفسه على هويته وعلى ثقافته وحضارته.

جاءت فكرة هذه القناة من كون قناة الجزيرة تمتلك واحدة من أكبر المكتبات الوثائقية المرئية على مستوى العالم، لكي تقدم للمشاهد كنزا وثائقيا مصورا هاما في حياة الأمة العربية والعالم. تنسجم رؤية قناة الجزيرة الوثائقية مع الرؤية العامة التي أرستها شبكة الجزيرة، والتي تحتفي بالإنسان وتضعه في مركزها وتنحاز إلى قضاياه عبر الكلمة والصورة. ولما كانت الجزيرة الوثائقية ناطقة باللغة العربية فإنها تولي اهتمامها بالدرجة الأولى للمشاهد العربي أينما كان، وتسعى من خلال إنتاج الأفلام الوثائقية وأنشطتها المختلفة إلى تقديم خدمة ترفيهية مرتبطة ارتباطا وثيقا بقيم إنسانية وثقافية تحترم المشاهد، وتلتزم بميثاق الشرف الصحفي. تتضمن شاشة قناة الجزيرة الوثائقية أربعة أضلاع:

- ✓ المعلوماتية، التوعية الثقافية، والفنية، والعمق والإمتاع.
- ✓ المعلوماتية: تقديم معلومات جديدة للمشاهدين في المجالات قيد البحث في الأفلام.
- ✓ التوعوية: المساهمة في إنماء الوعي الثقافي والحضاري للمشاهد والمساهمة في تثبيت هويته الخاصة النابعة من ثقافته وتراثه.

- ✓ الثقافية : رفع الوعي بالآخر وما يدور حول الجمهور من عوالم وأفكار وسياسات وديانات وتطورات في هذا العالم السريع الحركة.
- ✓ الفنية : وهي الصياغة الفنية والجودة العالمية المطلوبة فيما نعرض من أفلام لاحترام الذائقة البصرية والجمالية لدى المشاهد وأيضا لاحترام المعايير الفنية لطبيعة هذا النوع من الفن الوثائقي.
- ✓ الإمتاع : وهي الارتقاء بمستوى المنتج المعروض كفيلم لتظل حالة المتابعة هي حالة ممتعة لكل من يشاهد الوثائقية.[1]

ومحطة الجزيرة الوثائقية لديها اهتمام كبير ومنهج لتطوير الفيلم الوثائقي ليس بالمواصفات المعهودة، إنما بمواصفات جديدة، من خلال التركيز على أهمية الصورة، والتعبير البصري في الفيلم، كما تسعى لتغيير التصور السائد عن الفيلم الوثائقي بأن عليه أن يكون طويلا، وأقرب إلى الإخباري، ومصحوبا بمساحة تعليق كبيرة، يتناسب مع طبيعة المشاهدة التلفزيونية التي لا تعتمد على التركيز الكبير وتضع في اعتبارها الوقت الميت الذي من الممكن مثلا أن يرد المشاهد فيه على الهاتف وهذا يقطع المشاهدة، كما تحرص هذه الفضائية ألا يبقى موضوع الفيلم الوثائقي محصورا بما هو مقبول ومتوافق فكريا وإيدولوجيا مع الجهات المنتجة والمسؤولة والمشرفة عليه إعلاميا.[2]

في المشهد الفضائي العربي، تبقى لشبكة قنوات "الجزيرة" معاييرها النقدية الخاصة. التفوق المشهود للمؤسسة القطرية، وضعها في موقف غريب بعض الشيء، يتلخّص في كونها مطالبة لا بالتفوّق على الآخرين، بل على نفسها! لذا، انتظر الجميع قناة "الجزيرة الوثائقية" التي انطلقت بعد ولادة "الجزيرة الدولية". وفيما حازت الدولية إعجابا وتقديرا نظرا إلى المهنية العالية التي اتسمت بها، والتي وضعتها منذ اللحظة الأولى في منافسة مع المحطات الإخبارية الأكبر في العالم، جاءت انطلاقة القناة الوثائقية بمستوى أقل من المتوقع منها. وعلى رغم التأجيلات المتعددة والمواعيد المتضاربة لبدء البث، بدت المحطة كأنها أعدت برامجها على عجل، أو كأن الوقت لم يكن كافيا للعاملين فيها، ليحققوا مستوى الإبهار الذي عودت عليه "الجزيرة" مشاهدها العربي.

---

[1] .http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2

[2] . رانية عقلة حداد، **الفيلم التسجيلي كالابن اللقيط**. http://www.alnator.com/algorbal/news.php

والقناة لم تنتج أكثر من عشرة في المائة من برامجها، وهو المتعارف عليه في عالم البرامج الوثائقية، إذ تعتمد القنوات التلفزيونية على شراء برامج شركات صغيرة، تعمل بنظام المنتج المنفذ. لكن هذه الخطة لا تبرر العدد المخيف من البرامج الوثائقية التي اشترتها "الجزيرة" من تلفزيون "بي بي سي"، وتعرضها حاليا، مستعينة بالتعليق العربي، ما جعلها تبدو كأنها نسخة معربة عن "بي بي سي"، على طريقة الطبعة العربية لمجلة "نيوزويك"!

إلا أن المفارقة الحقيقية تكمن في كون قناة "الجزيرة الإخبارية" تملك عددا كبيرا من البرامج الوثائقية المميزة: "الجريمة السياسية"، "تحت المجهر"، و"أرشيفهم وتاريخنا" على عكس المتوقع، لم ينقل أي من هذه البرامج إلى القناة الوثائقية. في المقابل، عمدت هذه الأخيرة إلى بث برامج شاهدها المتفرج قبلا على الشاشة الإخبارية، مثل "حرب لبنان" بأجزائه الثمانية وسلسلة "ممنوعون". وبدا أن "الوثائقية" تفضل في شكل عام بث "الأفلام" أكثر من البرامج، مثل "الصين: نظرة من الداخل"، "حجر الملك سليمان". أما "الخدم والعمالة" الذي يلقي الضوء على حال المستخدمين في المنازل العربية، فهو الوحيد بين الأفلام الثلاثة الذي أنتجته "الجزيرة". وقدمته المحطة بمعية برامج جيدة، أهمها وثائقي عن الراحل إدوارد سعيد، وآخر بعنوان "إسرائيل من الداخل"، و"خلف الحقيقة" الذي يناقش مشكلات الأسر العربية، و"لعنة التعويض" الذي يتناول مشكلة تعويضات أهالي ضحايا 11 سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية، أضف إلى ذلك برنامج "مبدعون" الذي يستعرض إبداع الشباب العربي، وبشكل عام، معظم البرامج التي تعرضها القناة مدبلجة، وخصوصا تلك التي تسلط الضوء على مواضيع البيئة والاقتصاد العالمي وتكتشف تاريخ المدن العريقة.[1]

ومن أجل التعرف أكثر على قناة الجزيرة الوثائقية ومدى تفردها المهني وقدرتها على المنافسة العالمية للقنوات الإعلامية الوثائقية ذات الخبرة في هذا المجال، سيتم التطرق لواحدة من أهم الدراسات العربية التي عقدت مقارنة بين قناة الجزيرة الوثائقية وقناة الـــ bbc البريطانية.

✓ مقارنة بين قناة الجزيرة الوثائقية وقناة bbc

من المعروف أن هيئة الإذاعة البريطانية bbc والمملوكة للحكومة البريطانية، تعتبر من المنظومات الإعلامية لدول المركز لذلك نلاحظ أنها لعبت دورا كبيرا في تصدير الفكر والقيم الغربية إلى المجتمع العربي، واستخدمت bbc العديد من الوسائل بدأت بالإذاعة لتنتقل إلى التلفزيون ومن ثم

[1]. محمد خير، **الجزيرة الوثائقية": نسخة معرّبة عن BBC**. http://www.al-akhbar.com/ar/node/20353

الأنترنت. ومن ضمن هذه المنظومة خرجت إنتاجات الـــbbc الوثائقية انطلاقا من كون الفيلم الوثائقي وسيلة اتصال جماهيرية وعرضها عن طريق التلفزيون أكسبها انتشارا واسعا.

وقد أخذت bbc في ضخ سلاسلها الوثائقية إلى المجتمع العربي من خلال المنظومة الإعلامية العربية المتواضعة، ولكن مع بداية القرن العشرين ظهرت تجارب عربية اهتمت بالبنى الأساسية للاتصال وحاولت الحد من التدفق الفكري من الغرب نحوها منها شبكة الجزيرة الفضائية، التي حاولت بإنتاجاتها الوثائقية الانتقال من مرحلة التأثر بتجربة الـــbbc إلى صنع مدرسة إعلامية مستقلة، والحد من التدفق المعرفي القادم من الشمال.

وفي إطار تناوله لموضوع المقارنة بين قناتي الـــbbc وقناة الجزيرة الوثائقية، حاول المتخصص في الأفلام الوثائقية "عاصم جرادات" البحث في مدى تأثر الأفلام الوثائقية في الجزيرة بنظيرتها في الـــbbc. وذلك عن طريق إجراء تحليل كيفي لأنموذجين من السلاسل الوثائقية في القناتين. وهما: الحرب العالمية الأولى في الـــbbc ، وحكاية ثورة إنتاج الجزيرة. بالاعتماد على العناصر التالية: عدد الحلقات، طريقة التناول، كيفية استخدام التعليق، وجه الشبه وأخيرا الأساليب الإقناعية.

وخلص بعد المقارنة بينهما إلى أن الأفلام الوثائقية التي تنتجها الـــ bbc تقوم بتقديم تفاصيل كثيرة ويدل ذلك على حجم السلسلة الواحدة من حلقات أو أجزاء ولم تصل الجزيرة إلى ذلك الحد. وربما يعود ذلك –حسب "جرادات" دائما– إلى الإمكانيات الإنتاجية، وخلال المقارنة لم تظهر اختلافات واضحة بين القناتين في طريقة تناول الأفلام الوثائقية للمواضيع السياسية التاريخية، واستخدام مواد وثائقية لم يسبق بثها، ويتضح أن الأساليب الإقناعية متشابهة إلى حد كبير، ولكن ظهرت بعض الاختلافات نتيجة طبيعة الجمهور.

وتوصل "جرادات" من خلال دراسته تلك إلى أن الجزيرة استعارت الكثير من الأساليب في وثائقياتها من الـــbbc، إلا أنها أضافت حسب المواضيع المطروحة بعض الاجتهادات الشخصية من صناع الأفلام الوثائقية، مثل أسلوب التعليق المتبع حيث لعب دورا في الجذب. فقد كان أسلوبا متميزا اختلف عن المتبع في قناة الـــbbc حيث استعمل الأسلوب العاطفي في التعليق دون الانحراف الفاضح نحو طرف دون الآخر، في حين كان صانع سلسلة "الحرب العالمية الثانية" يصوغ عبارات تعليقه بأسلوب تقريري وإخباري غير ممل، وبذلك خرجت تجربة الجزيرة من طوق الـــbbc، من خلال

ابتكار أسلوب جذاب في اختيار جملة التعليق المرفق للفيلم، وهو ناتج عن طبيعة المجتمع العربي الذي يفضل هذا الأسلوب.

وتبقى عملية التصدير الفكري من الشمال إلى الجنوب قائمة ولكن المحاولات الجادة من قبل الجزيرة تعمل على خلق توازن ليصبح الأمر بين تصدير واستيراد، وأبرز تلك المحاولات هو إطلاق الجزيرة العالمية والناطقة باللغة الإنجليزية. [1]

رابعا: محاور اهتمام الأفلام الوثائقية العربية

مازال الجدل مفتوحا حول الأفلام الوثائقية وموقعها على الخارطة السينمائية العربية ومن هو جمهورها، وكيف يمكن تطوير لغتها السينمائية لتصبح أقل نخبوية وأكثر جماهيرية. لكن المشكلة الرئيسية في العالم العربي هي الفهم الخاطئ لمفهوم الأفلام الوثائقية وربطها بما يسمى الأفلام "التسجيلية".[2] إذ نجد هذه القضية وبأسئلتها الكثيرة تقفز إلى أي نقاش بين مهنيي ومختصي الأفلام الوثائقية سواء تناول ظروف الإنتاج أو أسلوب البناء والمعالجة.[3]

وعموما يمكن القول أن محاور اهتمام الأفلام الوثائقية العربية واسع خاصة مع استحداث الجزيرة الوثائقية، فهناك المواضيع الاجتماعية، الثقافية، السياسية والتاريخية والأعلام...ومن هنا فعملية تصنيفها ليست من السهولة بمكان. ويمكن إدراج بعض القضايا على اعتبارها أهم المواضيع التي شغلت اهتمام الفيلم الوثائقي العربي عن طريق تقسيمها إلى قسمين رئيسيين يتعلق الأول بالقضايا المصيرية الكبرى، أما الثاني فيتعلق بالقضايا الاجتماعية المختلفة.

4. 1. القضايا المصيرية الكبرى

[1]. عاصم جرادات، **الوثائقيات بين تجربتي الbbc العالمية و شبكة الجزيرة الفضائية.**
http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/2009624907146808.htm

[2]. أسماء وهبة، **السينما الوثائقية" صناعة بلا جمهورمن المؤلفين نفسهم ايضاً** الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

[3]. نصر الدين اللواتي، **عن الشاشات الوثائقية و وعودها.**
doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/.../2009/.../20091131017317207 34.pdf

لسنوات طويلة انشغلت الإبداعات العربية بكل وجوهها بالتركيز والتعبير والبحث بما سمي القضايا الكبرى ذات الاتصال المباشر بالمصير، مصير الشعوب والأنظمة والهوية والجغرافية، وبما يتصل بالحروب والثورات والاستعمار والتحرر والاحتلال والاستقلال. [1]

ومن بين القضايا التي كانت محورا لاهتمام صانعي الأفلام الوثائقية العرب نجد:

4. 1. 1. القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي

كانت القضية الفلسطينية نقطة الاتفاق بين وسائل الإعلام العربية من خلال المسيرة التاريخية للإعلام العربي المشترك تبلورت في مواجهة إعلام ودعاية العدو الصهيوني منذ نكبة 1948، مرورا بهزيمة جوان 1967، حيث ظهر جليا توكيده للالتزام بالمطالبة باستعادة الحقوق العربية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، بالرغم من التصدع في العلاقات العربية الثنائية، الأمر الذي أسفر عن حالة من التشتت القائمة بين اتجاهات القنوات الفضائية العربية تجاه القضية الفلسطينية.[2]

وبذلك كانت القضية الفلسطينية من أهم المضامين في الأفلام الوثائقية العربية، ورغم تركيز تلك الأفلام على محاور معينة كالمسجد الأقصى والقدس، إلا أنها ساهمت في مناصرة القضية وشرح مأساة الشعب الفلسطيني. فالأفلام الوثائقية تختلف عن باقي الأعمال الفنية الإعلامية، فهي تبين بالصورة والتاريخ والشهادة الحية كل ما حدث، لذلك كانت تلك الأعمال الوثائقية من أهم الأعمال التي تركز عليها الدول في إعلامها.[3]

لذلك يشير البعض إلى أن القضية الفلسطينية لا تشكو من قلة الأفلام الوثائقية التي عالجت قضاياها وهمومها، وإنما المشكلة تكمن في نوعية تلك الأفلام الوثائقية ومضامينها من حيث الخطاب الذي تقدمه، حيث تعاملك الكثير من تلك الأفلام مع الشهداء على أنهم أرقام ضمن إحصائيات غير متقنة أصلا، بحكم الاحتلال غالبا. ويصبح من الضروري وضع إستراتيجيات حقيقية حول آليات

---

[1]. باسم قهار، **الهامش في الفيلم الوثائقي العربي**
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228104445438240.html

[2]. عبد الملك الدناني، **البث الفضائي العربي وتحديات العولمة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006. ص ص. 40-42.

[3]. سعود مهنا، **القضية الفلسطينية في البرامج الوثائقية العربية**، مجلة الإذاعات العربية، العدد 3. 2003ص 32.

مخاطبة الآخر بعد الالتزام بفلسفة واضحة ومبرمجة في الخطاب العربي العربي، والعمل على ترجمة الأفلام الوثائقية الفلسطينية إلى لغات مختلفة.[1]

ومن بين النماذج حول الأفلام الوثائقية التي تناولت القضية الفلسطينية نجد فيلم "جنين جنين" للمثل والمخرج الفلسطيني "محمد بكري" الذي تمكن خلال خمس وأربعين دقيقة من تسجيل شهادات حية لسكان مخيم "جنين" بعد أيام قليلة من اجتياحه على يد الاحتلال الإسرائيلي في أفريل 2002. ونقل صور الدمار والخراب كما نقل آثارا للمواجهات واشتباكات بين جيش الاحتلال والمقاومة، وتولى "بكري" صياغة ذلك في بناء سينمائي غير معقد، حيث كانت حالة التوتر الصارخة واليومية التي تنساب في محيط الكاميرا محيطا سرديا يروي وقائع ما جرى، واكتفت تلك الكاميرا بعبوره متوقفة دون انتقاء وتعديل وتكييف عند شهادات حية لسكان المخيم المنكوبين والصامدين في الوقت ذاته.[2]

4. 1. 2. الثورة الجزائرية:

اهتمت الأفلام الوثائقية في الجزائر والسينما الجزائرية بصفة عامة كثيرا بموضوع الثورة، لاسيما بعد الاستقلال حيث شكل هذا الموضوع أهم المضامين التي تناولتها سينما الدولة الفتية، مركزة بالدرجة الأولى على تخليد الماضي المجيد دون الخوض في تفاصيله، والسعي إلى تقديس صورة المجاهد والثورة. وتجدر الإشارة إلى أنه ومنذ 1957 بدأ المخرجون الجزائريون الشباب يعرفون نوعا من التنظيم والتكوين على يد مخرجين فرنسيين متشيّعين للقضية الجزائرية. وأول تعاون جمع بين هؤلاء وأولئك كان فيلم وثائقي قصير بعنوان "لاجئون"، أخرجته "سيسيل ديكوجي" وهو عبارة عن روبورتاج من 14 دقيقة يصور عملية تهجير الجزائريين ونفيهم إلى المحتشدات الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية. وقد تسبب هذا العمل الذي أنتجته المخرجة لحسابها الخاص بالتعاون مع مصالح جيش التحرير الوطني في سجنها لمدة عامين في فرنسا.

وبعد الاستقلال استمرت عملية إنتاج بعض الأعمال في السياق ذاته أي حول قضايا الثورة، اعتمد فيها الجزائريون على مساعدة الفرنسيين الذين كان أغلبهم مناصرين للقضية الجزائرية، إلى أن استقل الإنتاج الجزائري للأفلام الوثائقية فيما بعد.[3]

---

[1]. ناهد إبراهيم سليمان أحمد، **أيّة مضامين للأفلام الوثائقي**، مجلة الإذاعات العربية، العدد3. 2003. ص 37.

[2]. نصر الدين اللواتي، **عن الشاشات الوثائقية و وعودها.**
doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/.../2009/.../2009113101731720734.pdf

[3]. سليم عقار، **السينما و الثورة الجزائرية، 50 سنة تصوير بين الجزائر و فرنسا...**

4. 1. 3. الحرب في لبنان:

وفي لبنان، هناك من يربط بين الأفلام الوثائقية وتطورها فيه بالحرب الأهلية، ربما لأن انطلاقتها واكبت اشتعال فتيل الحرب اللبنانية، إلا أن المخرج اللبناني "جان شمعون" وهو واحد من أهم المخرجين الوثائقيين في لبنان يرفض هذا التعميم، معتبرا أن الأفلام الوثائقية اللبنانية تناولت موضوعات اجتماعية وسياسية وإنسانية في وقت ركز الكثير من المخرجين على تقديم عدد من الأفلام عن الحرب الأهلية، إلا أن هذا لا يعني حصر الأفلام الوثائقية اللبنانية بالحرب. وقد قدم "شمعون" فيلم (طيف المدينة) الذي يشي برغبته بأن يكون كلمة الفصل في الأفلام الوثائقية عن الحرب، كما لم يتردد في التصوير تحت الأنقاض في ظروف ارتجالية لتوثيق فصول الحرب اللبنانية مهما بلغت بشاعة الصور التي التقطها.[1]

4. 1. 4. القضايا الاجتماعية المختلفة:

يبحث الفيلم الوثائقي بوصفه نوعا إعلاميا في الواقع بكل أبعاده وتفاصيله، على الرغم من أن البحث في الواقع هو هدف مشترك لكافة الوسائل الإعلامية، لكنه يتجلى بوضوح في الفيلم الوثائقي. وكذلك يعالج هذا النوع من الأفلام الأحداث الواقعية بأسلوب فني ويرصد حياة المجتمع الديناميكية، إذ أن المشاهد في رؤيته للواقع قد لا يعي التفاصيل المهمة التي ترتبط بتفاصيل عديدة، وهنا يظهر دور الفيلم الوثائقي في كيفية تقديم الواقع للمشاهد بشكل مؤثر ومقنع في الوقت نفسه[2].

ومنه فالمفترض في الأفلام الوثائقية أن تكون المرآة العاكسة للحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع، وبالتالي تكون مختلف الظواهر الاجتماعية محلا للتناول بالنسبة لتلك الأفلام، لكن الملاحظ أن الكثير من القضايا الاجتماعية لم تنل حقها من الاهتمام لأسباب عديد. قد يكون أهمها الثقافة المحافظة لمجتمعاتنا العربية. وفي هذا الصدد تقول "هاجر بن نصر" ومنتجة للأفلام الوثائقية، إن مشاكل التشغيل، الصحة، مشاكل السكن، تشغيل الشباب وحتى ظاهرة التسول في الشوارع والمشردين

---

http://www.startimes.com/f.aspx?t=14885711

[1]. أسماء وهبة، السينما الوثائقية" **صناعة بلا جمهور من المؤلفين نفسهم**، الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

[2]. أسماء وهبة، السينما الوثائقية" **صناعة بلا جمهور من المؤلفين نفسهم**، الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

والمخدرات والهجرة غير المنظمة إلى بلدان الشمال، وصعوبات الزواج وظاهرة العنوسة والشذوذ الجنسي، التي ما فتئت تتفاقم في بعض الأوساط في البلدان العربية تبقى خارج مجال هذه الأفلام الوثائقية لكونها تصطدم بمشاكل كثيرة في مستوى الإعداد والحصول على المادة والمعلومات والوثائق واختيار أماكن التصوير وإجراء المقابلات مع الأطراف المعنية وعملية التصوير ذاتها، ثم الرقابة السابقة لقبول هذه البرامج وبثها، هذا في حال حصولها على رخصة التصوير المسبقة أصلا.[1]

أ. قضايا الهامش:

وبلا تاريخ يدعم حركة التوجه للهامش في الفيلم الوثائقي العربي كانت هناك تجارب خجولة تسعى للتعبير عن قضايا الطبقات الاجتماعية الدنيا أو قضايا الهامش، وتصطدم بموضوعاتها دون دعم أو حتى تلق جماهيري، ذلك أن الفيلم الوثائقي لم يشكل ركنا أو ذاكرة لدى المتلقي العربي حتى سنوات قليلة مضت، لكن السنوات العشر الأخيرة بدت الأكثر تركيزا على الهامش والأكثر اقترابا منه أو احتفاء به، ومن بين الأمثلة حول ذلك الفيلم الوثائقي الذي صوره "طارق هاشم"، وهو فيلم صور في العراق بعد أشهر من الاحتلال الأمريكي أسماه "16 ساعة في بغداد"، وفيه لا تستعين الكاميرا بغير التفاصيل العابرة من خراب وغبار الحرب العالق بثياب المارين.

قد لا يختلف الهاجس لدى المصرية "هويدا طه" التي تتورط بشجاعة بكشف "التعذيب في السجون المصرية"، فالضحايا (الهوامش) الذين تعرضوا لأساليب مختلفة من التعذيب والنيل من كرامتهم، جناة كانوا أم أبرياء يستجدون الاعتراف بكونهم بشرا، وإنهم لا يستحقون استعمالهم واستغلال أجسادهم واستعمار مواطنتهم وفرديتهم لتحقيق العدالة. وهذا الفيلم أنتجته قناة الجزيرة وعرضته على شاشتها في جزأين.

في الفيلم الذي كتبه "باسم قهار" وصوره في القاهرة، والذي حمل عنوان: "بريد المقهورين"، كان الهامش الجمعي حاضرا بقوة الظاهرة التي دعته لصنع هذا الفيلم؛ آلاف الرسائل من بشر يتوزعون على جغرافية مصر يكتبون أوجاعهم وعذاباتهم وأحلامهم وضعف حالهم والظلم الواقع عليهم، للإمام الشافعي ويضعونها على ضريحه، الضريح الذي أسماه صندوق البريد الأكبر في العالم،

---

[1]. هاجر بن نصر، **المضامين الوثائقية العربية في ظل التحولات الاجتماعية، تجربة نصر للإنتاج الفني و التوزيع مثالا**، مجلة الاداعات والتلفزيونات العربية، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2. السنة 2007. ص. 30-31.

لماذا كان على هؤلاء الناس أن يخاطبوا رجلا مات منذ أكثر من ألف سنة؟ كانت الكاميرا تصور البشر وهم يبكون ويرجون إمامهم طالبين عونه بعد أن ضاع الاعتراف بهم وبآمالهم.

فيلم "أحلام الزبالين" وهو فيلم يكشف العالم السري لعمال النظافة في مصر، أو "الزبالين" كما يطلق عليهم في الشارع المصري، من إخراج وإنتاج "مي اسكندر" المصرية المقيمة في لندن، وربما يكون هذا الفيلم هو أحد أطول الأفلام في العالم من حيث فترة تصويره التي استغرقت ما يزيد على أربع سنوات، لكنه يعرض في 83 دقيقة فقط. والفيلم، وهو مصري بريطاني، يتابع حياة ثلاثة مراهقين: أدهم، أسامة ونبيل.

وقد ولد الثلاثة وسط تجارة القمامة وكبروا في أكبر قرية للقمامة على مستوى العالم، وفق وصف الفيلم، وهي قرية تقع في ضواحي القاهرة. وهو عالم منطوي على نفسه، ومتاهة من الطرق الضيقة لا يمكن النفاذ من خلالها لأنها مخفية وسط القمامة. ويكشف الفيلم أن هذه القرية هي موطن لـــ 60 ألف من "الزبالين" بمصر.

وعلى مدى أجيال عديدة، اعتمد سكان القاهرة على الزبالين لجمع القمامة مانحين إياهم القليل من المال في مقابل ذلك، ويعيش الزبالون معتمدين على إعادة تصنيع نفايات المدينة، وعمال القمامة يعيدون تصنيع 80 بالمائة من كمية القمامة التي يجمعونها مشكلين بذلك ما يعتقد أنه أكفأ نظام للتخلص من النفايات في العالم. وعندما تقرر المدينة التي يقوم الزبالون بتنظيفها فجأة ودون سابق إنذار أن تستبدلهم بشركات متعددة الجنسيات للتخلص من القمامة، يجد الزبالون أنفسهم على مفترق الطرق، ويُجبر كل واحد من المراهقين الثلاثة على خطوات لحماية مستقبله وبقاء مجتمعه. ويرصد الفيلم قرار الإعدام الجماعي للخنازير للوقاية من أنفلونزا الخنازير، وكانت هذه الحيوانات تساعد بشكل كبير في عملية إعادة التدوير للقمامة[1].

بعد عرض هذه النماذج عن الهامش في الأفلام الوثائقية يمكن القول بأن كفة الانشغال بالهامش لم ترجح ولم تهيئ لولوج قصدي وواع للتعامل معه وكشفه والتفكير به وإيقاف تأجيله وإبعاده، وما جرى بدا أنه نأي عنه –الهامش– في الإبداعات العربية فكان الفيلم الوثائقي العربي هو الآخر ليس على اكتراث كبير بملاحقته ووضعه أمام العدسة، فمع السيطرة شبه الكلية للأنظمة المؤدلجة وقوانينها الإعلامية المبرمجة على الكاميرا وما تكشف، كانت الأولويات (حسب الأنظمة) تسعى لتكريس هيمنتها

[1]. أحمد الشريف، "**أحلام الزبالين**".
http://www.alarabiya.net/articles/2010/04/27/106977.html

وابتعادها عن الهامش بكل صوره، فالكاميرات الوثائقية والتسجيلية الرسمية التي بدأ معها الفيلم الوثائقي العربي انشغلت بالاحتفالات العسكرية وكرنفالات التنصيب وهتاف الجماهير وافتتاح المعامل وتعبيد الطريق وقدوم الجرارات وحاصدات القمح في سعي مستمر لتأكيد مفهوم الدولة المنجزة. نشأ عن هذا فقر فادح في كشف حياة الفرد وهواجسه، مخاوفه وآماله وحاجاته ولم تؤسس (منظومات) الإعلام البصري العربي الرسمي لأي مساحة جادة للتعبير عن الهامش لاغية حركة الفرد إلى حركة الجموع، جيوش وفلاحين وعمال وطلبة وأحزاب، وصراخ حشود تردد الشعارات وتسمع صداها.[1]

ب. قضايا المرأة

شغلت قضايا المرأة بتفرعاتها المختلفة المهتمين بالصناعة الوثائقية مما أنتج بعض الأفلام الوثائقية في هذا المجال، ليبقى المطلوب هو المزيد من تلك الأفلام. فالتحسيس بمكانة المرأة العربية وكفاحها من أجل لقمة العيش ونضالها في سبيل المساهمة في نهضة ورقي أمتها وذلك في محاولة للخروج بها من قالب المرأة التابعة أو المتهافتة على المادة والسطحية، كلها مواضيع وقع تناولها في مجموعة من الأفلام الوثائقية أبرزت تألق المرأة في عدة مجالات منها: "عائدة عبق الماضي وإشراق الحاضر"، "أنامل الخير" و"امرأة من كيرانيس"، وكلها عبارة عن أفلام وثائقية أنتجتها شركة النصر في تونس.[2] وفي لبنان ركز "جان شمعون" على الأفلام الوثائقية ذات البعد الاجتماعي بعد أن كان اهتمامه الأول بالأفلام الوثائقية حول الحرب اللبنانية -كما تمت الإشارة إليه-، وخصوصا تلك التي تتناول قضايا المرأة ومعاناتها ونضالها. ويقول شمعون: "لقد قدمت فيلم "أرض النساء" عام 2004 الذي يصنف ضمن الأفلام الدرامية الوثائقية، قدمت فيه سيرة حياة الأسيرة كفاح عفيفة التي سجنت في معتقل الخيام 6 سنوات، لاقت خلالها العذاب أشكالا وألوانا حتى بلغت حد الموت بعد أن انخرطت في المقاومة. وهنا يأتي دور السينما الوثائقية في توثيق هذه التجربة ولكن بحسها الإنساني".[3]

---

[1]. باسم قهار، **الهامش في الفيلم الوثائقي العربي**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228104445438240.htm

[2]. هاجر بن نصر- مرجع سابق- ص ص. 30-31.

[3]. أسماء وهبة، **السينما الوثائقية " صناعة بلا جمهور من المؤلفين نفسهم**، الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

وقد قام مهرجان الإسماعيلية الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة في دورته الرابعة عشرة التي أقيمت في الفترة من 2 إلي 9 أكتوبر 2010، إقامة برنامج خاص يحمل اسم العنف ضد المرأة في الأفلام التسجيلية والقصيرة على هامش فعاليات المهرجان، حيث تم اختيار 12 فيلما تطرح قضايا المرأة من خلال منظور مختلف منها 9 أفلام من مصر ومنها «لمياء» إخراج أحمد منيب و«أم» إخراج ندي زيتونة و«بعد إيه» إخراج أماني خليل و«مش حاكيه «إخراج يارا ربيع و«ولد وبنت» إخراج راندا أبو الذهب ومن الأفلام الأخرى المشاركة قوليلي من الجزائر وخيط الحكاية من فرنسا وبيوت هرستينا من هولندا.[1]

وبعد انفراط عقد احتكار السلطات للكاميرات والرؤى، يتخذ صناع الأفلام الوثائقية العرب مسارا استقلاليا وتوجها فيه الكثير من التحرر إزاء قضايا وإشكاليات وهواجس تتصل بالفرد وبيئته الاجتماعية، حيث تتجه إليه في بيته وحاراته أو مقهاه وتتعمق في التعبير عن مشاكله. وصارت الكاميرا في كل يد وهي توثق وتسجل وتدون تأريخا آخر، ربما هو التأريخ السري للفرد العربي، التأريخ المسكوت عنه. من هنا فإن هناك تفاؤلا كبيرا يتملك صناع الأفلام بغض النظر عن المستويات الفنية التي تتحرك فيها هذه الأفلام، والتي لم تبلغ سن الرشد لصناعة فيلم متقدم تعبيرياً وجمالياً لكنها تؤسس لبنية تحتية ولصناعة سيكون لها حضورها الكبير في الإبداع العربي القادم.[2]

ومن بين أهم المشتغلين بحقل السينما التسجيلية العربية نجد العراقي: "قيس الزبيدي"، صاحب الخبرة الطويلة في هذا المجال، وهو مثلا فكر في إخراج فيلم عن العراق، لكنه لا يريد أن يتناول الوضع هناك بطريقة مباشرة. «القنوات التلفزيونية الإخبارية والمسلسلات لم توفر شيئا، دخلت في كل جوانب الحياة. مشاهد القتل والدمار والتعذيب أصبحت مألوفة ولا تلفت انتباه أحد، عليّ أن أبحث عن جوانب أخرى، لديّ رغبة في تحقيق فيلم عن تاريخ العراق الحديث. ليس تسجيليا خالصا، على غرار فيلم «معركة تشيلي». فيلم يسجل في مقدمته نبذة عن بناء الدولة في العراق حتى انهيار النظام الملكي. ثم رصد المرحلة الممتدة من 1958 حتى سقوط نظام صدام حسين».[3]

---

[1]. قضايا المرأة بمهرجان الإسماعيلية الدولي، 29 سبتمبر 2010.
http://www.rosaonline.net/Daily/News.asp?id=84510

[2]. باسم قهار، **الهامش في الفيلم الوثائقي العربي**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228104445438240.htm

[3]. سعد هادي وقيس الزبيدي، **غريب عن الأوطان**.http://www.al-akhbar.com/ar/node/88887

ورغم الانتشار الملحوظ لثقافة الأفلام الوثائقي في عالمنا العربي –كما سبقت الإشارة–، وتناولها لعديد القضايا الاجتماعية التي لم تكن مطروحة للتناول سابقا، إلا أن هناك من يعتبر أن التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي جرت من حول عالمنا العربي لم تؤثر عامة في مضامين الأفلام الوثائقية العربية والسبب الرئيس يرجع إلى أن هذا النوع من الإنتاج الإعلامي الذي يفترض فيه أن يكون في تطور دائم وفي مواكبة مستمرة للمستجدات من حول بيئته ومجتمعه، يتناول مشاكل ومواضيع ومضامين اقتصادية واجتماعية وسياسية وبالتالي فهو مقلق ومصدر للمشاكل، في بلدان ما تزال محافظة وبها كثير من المواضيع المحظورة وحتى المحرمة.[1]

خامسا: الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية

إن موضوع الجماعات الدينية وكما سبقت الإشارة إليه من المواضيع ذات الاهتمام البالغ في الوقت الحاضر، واتخاذها موضوعا للأفلام الوثائقية من شأنه أن يزيد من أهميتها كما من شأنه أن يعرف الجمهور بها أكثر ويوضح له دواعي قيامها وأهدافها الحقيقية، وتعتبر الأفلام الوثائقية إحدى الوسائل التلفزيونية الهامة لإبراز هكذا ظواهر.

وفي السنوات الأخيرة اهتزت صورة الإسلام والعرب لدى الرأي العام الدولي بصورة غاية في الخطورة وهو ما انعكس في اتخاذ مواقف معادية وسلبية ضد الشعوب العربية والإسلامية في حالات عديدة ناهيك عن المضايقات والاعتقالات وسجن مئات من الأبرياء من العرب والمسلمين في العديد من المطارات والعواصم العالمية بدون سابق إنذار ولا محاكمة ولا سبب واضح. ويرجع الدكتور "محمد قيراط" أسباب المشكلة إلى مستويين، المستوى الأول وهو الصورة الباهتة والضعيفة للإسلام داخل الدول الإسلامية نفسها. حيث أن وسائل الإعلام العربية وقادة الرأي لم ينجحوا في احتواء الصور النمطية والأفكار والآراء المشوهة والمضللة للإسلام والمسلمين. كما أفرز الإسلام السياسي تضاربا في الآراء والأطروحات، ترك الشارع العربي والإسلامي في مفترق الطرق. أما المستوى الثاني، فالمشكل فيه يتمثل في غياب العمل الإعلامي الهادف وغياب تنويره وتوجيهه وتزويده بالرصيد المعرفي والثقافي والديني والحضاري.[2]

---

[1]. هاجر بن نصر– مرجع سابق– ص ص. 30–31.

[2]. محمد قيراط، **الإعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب**، جامعة الشارقة، ص 3.

5. 1. دواعي اهتمام الأفلام الوثائقية بالجماعات الدينية الإسلامية

5. 1. 1. العولمة الإعلامية

بعد الحرب العالمية الثانية ظهر استعمار جديد ابتكر أساليب وآليات جديدة للهيمنة الثقافية والأيديولوجية لتسهيل نهب ثروات البلدان الحديثة النشأة، ويصف "هربرت شيللر" أشكال وأهداف الحملات الثقافية والإعلامية الجديدة بقوله: "إذا كان الاقتصاد العالمي المعاصر يسعى إلى تعزيز سيطرته من خلال تحالف رأس المال العالمي، وتحطيم الحواجز القيمية وتوحيد السوق العالمية، فإن القضية في المجال الثقافي، تُصبح في كيفية توظيف الإعلام والثقافة في مجتمعات العالم الثالث لخدمة هذه الأهداف، أي ترسيخ تبعيتها الاقتصادية بوضع إمكانياتها الثقافية والإعلامية في خدمة مصالح رأس المال العالمي وأجهزته وتحويل العالم إلى قرية اتصالية شديدة الترابط".

ويربط الباحثون بين ظهور مدرسة التبعية الثقافية والإعلامية في أكبر دولة إمبريالية في العصر الحديث أي في أمريكا الشمالية، والعمل الذي قدّمه "هربرت شيللر" وبعض أساتذة الإعلام للكشف عن دور الإمبريالية الإعلامية للولايات المتحدة الأمريكية، وكذا تناولهم لأخطارها الاجتماعية والثقافية، إلى جانب رفض هؤلاء للكتابات الأمريكية التي انطلقت من المنطلقات الأيديولوجية لاتجاه التحديث، من خلال تركيزها على دور الإعلام في تثقيف الشعوب النامية، وكذا دعوتها إلى السير على النهج الذي سلكته الدول الرأسمالية، ونبذ القيم والأساليب التقليدية وتبني الأنماط الاستهلاكية السائدة في المجتمعات الغربية.

إذن كشفت هذه المدرسة أضاليل أساتذة معهد «ماساشوست» التكنولوجي من أمثال "دانييل لرنر" و"فريدريك فراي" و"لوسيان باي"، الذين أكدوا على أهمية نشر التعليم الذي سيسمح لأبناء بلدان العالم الثالث بزيادة استخدام وسائل الإعلام وبالتالي زيادة المشاركة السياسية، وهم يعتبرون أن ذلك فقط هو المخرج الوحيد. هذا وقد أرجع أنصار مدرسة التبعية جوهر التبعية الإعلامية والثقافية لبلدان العالم الثالث إلى العوامل التاريخية، أي للاستعمار، مُضافا إليها الدور الأمريكي الجديد للسيطرة على ثقافات العالم الثالث ومحاولة إخضاعها للسوق العالمي.[1] وتلك السيطرة تبدأ من أمريكا لتصل إلى دول العالم الثالث وغيرها من الدول، حيث يقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول "الصور والمعلومات" ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها. تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقدات المُتلقي ومواقفه، بل وتحدد سلوكه في النهاية. وعندما يعمد مديرو

[1]. نور الدين زمّام، **عولمة الثقافة، الممكن والمستحيل**، http://knol.google.com.

أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي، فإنهم يتحولون إلى سائسي عقول، ذلك أن الأفكار التي تنجو عن عمد إلى استحداث معنى زائف وإلى إنتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب بإرادته الشروط الفعلية للحياة القائمة أو أن يرفضها، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، ليست في الواقع سوى أفكار مموهة ومضللة. إن تضليل عقول البشر هو على حد قول "باولو فرير": "أداة للقهر"، كإحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة.[1]

ويرى البعض أن الصناعة الثقافية تمثل تهديدا معتبرا على الثقافات التقليدية، بفضل ما تتمتع به من قدرة على الانتشار والاختراق ولذلك أصبحت بعض الدول الغربية تعبِّر عن تخوفها من هذه الصناعة الثقافية، خاصة منها الأمريكية التي غزت أسواقها، بحكم امتلاكها لإمكانيات هائلة، تجعلها تستبعد أي منافسة في الأجل المنظور، فهي على سبيل المثال تُنفق في صناعة الأفلام الأمريكية بالمتوسط 59 مليون دولار على الفيلم الواحد، وهو المبلغ الذي لا يمكن حتى أن يخطر على بال الأوروبيين أو الهنود.

علاوة على ما سبق، فيمكن القول عند تحليل أثر العولمة على الصعيد الثقافي أن الخطر بالنسبة للبلدان النامية قادم من سلوك النخب المسيطرة، فهي في مجملها تعيش حالة اغتراب ثقافي، فبحكم ثقافتها المترفة، المبتورة عن جذورها التاريخية والواقعية تعيش حالة انسحاق ثقافي، وتستشعر قابلية مطلقة للرضوخ للتدفق الإعلامي والثقافي الغربي العابر للقوميات، ولذلك فهي لا تملك أي خطة أو نيّة لمواجهة التدفق الإعلامي الغربي، بل قد تتزاحم لاستيراد المواد الإعلامية والترفيهية والثقافية من الدول والوكالات الغربية، بدل أن تسعى لتطوير الرصيد الثقافي لأمتها. وقد تفطنت القوى الكبرى لهذه الحقيقة ولذلك فهي تراهن على هذه النخب، وتحاول من خلال إغرائها بنمط متميز من الحياة أن تفصلها عن الكتلة الرئيسية من السكان، تمهيدا لدمجها، غير أن دمج هذه النخب، كما يوضح "برهان غليون"، لا يعني دمجها في ثقافة النخبة العالمية، ولكن يعني شيئا واحدا وهو خفض الثقافات الوطنية إلى مستوى الثقافات الشعبية، ونزع سلطتها الرمزية، وفصلها عن منظومة التوجيه من خلال هذه النخب

[1]. هربرت. أ. شيلر، **المتلاعبون بالعقول** . ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. 1999. ص. 5.

فضلا عما سبق ذكره، فإن العولمة وإن لن تنجح في نشر ثقافة عالمية شاملة، فهي بحكم طبيعتها، تحمل ثقافة الاختراق، لأسباب ترجع إلى طبيعتها، ولأنها أيضا تقوم على جملة أوهام تهدف إلى الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري، وقيامها بتسطيح الوعي، واختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم، من خلال غرس "وهم الفردية" لتضيق خناق الفرد داخل أسوار نفسه، وغرس "وهم الخيار الشخصي" لتكريس النزعة الأنانية، غرس "وهم الحياد" لتكريس التحلل وعدم الارتباط بأي قضية وهي كلها أوهام تجعل الفرد قابلا للاستعمار، كما يقول "مالك بن نبي"، كما أنها تعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، وتدفع إلى التفتيت والتشتيت لتربط الناس بعالم اللاوطن واللاأمة واللادول.[1]

وتمثل السينما أحد أوجه السيطرة الأمريكية، حيث تمكنت السينما الأمريكية بنجاح من أسواق التوزيع والعرض العالمية، بل تعدى هذا النجاح إلى تكريس صيغ وأنماط السينما الأمريكية، بخاصة في مجال أفلام الحركة بمختلف أنواعها، باعتبارها الصيغ والأنماط الأكثر جذبا لجماهير المشاهدين في أرجاء العالم والأشد تأثيرا فيهم، على ما بينهم من اختلاف. ولم تكتف السينما الأمريكية بنجاحاتها في تحقيق ذلك عالميا، بل استمر دورها ليشمل السعي نحو تعميم النموذج الأمريكي للحياة في علاقة تزاوج باتت تتضح أكثر فأكثر، بين اقتصاديات السينما والأيديولوجيا.

وبالمقابل نجت السينما الوثائقية من الشباك التي وقعت فيها السينما الروائية، فمن حسن حظ السينما الوثائقية أن نموذج السينما الهوليودية ظل نموذجا خاصا بالسينما الروائية الأمريكية التي ازدهرت تحديدا بفضل الأفلام الروائية، لهذا ظلت السينما الوثائقية الأمريكية لسنوات طويلة زادت على خمسين عاما، هامشية بالمقارنة مع السينما الروائية. فهي كانت خارج الحسابات محض التجارية التي تشكل الهم الأساسي والرئيسي لصناعة السينما الأمريكية، وهذا ما جعل السينما الوثائقية في أرجاء العالم الأخرى تتطور بمعزل عن التأثر بأي نموذج أمريكي وتتعدد مناهجها وتقدم نماذج فيلمية متميزة وتشهر أسماء مخرجي أفلام وثائقية فنانين مبدعين، ينتمي أفضلهم إلى الاتحاد السوفياتي – سابقا– وفرنسا وبريطانيا، في حين لم تشتهر السينما أمريكا إلا مخرجا واحدا هاما في حقل الأفلام الوثائقية هو: "روبرت فلاهيرتي".

ومما تقدم يمكن القول أن صناعة الأفلام الوثائقية في العالم نجت من مؤثرات عولمتها أمريكيا وكان يمكن أن تحيد بها عن الطريق الصحيح، بل على العكس من ذلك، فقد بين التطور اللاحق

[1]. نور الدين زمّام، **عولمة الثقافة، الممكن والمستحيل**، http://knol.google.com.

للسينما الوثائقية عالميا أنها تأثرت واستفادت من تجارب السينمائيين الأوروبيين والمدارس الفنية التي أسسوا قواعدها. وإضافة إلى ذلك فإن صناعة الأفلام الوثائقية التي تأسست خارج قوانين صناعة السينما وتجارتها، مستفيدة من واحد على الأقل من جوانب العولمة بمعناها الإيجابي، أي توجهها لمناقشة قضايا ذات أهمية عالمية. فقد قيض أو قدر للسينما الناطقة وتطورها في الثلاثينيات وصولا إلى فترة ستينيات وسبعينيات القرن الماضي تحديدا التي تشهد زخما من الأفلام الوثائقية الهامة أنتجت في أرجاء مختلفة من العالم، أن تحظى بمخرجين كبارا، لم يصنعوا فقط أفلاما هامة بل ورسخوا مفاهيم وأسسوا نظريات، كما كرسوا أنفسهم وأفلامهم وخبراتهم السينمائية للدفاع عن الإنسانية وقضايا الشعوب العادلة من خلال الأفلام الوثائقية التي اتخذوها سبيلا لطرح أفكارهم والتعبير ليس فقط عن مشاكل مجتمعهم الحقيقية بل ومواقفهم السياسية من قضايا عالمية، والتي كانت أفكارا ومواقف ذات طابع يساري ثوري، أو غير أمريكية بطبيعة الحال.

وقد تزايدت فرص الأفلام الوثائقية في الوصول إلى جماهير المشاهدين في أرجاء العالم بالتزامن مع حجم انتشار البث الفضائي على شاشات التلفزيون عبر الأقمار الصناعية العابرة للقارات. حينها حصل تحول جديد في أحوال الأفلام الوثائقية التي بدأ ولاؤها ينتقل تدريجيا من السينما إلى التلفزيون الذي صار بمثابة تربة خصبة لإنتاج هذا النوع من الأفلام. فخفت الجهود التي تبذل في تطوير وسائل التعبير الفنية التي كان يتولاها المخرجون الكبار في المرحلة السابقة، وصار الاهتمام ينصب أكثر فأكثر نحو المواضيع المثيرة والقضايا الساخنة والراهنة واقتربت الأفلام التي صارت تمول صناعتها المحطات التلفزيونية من أن تصبح تحقيقات تلفزيونية، أي أن الفن أخلى سبيله أو بعض سبيله للإعلام.[1]

وفي العالم العربي يزداد الأمر تفاقما خاصة ظل فوضى الإعلام الفضائي العربي أين تصل القنوات إلى ما يزيد عن ثلاثمائة قناة، يطغى الطابع التجاري والترفيهي على غالبيتها. لتبقى القلة القليلة تعمل في نطاق من الجدية لكن مع غياب إستراتيجية واضحة، تدرك التحديات التي تواجهها والعولمة التي تستهدفها.[2]

---

[1]. عدنان مدانات، **عولمة السينما/عولمة الصورة/الوثيقة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/01/2010159237458909.html

[2]. محمد قيراط، **الإعلام العربي الموجه للآخر والحوار بين الإسلام والغرب**، جامعة الشارقة، ص 3.

ففي مجال التلفزيون بالذات أكثر من غيره تزداد المخاوف من الغزو الثقافي والتهديد الموجه ضد الثقافات القومية في العالم الثالث.[1]

وقد أوجدت القنوات التلفزيونية الفضائية العربية منذ أوائل التسعينيات مشهدا ثقافيا وسياسيا مثيرا من الناحية التاريخية، إذ سحب هذا الأخير الكثير من النفوذ الذي كان يمارس في الواقع الاجتماعي والثقافي المحصور، إلى هذا المجال الإعلامي الرمزي الأوسع وأدخل أنماطا مستحدثة من الرؤى والبنيات الثقافية التي أصبحت تتشكل باستمرار بعيدا عن الموروثات والمحددات التاريخية الحضارية الأخرى. وتحول هذا الفضاء الجديد إلى مجال استقطاب تتنافس عليه أطراف عدة إن في مجال تأسيس بنى وصور ذهنية جديدة وكسب عقول الأفراد وتسويق رؤى ذات أهداف ثقافية وسياسية معينة، أو في نطاق الدعاية خاصة في زمن الحرب والصراعات الإقليمية الدولية. وقد يكون من المبرر في الوقت الحالي اعتبار الفضائيات المتغير المستقل الذي يولد انعكاسات حاسمة في مجال البناء الثقافي الجماهيري والتأثير على الوعي الجماعي تجاه قضايا المجتمع والأمة.[2]

5. 1. 2. الإيديولوجيا في الأفلام الوثائقية

تؤكد المعارف المعاصرة على أن أي تصور ذهني للذات الإنسانية هي حالة من نشاط فكري، لا تبقى بمنأى عن الإيدولوجيا، ويتم تعريف الإيدولوجيا، في العام، كنسق من الآراء والأفكار والنظريات السياسية والحقوقية والدينية والأخلاقية والجمالية والفلسفية والايدولوجيا، التي تتحدد بظروف حياة المجتمع المادية، على أساس من كونها جزءا من الوعي الاجتماعي وتعكس العلاقات الاجتماعية في المجتمع الطبقي وتتسم بطابعه.

وهناك تعاريف عديدة لمفهوم الإيدولوجيا، نشأت في مراحل تاريخية/ اجتماعية مختلفة، عبرت فيها عن طبيعة الصراع والتناقضات الطبقية والسياسية السائدة في المجتمع، عن أفكارها ومصالحها، مثلت، من جهة، قوى اجتماعية سائدة، كما مثلت، من جهة أخرى أفكارا مضادة، لقوى اجتماعية أخرى، خضع وجودها الاجتماعي للنظام السائد، وتطابقت أيديولوجيتها، بهذا القدر أو ذاك، مع متطلبات التطور الاجتماعي وانطوت على أفكار صحيحة عن الواقع. من هنا يأتي الصراع في ميدان

---

[1]. عواطف عبد الرحمان،"**قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث**"، علم المعرفة، العدد 78. يونيو 1984. الكويت.ص.13.

[2]. عبد الرحمن عزي، **الرأسمال الرمزي الجديد، قراءة في هوية و سوسيولوجية الفضائيات بالمنطقة العربية.** http://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory/naciroverview

الإيدولوجيا انعكاسا طبيعيا لتضارب المصالح الطبقية، ويمثل في الأساس، شكلا من أشكال صراعها الاجتماعي. على هذا، يبدو أنه لا توجد أيديولوجيات لا تفترض وجود أيديولوجيات أخرى.

وضمن التعريفات التأسيسية لمفهوم الإيدولوجيا، الذي حافظ على أصل المفهوم ثم أضيفت إليه تكميلات لا تتنافر معه كمفهوم، هو تعريف "ايتينا ميناريك"، حيث تعرف الأيدولوجيا بكونها كل منظم لمجموعة من الأفكار والمعتقدات والفرضيات المشتركة المتعلقة بالمسببات والمبادئ المشخصة لمختلف ظواهر الحياة الاجتماعية وتشمل كل وجهات النظر لفريق اجتماعي ولأفكار سياسية، تؤسس، في مجموعها، قاعدة أيديولوجية لشكل دولة وتمثلها، سواء كانت غربية أو شرقية أو اشتراكية.

وعلى مستوى الفرد تكون منظومة أفكاره نتاجا لإستراتيجية فردية، تحقق ذاته ضمن واقع اجتماعي موضوعي يتمخض عن حقبة تاريخية، يكون فيها الفرد مجبرا بالضرورة، بوعي أو بغير وعي، على إدراج الواقع ضمن تكوين منظومته الفكرية، مع إدراج شروط الواقع الخارجي في مشروعه الذهني.

ويرى الدكتور "محمد عابد الجابري" أن الإنسان لا يكتسب مبادئه ومفاهيمه بشكل فطري أو غريزي، إنما يكتسبها نتيجة لاحتكاكه بمحيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي. من هنا تأتي أهمية خصوصية المحيط في تشكيل خصوصية الفكر من جملة من المبادئ والمفاهيم والآليات التي تترسخ في ذهنه، منذ بداية تفتحه على الحياة، لتشكل فيما بعد عقله، الذي يفكر بوساطته، ويكون جهازه، الذي يفهم ويؤول ويحاكم ويخالف. ولا جدال في أن الفنان يعبر في الأعمال التي يؤلفها عن أفكاره الخاصة وأحاسيسه الذاتية وعن كل غزارة حياته الروحية الشخصية. وبهذا المعنى فإن إبداعه هو دائما تعبير ذاتي ولكن المجتمع بالذات لا يوجد فقط حول الفنان بل وفي داخله. وإذ يعبر الفنان عن الذاتي فهو يعبر في الوقت نفسه عن قيمة الموضوع الاجتماعية.[1]

وبالرغم من ذلك فكثيرا ما يطرح مفهوما "الإيديولوجيا" و"الفن أو الجمالية"، وكأنهما عدوين لا تصالح ولا وفاق بينهما على الإطلاق. ففي فترة ازدهرت خلالها النضالات وبرزت أفلام أرادت أن تكون شاهدا على واقع المجتمع وتطلعات الناس وأن تنخرط في غمرة التنديد بقهر الحكام وظلمهم، كان شعار "الالتزام الإيديولوجي والسياسي" شعارا رائجا لا نقاش في أحقيته الراهنة ولا في شرعيته الأزلية. وكان مناصرو هذا التيار بالمرصاد لأي عمل فني ينشد الجمال الصرف وينسج على منوال "الفن للفن"،

[1]. قيس الزبيدي، **الايدولوجيا والفيلم مقدمة نظرية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/201033175857785758.html

معتبرين أن رغبة التملص من الإيديولوجيا وتغليب "الشكل" على "المضمون" ما هو إلا ضرب من البذخ ومن التملق لصالح "البورجوازية" و"الرجعية". عندما تراجع المد النضالي وذبلت وتيرة الشعارات والبيانات، أصبح الكثير ممن كانوا من مناصري هذه الظاهرة ودعاتها يمتعضون مما يسمونه "التوظيف الإيديولوجي والسياسي للفن"، مرددين، بين عشية وضحاها، أن الفن هو الفن وأن الإيديولوجيا هي الإيديولوجيا وأنه لا سبيل للتلاقي بينهما.

تنشأ الثنائيات والأحكام القطعية، إذن وفق ورهن أمزجة الناس وتقلباتهم وآمالهم وخيباتهم، بعيدا عن الأفكار والمعارف وعن الفحص الدقيق والنير للأعمال الفنية. ولو احتكمنا للأفلام وحللناها عوض أن نجعل منها مجرد مطية عرضية لمواقف ما، لتبين لنا بيسر أن العديد منها يدحض الاعتقاد بأنّ الإيديولوجي في قطيعة مع الجمالي وأنّ "الالتزام" في عداء مع "التجلّيات الشّعريّة والتّجويدات الشّكليّة".[1]

وتبقى المهمة التي يواجهها الفكر، ليست في فهم العالم والمجتمع، إنما في محاولته السيطرة أكثر فأكثر على مقبض الماكينة الاجتماعية، التي تتحكم في وجوده وتقرر مصيره، وذلك عن طريق المساهمة في معرفة آليات التناقضات الاجتماعية وتسليط الضوء عليها، بهدف المساهمة في عملية التغيير. لكن حينما تصبح الإيدولوجيا بمنزلة نظام، يقوم على أساس من التصورات لقيم مسبقة تتمسك بوجهات نظر وظنون ثابتة وتلتزم بها كغاية في ذاتها، عندها تتعارض الإيدولوجيا، كليا، مع حقيقة الواقع وظواهره.

وتشكل خاصية الفيلم الوثائقي البنائية الأساس، الذي يقوم على مبدأ انتقاء صور الواقع، وإشكالية العلاقة بين الموضوعية والذاتية في الفيلم. فعملية اختيار بعض صور وأحداث من الكون، تخضع لمراد صانع الفيلم وإعادة إنتاج وطرق مونتاج مميزة تنتج عن ضرورة عملية تحريف تقنية التصوير والمضمون. وهو ما يتضمن وقتذاك لحظات منتقاة ويرفض الباحث و"لفغانغ غيرش" وجود أي فرق تقني بين الفيلم كعملية إعادة إنتاج وبين الفيلم كوسيلة تعبير. إن مجرد اختيار الموضوع المصور عبر جهاز الكاميرا، يعني، حتى قبل المونتاج والبناء، مسألة تعبير. وهذا يعني مسألة تأويل. فتصوير الموضوع من مسافة وزاوية معينة والعناية بحدة وضوح الصورة وترتيب وعلاقات النور والإضاءة وتحديد مدة كل لقطة واعتماد نوع مادة فيلم خام لها الخ...، كعوامل في إعادة الإنتاج التقنية، مع موقع الذات، طابع تأويلي معبر. وكل هذا لا يمكن أن يعطي صورة "أمينة" للواقع الحقيقي.

---

[1]. الهادي خليل، **السّينما الوثائقيّة بين الإيديولوجي والجمالي التّأسيس والامتداد**، مجلة الجزيرة الوثائقية http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/20103318588401736.html

إن مجرد القرار في النظر إلى أي جزء من العالم، عبر الكاميرا وتسجيله يؤكد بغض النظر عن الاعتراف أو عدمه، هو دائما أيضا مقطع من رؤية العالم، فالاختيار هو دائما تقويم. وفي الواقع فإن ذاتية المؤلفين تُتضمن، في كل متر من الفيلم، عن طريق اختيار الموضوع وتحديد موقع الكاميرا ونوع العدسة ومن ثم في عملية المونتاج والمكساج، مكونات الصورة والصوت. وحتى في الفيلم الوثائقي، الذي تبدو صوره للمتفرج، كعلامات أيقونية حاضرة مباشرة من الواقع، فإن المؤلف موجود، حتى لو اختفى في لغز الصورة، لكنه يبقى حاضرا بالفعل.[1]

وتبقى السمة البارزة في تجارب بعض المخرجين الوثائقيين، سواء في الغرب أو في الوطن العربي، أن التزامهم الإيديولوجي والسياسي لم يستعملوه ذريعة لتلافي التفكير في متطلبات الفن الجمالية. وهذا ما اعتمدته المخرجة الوثائقيّة اللّبنانيّة "جوسلين صعب" في جلّ أفلامها المتميّزة مثل "السلطة والصّراعات في إيران: زحف الطّوباوية" الذي أنجزته سنة 1980، أو "حي الأموات" الذي صورته سنة 1982، حيث نشاهد تشبث المخرجة التلقائي في الزج بعملية تصوير الفيلم وملابساتها ومفاجآتها، في عملية الإخراج ككل. إن "نفايات" إنجاز فيلم، أي كل ما يعترض فعل التصوير من عراقيل وصعوبات ومنغصات، هي جزء لا يتجزأ من الرؤية الإبداعية. فما يشد انتباهنا في فيلمها عن قيام الثورة الإيرانية وهي في نشوة سنتها الأولى، هو محاولة حراس الثورة من منع مخرجة لا ترتدي الحجاب من التصوير. في لقطة مبهرة ومباغتة، نرى بعض الأيادي التي تريد حجب عين الكاميرا وتهشيمها. لو كان مخرجا آخر غير واع بقيمة هذه "الزوائد" الفجائية التي حتمها الاكتواء بنار الواقع، لحذفها واعتبرها خارجة عن الموضوع.

يتميز أيضا فيلمها الثاني "حي الأموات" الذي يصور حياة المساكين الفقراء الذين يسكنون في مقابر ضواحي القاهرة، برصده لكل المحاولات التي قامت بها السلطة لمنع تصوير الفيلم الذي يعطي، حسب رأيهم، "نظرة مشينة عن المجتمع المصري". ينتهي هذا الشريط الذي ينتصر إلى المعذبين في الأرض ويدين ظلم الحكام بأغنية للفنان المصري الملتزم "الشيخ إمام". لكن بؤرة إشعاعه وأهميته ليس خطابه الإيديولوجي والسياسي الثائر على الأوضاع الفاسدة في الوطن العربي وإنما مساءلته، في صلب ولادته كعمل فني، إلى موضوع الرقابة وخطورة انعدام حرية التعبير على الفن ككل.[2]

---

[1]. قيس الزبيدي، **الايدولوجيا والفيلم مقدمة نظرية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/201033175857785758.html

[2]. الهادي خليل، **السّينما الوثائقيّة بين الإيديولوجي والجمالي التّأسيس والامتداد**، مجلة الجزيرة الوثائقية
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/20103318588401736.htm

وهذا يجسد القول بأن مصدر الإيدولوجيا وهيمنتها يأتي غالبا من سلطة الدولة الحديثة، التي أصبح موقعها حسب فوكو، ينتظم في اتجاهين، لكل منهما معناه الخاص، فمن جهة يوجد للدولة موقع، لأنها ليست على الإطلاق شمولية، لكن من جهة أخرى لا يوجد لها موقع، وليست قابلة لأن تحصر نفسها في موقع، لأنها منتشرة، تتغلغل في كل جانب، وتتصرف بعنف أو تمارس نفسها كإيدولوجيا، تارة تقمع وأخرى تموه أو تخدع وتوهم، تارة كشرطي وتارة كدعاية، وتنتج سلطتها، بكل هذه الأساليب، الواقع، قبل أن تقمع كما تنتج الحقيقة، قبل أن تضفي عليها رداء إيدولوجيا.[1]

انطلاقا مما سبق يمكن القول بأن العلاقة بين الإيديولوجيا والأفلام الوثائقية كعمل فني جمالي وطيدة وواضحة إلى حد كبير، ولا يمكن تجاهلها من بداية العمل واختيار الموضوع إلى نهايته، فالفيلم الوثائقي في النهاية يخضع لرؤية صانعه وإيديولوجيته، وهو ما يحدد نوعية الأفلام المنتجة واختلافها من منتج لآخر. فموضوع كالجماعات الدينية وهو محل اهتمامنا في هذه الدراسة، اهتمت به الكثير من الجهات ولكن كان لكل جهة أهدافها من وراء هذا الاهتمام.

5. 1. 3. تداعيات أحداث الحادي عشر سبتمبر:

ومنذ الحادي عشر سبتمبر زاد حجم التحديات التي يواجهها الإعلام العربي، خاصة مع الحملة التي شنتها وسائل إعلامية غربية. فالعرب والمسلمين كانوا هدفا لتشويه سمعتهم، ولضربهم وضرب حضارتهم بكيل الأكاذيب والتزييف. هذه الحضارة التي أصبحت في نظر البعض خطرا يتهدد مستقبل البشرية إذ أن البعض يتحدث عن صراع حتمي بين الحضارات، وهو المنطق الذي أصبح سائدا خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي ظل هذه الأوضاع كان لزاما على الإعلام العربي ، خاصة من خلال الأفلام الوثائقية التحرك لمواجهة هذه التحديات الجسام. وخاصة في ظل مساعي البعض إلى قلب الحقائق، إذ أصبح الجلاد ضحية والضحية جلادا، وأضحى من يقاوم من أجل استرجاع حقوقه المسلوبة إرهابيا، ومن يقتل العزل من أطفال وشيوخ ونساء، مدافعا عن حقه. انقلبت المفاهيم رأسا على عقب، لذلك كان لزاما على الإعلام العربي عموما والفيلم الوثائقي العربي على وجه الخصوص، أن يتخطى مرحلة مخاطبة الذات إلى مرحلة مخاطبة الآخر، أي الرأي العام الغربي لمحاولة إقناعه بعدالة القضية الفلسطينية التي تشكل أم القضايا العربية بالإضافة إلى القضايا الأخرى.

---

[1]. قيس الزبيدي، **الايدولوجيا والفيلم مقدمة نظرية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/201033175857785758.html

ومخاطبة الآخر تكون باللغة التي يفهمها وبأسلوب عصري وعقلاني يتجاوز مرحلة التشنج والعاطفة، ويتماشى والخصوصية الثقافية والحضارية والاجتماعية.[1]

وكثيرا ما كان الحديث عن الجماعات الدينية الإسلامية من خلال ربطها بالإرهاب، واعتبارها مصدره الرئيس، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. حيث تزايد الاهتمام بظاهرة الإرهاب وكيفية مكافحتها، بحكم انتشارها الواسع واتخاذها أشكالا ووسائل جديدة. وهناك آراء عديدة اتفقت على أن للإرهاب محتوى سياسيا، على اعتبار أن أعمال العنف من ذلك الصنف لا تكون لدوافع ذاتية أو لمصالح شخصية، وإنما العمل الإرهابي غالبا ما تأخذ أحداثه طابعا دراميا يهدف إلى جذب انتباه أكبر قدر ممكن من وسائل الإعلام والرأي العام. ومن ثم فإن الهول والفزع الذي تخلفه الأعمال الإرهابية لدى أكبر عدد من المواطنين يأخذان بعدا إعلاميا كبيرا.[2] وبحكم خصوصية التلفزيون التي يضمنها مفعول الصورة ومقدرتها على تحليل الأحداث الدرامية وتحويلها إلى مدة للاستعراض والفرجة، وإعادة تشكيل الحدث الدرامي والمأساوي وفق بلاغة النظر التي تجذب المشاهد وتنأى به عن أوزار التأمل والتفكير، تسعى القنوات التلفزيونية إلى رسم إستراتيجيات مختلفة في تعاملها مع قضايا كالجماعات الدينية –وما يرتبط بها اليوم من قضايا أخرى كالإرهاب– بالنظر إلى مرجعياتها الثقافية والفكرية وموقعها القانوني.[3] وقد باءت بالفشل المحاولات التي بذلتها الأمم المتحدة في الثمانينيات لعقد مؤتمر دولي لمناقشة وبحث هذا الموضوع، كما أنه بسبب تناقض الآراء واختلاف وجهات النظر، لم تتمكن اللجنة المعنية بملف الإرهاب الدولي في ذات المنظمة من التوصل إلى تعريف موحد لمفهوم الإرهاب. إذ إن ما تعتبره دولة ما عملا نضاليا وكفاحا مشروعا يجب تأييده ودعمه، يعتبر لدى دولة أخرى عملا إرهابيا تجب إدانته ومكافحته.[4]

وعرف قاموس "روبير" الفرنسي في طبعته الصادرة سنة 2006 الإرهاب بما يلي: "هو استعمال منتظم للعنف لبلوغ هدف سياسي: الاستيلاء على السلطة أو ممارستها أو الاحتفاظ بها". إنه

---

[1]. عبد الحفيظ الهرقام. مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 3. السنة 2003. ص. ص9-11.

[2]. تمار يوسف، **الإرهاب و إشكالية العمل الإعلامي**، مجلة الإذاعات العربية، مجلة فصلية يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد3-4. 2007.ص. 43.

[3]. نصر الدين العياضي، **الإعلام التلفزيوني والإرهاب: قناعات و اختيارات**، مجلة الإذاعات والتلفزيونات العربية. مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2. السنة 2007. ص. 33.

[4]. تمار يوسف–مرجع سابق–ص. 43.

مجمل الأفعال العنيفة تحديدا كالاغتيالات واختطاف الرهائن المدنيين الذي تقوم به ملتزمة سياسية لتخويف بلدها أو بلد آخر.[1]

إذا بات من المؤكد أن تهمة الإرهاب التي ارتبطت ببعض العرب والمسلمين منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، قد جرت متاعب كبرى على الأمة العربية والإسلامية، فإنه من المؤكد أيضا أن انتقالها بالفعل لداخل هذه الأمة، سيكون من شأنه إثارة الفتن وإحياء النعرات القومية، العرقية،الدينية وما سواها. وفتح المجال واسعا للتضييق على حريات الأفراد والجماعات في حلهم وترحالهم سواء بسواء. وتبقى المعالجة الأمنية وحدها غير كافية بالمدى المتوسط والبعيد. وإذا لم تساندها وسائل الإعلام والثقافة كما على مستوى الإبداع، وتشكيل مناعة ذاتية ضد الخطاب الذي يؤسس للإرهاب أو يفتي به أو يدعو إلى سلك طريقه كوسيلة للجهاد والحكم بما أنزل الله.[2]

5. 2. نماذج من الأفلام الوثائقية حول الجماعات الدينية

5. 2. 1. سلسلة الإسلاميون

وهي من إنتاج الجزيرة الإخبارية وتتكون من سبعة عشر حلقة، وقد أشرف على وضع النص العلمي والتاريخي الأستاذ الدكتور "بشير نافع" أستاذ التاريخ بجامعة لندن أما المنتج والمخرج لهذه السلسلة الوثائقية فهو المخرج "أحمد محفوظ" مدير قناة الجزيرة الوثائقية وهي عبارة عن برنامج وثائقي من 17 جزء يتناول بالدراسة والتحليل والرصد تيار الإسلام السياسي في المنطقة العربية بشكل خاص والعالم الإسلامي عامة. ورغم أن ظاهرة الجماعات الإسلامية السياسية تحوز على حضور بارز في المسرح السياسي العربي والإسلامي والدولي، وتملك قوة مؤثرة في أحداث هذا المسرح ولها قادة ومرجعيات وأنصار في كل مكان تقريبا إلا أن هذا البرنامج يعتبر هو الأول من حيث التصدي لهذه الظاهرة بأدوات القراءة والتحليل في أية لغة كانت.

وترصد السلسلة هذه الظاهرة من جوانبها المختلفة بداية من أسمائها وعناوينها المختلفة وتاريخها الحديث نسبيا مقارنة ببقية التيارات السياسية المعروفة وقصة نشأتها من رحم التحولات الكبرى التي طالت العالم العربي والإسلامي بدءً من القرن التاسع عشر متأثرا بحركة التحديث

---

[1]. نصر الدين العياضي– مرجع سابق–ص 33.

[2]. يحي اليحياوي، **أي دور للمثقفين والإعلاميين في التصدي لظاهرة الإرهاب**، مجلة الإذاعات العربية، مجلة فصلية يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد3–4. 2007. ص. 49.

والاستعمار الأجنبي وانهيار السلطة السياسية الإسلامية ودولتها المتمثلة في دولة الخلافة ثم ولادة الدولة المركزية الحديثة.

وتبدأ حلقات هذه السلسلة بافتتاحية عامة حول ظاهرة الجماعات الإسلامية السياسية من حيث أحقية هذه الظاهرة بالدراسة وأهميتها الاجتماعية والثقافية وعلى وجه الخصوص أهميتها السياسية، كما تستعرض هذه الحلقات أبرز الانتقادات التي توجه لهذه الظاهرة من جهة وما يمكن أن تكون قد أضافته لمجتمعاتها إيجابيا من جهة ثانية، ويختص القسم الأول من هذه السلسلة بمقاربة تاريخية لظاهرة الإسلام السياسي في مرحلتها التأسيسية، والتي استمرت حتى منتصف الستينيات من القرن الماضي وهي المرحلة التي شهدت ولادة الجماعات الإسلامية الأم في عدد من بلدان العالم الإسلامي.[1]

ويتتبع هذا القسم تاريخ نشوء الجماعات الإسلامية حيث يدرس البيئة التي خرجت منها وعلاقتها بأحداث وتفاعلات زمنها ويستعرض أهم شخصيات الحركة الإصلاحية الإسلامية مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا الذين يعتبرون الآباء الشرعيين لتيار الإسلام السياسي ثم ينطلق البرنامج لدراسة أول تنظيم إسلامي سياسي على أرض الواقع وهو جماعة الأخوان المسلمين في مصر، ويسلط الضوء على ظروف نشأته مركزا على مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا وتأثيره في واقعه وزمنه، كما تدرس السلسلة في هذا القسم ظاهرة (الجماعة الإسلامية) وزعيمها أبو الأعلى المودودي منذ ولادتها في الهند ثم انتقالها لباكستان وتطورات علاقاتها بالدولة حتى نهاية عهد مشرف، وسعيا لشمول الصورة يستعرض هذا القسم جماعة إسلامية سياسية ثالثة لها تاريخها ووزنها وهي حزب التحرير الإسلامي ويردف هذا الجهد بقراءة في فكر واحد من أهم المؤثرين في هذا الشأن وهو سيد قطب، كما يروي البرنامج قصة الصراع بين الأخوان والحكم الناصري في مصر كمناخ ولدت فيه كتابات قطب الرئيسية.[2]

ويغطي القسم الثاني مرحلة الصعود الثاني لتيار الإسلام السياسي وتعدد تعبيراته وتنظيماته السياسية، ويستعرض في هذا الشأن مرحلة ما بعد الجماعات أو الحركات الأم مقدما نماذج من الواقع مثل الثورة الشعبية ونموذجها في إيران، ومرحلة العنف المسلح في نماذج رئيسية من الجزائر والسعودية واليمن وسورية، والتعبير الثالث وهو الانقلاب العسكري مثلما حدث في السودان، كما يستعرض هذا القسم تعبيرا رابعا يتمثل في نموذج المقاومة الوطنية، كما في أفغانستان وفلسطين

[1] .http://doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/Images//2009/8/4/200984725225667341.jpg

[2] .
http://doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/Images//2009/11/5/2009115112039197341.jpg

ولبنان، ويخصص البرنامج كذلك مساحة وافية لتعبير العنف العابر للقارات ونموذجه الأبرز "تنظيم القاعدة" قبل أن يصل للتعبير الأهم والأعم وهو الإسلام السياسي الإصلاحي الديمقراطي حيث يخصص ثلاث حلقات لهذا التعبير متناولا إياه في أماكن مختلفة وبأشكال نظرية وعملية تمثل واقع الحال.

الإسلاميون سلسلة رائدة يسعى مخرجها "أحمد محفوظ" لجعلها موسوعة مرئية تلم بهذا التيار المؤثر والمهم في مختلف جوانبه بلغة موضوعية محايدة توفر المساحة المناسبة لمختلف تمثيلات هذا التيار ودارسيه والباحثين فيه ليقولوا خلاصة تجاربهم وأبحاثهم وأفكارهم، واضعين إياها في متناول المشاهد العادي والمتخصص على السواء، إنها سلسلة مرجعية في هذا الشأن واجتهاد توثيقي يستند على الخبرة والحداثة والتقنية والعلمية. وتناولت حلقات هذه السلسلة الوثائقية العناوين التالية:

الحلقة الأولى: الإسلام والسياسة.

الحلقة الثانية: الرواد الإصلاحيون.

الحلقة الثالثة: الإخوان المسلمون وحسن البنا.

الحلقة الرابعة: الإخوان المسلمون والثورة.

الحلقة الخامسة: حزب التحرير.

الحلقة السادسة: المودودي والجماعة الإسلامية.

الحلقة السابعة: انتقام المفكر.

الحلقة الثامنة: الصعود الثاني للإسلاميين.

الحلقة التاسعة: ثورة الفقيه والشعب.

الحلقة العاشرة: مصر وسوريا والجزائر.

الحلقة الحادية عشر: الإسلاميون المقاومون.

الحلقة الثانية عشر: انقلاب الإسلاميين العسكري.

الحلقة الثالثة عشر: وجها لوجه مع القوى العظمى.

الحلقة الرابعة عشر: صعود الإسلاميين الإصلاحيين.

الحلقة الخامسة عشر: أزمة التيار الإصلاحي.

الحلقة السادسة عشر: حدود الانتصار الإصلاحي.

الحلقة السابعة عشر والأخيرة: الإسلاميون والمستقبل.[1]

5. 2. 2. السلسلة الوثائقية "سري للغاية"

تشكل السياسة مادة دسمة للأفلام الوثائقية لما تحويه من جدل، وصراع إذ يعد الصراع السياسي سمة لكل المجتمعات البشرية، ومن الصعب أن تجد مجتمعا يخلو من الصراع السياسي وهو سمة ملازمة لتفاعل الحياة إذ ينتشر في كل بقاع الأرض.

وتندرج الأفلام الوثائقية الباحثة في الصراعات السياسية ضمن الاتجاه الواقعي، الذي لا يقدم الشخصيات المألوفة والشائعة، والموضوعات المستمدة من الطبيعة فحسب، وإنما يكتشف أيضا فردية البشر، وتشابههم مع جماهير البشر الأخرى في آن واحد، والواقعية في الفن تنبه الناس إلى جمال الطبيعة، وجمال البشر، وتهتم أساسا بتصوير العلاقات الاجتماعية التي ينشغل بها الناس والقوى التي تتحكم فيهم، والروابط والمصالح المشتركة بينهم. وفي مجال السينما الوثائقية يستمد الاتجاه الواقعي مادته من الواقع المباشر للمدن والمصانع والأسواق لإبراز ما يكمن تحت السطح من أسباب ومسببات.

ومن بين السلاسل الوثائقية التي تناولت الصراعات السياسية نجد سلسلة "سري للغاية" الوثائقية، وهي تحقق السمات التي لابد من توافرها في الفيلم الوثائقي السياسي حيث واجه صانعها: يسري فوده، المرتبطين ارتباطا مباشرا بصراعات سياسية خطيرة. وانتزع منهم بشكل مباشر وأحيانا غير مباشر الحقيقة التي روت ظمأ المواطن حيث يعد أول من التقى "رمزي بن الشيبة"، الذي يعتقد أنه من مهندسي هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وكذلك بث فيلم وثائقي حول "كواليس المقاومة الإسلامية العراقية"، ورافقها في الدخول إلى العراق. وقد حصلت هذه السلسلة على الجائزة الفضية لمهرجان القاهرة للإنتاج الإذاعي والتلفزيوني 1998، وحصلت كذلك في مجمل حلقاتها على جائزة الإبداع المتميز من الجامعة الأمريكية في القاهرة عام 2000.[2]

5. 2. 3. فيلم وثائقي حول "أبو مصعب الزرقاوي"

[1] http://dvd4arab.maktoob.com/archive/index.php/t-2312415.html .

[2]. عاصم علي الجرادات، **معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية، سلسلة (سري للغاية) في قناة الجزيرة أنموذجاً** "http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/2009624907146808.html

فيلم "إعادة خلق" هو تجربة هامة للمخرج الأردني المقيم في هولندا "محمود المساد" الذي يتمحور حول فكرة الإرهاب. ويشرح "المساد" قائلا: "أعود في الفيلم إلى بلدتي الأردنية الزرقاء التي أنجبت أبو مصعب الزرقاوي قائد تنظيم القاعدة في العراق دون أن أروي سيرته بقدر ما حاولت التوغل في تشعبات الحالة الاجتماعية والإنسانية والثقافية لشخصية أبو عمار المجاهد السابق في أفغانستان والأب لثمانية أولاد بحثا عن مفردات العيش اليومي، وقصص الزرقاوي التي رواها بعض معارفه".

ويكافح أبو عمار يوميا من أجل لقمة العيش حيث يعمل في بيع علب الكرتون لأحد مصانع إعادة التدوير، ويغرق في تأملاته الدينية، ويتعرض لمضايقات السلطة، كما يعيش في بيئة صالحة لخلق أصوليين قد يتحولون إلى إرهابيين باسم الدين الإسلامي.

ويعتبر فيلم "إعادة خلق" إنجازا في حقل السينما الوثائقية باعتباره شهادة بصرية عن حالة إنسانية. ويرى "المساد" أن هناك أمرا جميلا في عملية تنفيذ فيلم ما حيث تفكر بقصة لترويها فتتصورها وتصورها. أي أن تعيد خلق الحياة وتخترع عالما قائما بذاته!"

وبالنسبة له، لم يكن تصوير الفيلم سهلا خلال 20 يوما ويتابع: "كنت أذهب في جولات يومية مع أبو عمار في سيارته حتى لا أتعرض لمضايقات عائلة الزرقاوي". لذلك يعتبر الفيلم بالنسبة له ردا للغرب على نظرتهم السلبية حيال العرب والإسلام. "فيجب أن يعرف الأوربيون كيف يفكر الأصولي. وما هي الظروف التي يعيش فيها. لذلك حاولت أن أشرح خلال الفيلم أن التطرف ليس مصدره الدين بل هو أسلوب حياة يمارسه بعض المتطرفون".[1]

5. 2. 4. سلسلة العرب المسيحيون

جابت سلسلة العرب المسيحيون– سيناريو وإخراج "بشار غنام" وإنتاج الجزيرة الوثائقية – عبر أجزائها الأربعة ثمانية بلدان وعددا كبيرا من الأمكنة والشخصيات، مدعمة بالشواهد والمباحث التاريخية في أوساط العرب الذين يعتنقون المسيحية حاضرا وماضيا ومستقبلا. فمن لبنان إلى الأردن وسوريا ومصر وفلسطين ثم السويد والولايات المتحدة وفرنسا تتجول الكاميرا باحثة في موضوعها صورة ونصا، مستقصية بشكل أفقي واسع مختلف وجهات النظر والرؤى حال العرب المسيحيين في

[1]. أسماء وهبة، **السينما الوثائقية" صناعة بلا جمهور**
http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

أوطانهم ومنافيهم، تاركة لهم الفرصة للتحدث عن شجونهم ومشاغلهم وتصوراتهم عن الحاضر والمستقبل عبر سرد بصري تميز بالهدوء والنقلات المتسلسلة البعيدة عن إرباك العين أو حصرها في مجال بصري واحد.

ولم تقتصر هذه السلسة الوثائقية على السرد التاريخي والديني لهذه الشريحة الأصيلة والفاعلة في مجتمعها العربي بل تجولت أيضا في مناحي أخرى اجتماعية واقتصادية وثقافية عديدة تذكر المشاهد كل حين بتاريخ المسيحية العربية الحافل بمختلف أوجهه وتفرعاته.

وبعد مدخل تاريخي مستفيض يستعرض مهد المسيحية وخطواتها الأولى يبرز الفيلم عبر ضيوفه الذين تنوعت اهتماماتهم ومناصبهم الدينية والدنيوية، عراقة المسيحيين العرب واعتزازهم بانتمائهم العربي الموغل في التاريخ، فالرسالة المسيحية هي رسالة شرقية نشأت في الشرق الكنعاني – الفينيقي – الآرامي، ويتم استعراض المشتركات التي تجمع بين اللغتين العربية والسريانية التي كتب بها المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، مثل التوحد في الجذر اللغوي والتشابه الكبير في القواعد النحوية بينهما.

وفي الشأن الكنسي الخاص يمر الفيلم على الاختلافات بين المسيحيين دينيا. والملاحظ أنها اختلافات لا تمس الجوهر وإنما هي تختص ببعض الشكليات، كما يستعرض العمل حياة مسيحيي الشرق في حالة سلام داخل إطارهم العربي، وكيف أن حالة السلام هذه كانت تتعقد في بعض الأحيان عندما تقع بين تناقضات الجغرافيا والتاريخ، مثل شواهد تنافس الشعوب على محبة رموز هذه الديانة ونسبتها شكليا له، حيث نرى المسيح يصور في الغرب مثلا بأوصاف غربية من حيث اللون والبنية الجسدية، وأيضا في اختلاف بعض الطقوس مثل العمادة والقربان المقدس.

السلسلة لم تقتصر على السرد التاريخي، بل تجولت في مختلف المناحي المسيحية. ومن حالات محاربة كنيسة الشرق المسيحي ما نتج عن الفترة العثمانية عندما استطاع اليونانيون بحكم تقربهم من آل عثمان السيطرة على المناصب الكنسية العليا وكيف أن ذلك أدى لتحجيم في الدور العربي داخل الكنيسة الشرقية وخلف مشاكل في الحاضر لعل قصة بيع الأوقاف الكنسية الأرثوذكسية التي تفجرت أخيرا من أبرزها، وأيضا قضية تعطيل تعريب الكنيسة بسبب تلك السيطرة مما جعلها غريبة في بعض جوانبها عن بيئتها الأصلية.

كما خصصت السلسة أيضا مساحة رحبة للمسيحيين العرب في ديار المهجر والغربة، ناقشت مع المهتمين والشهود بتوسع قضية الهجرة وجوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية، والأسباب

المباشرة لذلك، والتي يرى البعض أنها تدور في محيط الحاجة المعيشية والإحساس بالتفريق في المعاملة في بعض المجتمعات نتيجة للضغوط السياسية، كما لعبت الأصولية المتشددة دورا في إثارة الفزع في بعض الأوساط المسيحية ودفعتها للهجرة نتيجة الفهم القاصر لمبادئ الإسلام الرحبة والمتسامحة.

وفي هذا الإطار التقت العدسة في شكل فني مدروس بالعديد من النماذج الحية التي تحدث عن تجاربها في المهجر وصعوبات التأقلم، كما ألقى العديد من الإخوة المسيحيين بوجهات نظرهم التي حرصت على التخفيف من الهالة المبالغ فيها حول إعداد المهاجرين وأسباب هجرتهم ونفت أن تكون تلك الأعداد والأسباب كما هو معلن عنها بسبب عدم القدرة على المواصلة في البلد الأصلي، ونبه البعض لمحاولات مريبة لبعض القوى الخارجية لاستدراج المسيحيين العرب لتفريغ المنطقة منهم ومن ثم إبراز الدور السلبي للمسلمين بشكل يوحى بأنهم من يقف وراء ذلك، بحيث يكون المسيحي والمسلم في الحقيقة هدف مشترك للتغطية على سياسات مريبة في بعض الأحيان.

كما تابع هذا الفيلم الوثائقي الحرص الذي يُبديه المهاجرون المسيحيون العرب في ديار المهجر للحفاظ على تقاليدهم الشرقية الدينية منها والاجتماعية، كما تمت مناقشة مسألة التدخل الغربي سياسيا لصالح المسيحيين العرب وكيف أنه تدخل مغرض كما عبّر بعض رجال الدين أنه يهدف لاستخدام المسيحيين العرب كورقة ضغط سياسية من أجل تحقيق مصالح دولية في الداخل العربي، كما سلط الضوء على المحاولات المشبوهة مثل منظمة (شهود يهوه) التي تدعى المسيحية بينما أصولها اليهودية.

كما زارت السلسة أيضا السودان وحاولت استعراض مشكلة الجنوب المسيحي والشمال المسلم والحرب، التي حاول البعض هناك أن يصبغها بالصبغة الدينية، وناقشت اتفاق الطائف اللبناني وكيف ساهم في تثبيت الحقوق المسيحية كما جاء على لسان أبرز المشاركين فيه من ذوى المناصب السياسية والدينية العليا، كما تم طرح وجهات نظر مسيحية جريئة نحو ضرورة المجتمع المدني الذي يقوم على حقوق المواطنة وليس المذهب والديانة، وطالب بعضه المسيحيين إخوانهم في الديانة بالهجرة من الكنيسة نحو الدولة والتعامل مع المشاكل الاجتماعية والمساهمة فيها من أجل مشاركة أكثر فعالية في القضايا السياسية.[1]

[1]. مجاهد البوسيفي. **العرب المسيحيون : تاريخ عميق وحاضر قلق. مجلة الجزيرة الوثائقية.**
http://doc.aljazeera.net/followup/2009/01/20091813120549875.html

بالإضافة إلى برنامج نقطة ساخنة الوثائقي والذي سيكون محور دراستنا الميدانية التحليلية في الفصل القادم.

خلاصة:

لقد حاولنا في هذا الفصل أن نتطرق بالوصف لبعض الموضوعات المتعلقة برصد صورة الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية ولقد تم ذلك من خلال معالجة الموضوعات التالية: تناولنا في البداية موضوع العولمة الإعلامية وتأثيرها على الإعلام العربي ثم مكانة الأفلام الوثائقية في القنوات العربية والتطور الذي حدث مع ظهور بعض القنوات كالجزيرة وقناة mbc متأثرتين بقناة bbc، كما تناولنا بالتفصيل الحديث عن بعض القنوات المتخصصة في الأفلام الوثائقية في العالم العربي، كالقانتين السابقتين وقناة العربية، ثم تحدثنا عن بعض ما تهتم به الأفلام الوثائقية العربية، وأخيرا تم الحديث عن الجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية العربية وتحدثنا عن بعض الأشرطة الوثائقية التي تركت تأثيرا واضحا وكان لها صدى عند المشاهدين.

الفصل الخامس

عرض وتحليل النتائج

تمهيد

أولا: التعريف ببرنامج نقطة ساخنة

ثانيا:عرض النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة

ثانيا: تحليل النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة

ثالثا: عرض النتائج الخاصة بفئات "كيف قيل" ببرنامج نقطة ساخنة

رابعا: تحليل النتائج الخاصة بفئات "كيف قيل" ببرنامج نقطة ساخنة

خلاصة

تمهيد:

سوف نحاول في هذا الفصل تحليل وتفسير النتائج التي توصلنا إليها من خلال التعريف ببرنامج نقطة ساخنة، ثم عرض النتائج الخاصة بالمضمون ببرنامج نقطة ساخنة يليها تحليل النتائج الخاصة بمضمون البرنامج، ثم عرض النتائج الخاصة بفئات "كيف قيل" ببرنامج نقطة ساخنة وأخيرا تحليل النتائج الخاصة بفئات "كيف قيل" بالبرنامج.

أولا: التعريف ببرنامج نقطة ساخنة:

هو برنامج وثائقي انطلق عام 1997 مع بدء إرسال قناة الجزيرة الفضائية، حيث تم البدء في إنتاج هذا البرنامج الوثائقي وإخراج بعض حلقاته، والذي صار واحدا من أهم البرامج الوثائقية في الإعلام العربي، وتم التجول من خلاله بعين تسجيلية استكشافية لرصد مناطق الأزمات في مختلف أنحاء العالم، وبلغت حلقات البرنامج ثلاثة وخمسين حلقة شملت أكثر من خمسين دولة.

ثانيا- عرض النتائج الخاصة بمضمون برنامج نقطة ساخنة

قبل التطرق إلى المواضيع التي وردت في برنامج نقطة ساخنة وعرض تكراراتها، ونسب ظهورها، يجدر بنا معرفة توزيع المواضيع على حلقات العينة محل الدراسة، تماشيا مع عنوان الدراسة الموسومة بالجماعات الدينية في الأفلام الوثائقية.

الجدول رقم (01) يوضح: حجم الاهتمام بالجماعات الدينية
من برنامج نقطة ساخنة –محل الدراسة–

الجدول رقم (01) يوضح: حجم الاهتمام بالجماعات الدينية أي (يوضح المعدل التكراري والنسبي للحلقات التي تناولت الجماعات الدينية من برنامج نقطة ساخنة –محل الدراسة–

الحلقات / الأعداد	الحلقات المختارة من بين الحلقات التي تناولت الجماعات الدينية	
	الزمن الكلي للفيلم الوثائقي	الزمن الحقيقي حول الجماعات الدينية
حزب الله 24 سبتمبر 1998	50:10	00 :49:05
الأصولية الهندوسية 24 جوان1999	73:52	1 :02 :39
التبت 28 جويلية 1999	44:51	00 :40:35
الحركات الإسلامية في أندونيسيا31أكتوبر2002	48:44	00 :38:31
المغرب خريطة الحركات الإسلامية 25 سبتمبر 2003	84:05	00 :54:44
40- السنغال بين العلمانية والصوفية(ج2) 29 جويلية 2005	48:24	00 :35:16
المجموع	06:24:27	04:40:50

يتبين من خلال الجدول أن برنامج نقطة ساخنة قد أولى اهتماما بالجماعات الدينية، حيث ركز صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة في الحلقات التي تناولت هذه الجماعات على العناصر التي ترتبط بهذه الجماعات، وقليلا ما كان يسجل خروج الصانع عن الموضوع الأساسي إلى مواضيع جانبية، وهو ما يوضحه الجدول أعلاه.

يتبين من خلال الجدول أن برنامج نقطة ساخنة قد أولى اهتماما بالجماعات الدينية، حيث قدر عدد الحلقات المتعلقة بالجماعات الدينية: 11 عشر حلقة من بين 53 حلقة، وهي نسبة معتبرة تدل على أهمية هذا الموضوع ومدى اهتمام صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة به، كما يتضح هذا الاهتمام من خلال مدة البث التي استغرقها موضوع الجماعات الدينية من البرنامج محل الدراسة، ولمزيد من التوضيح نعرض البيانات الواردة في الجدول رقم (01) من خلال التمثيل البياني الأتي:

شكل رقم (01): يوضح حجم اهتمام برنامج نقطة ساخنة بالحركات الدينية

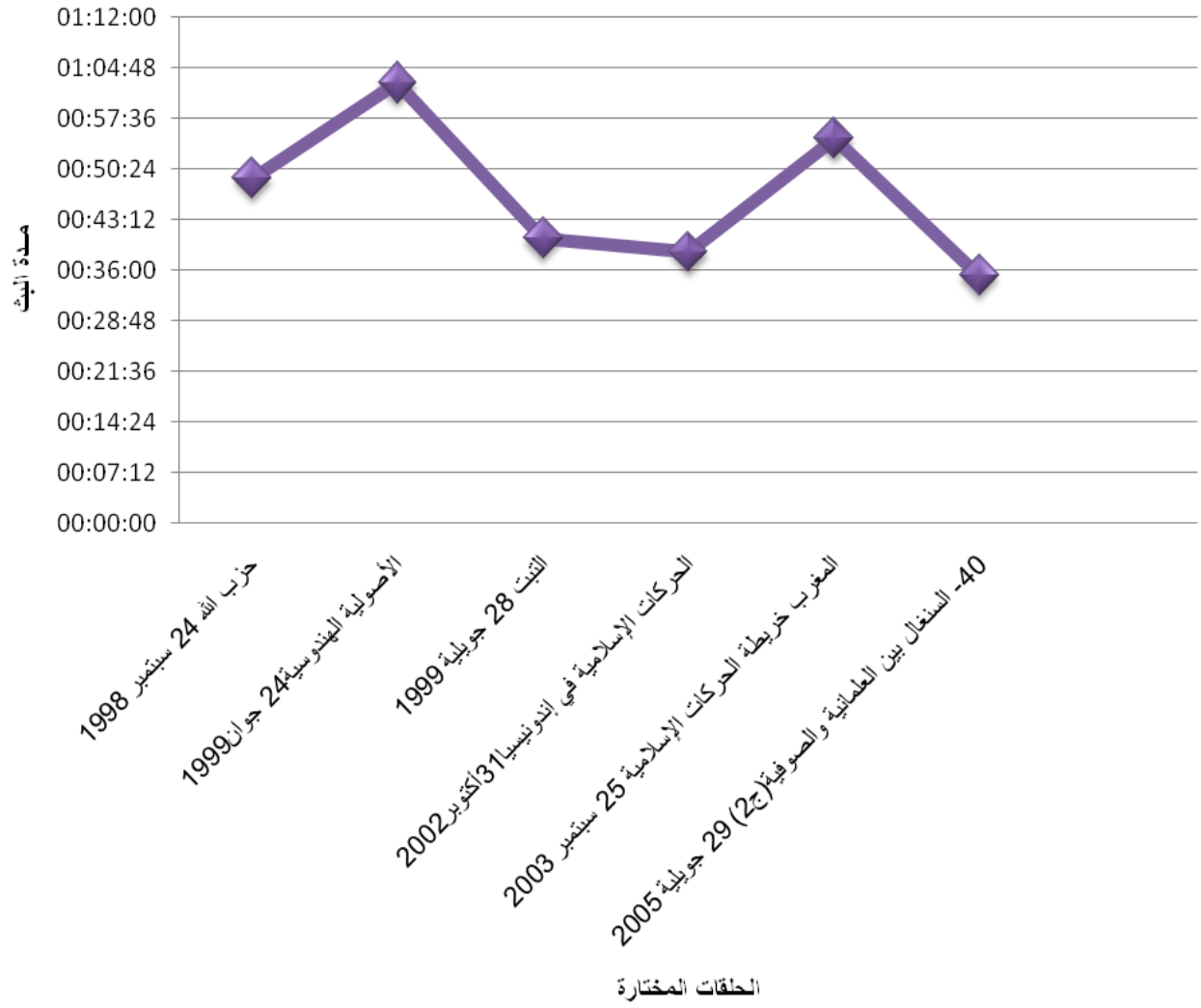

وفيما يأتي عرض للنتائج المتوصل إليها بعد تحليل برنامج نقطة ساخنة، بما يجيب عن التساؤلات المطروحة في بداية الدراسة، وبرصد ظهور الفئات التي تم تحديدها، وأولها الفئات الرئيسية التي تندرج ضمن فئة الموضوع، وهي ستة فئات:

1- حزب الله

2 - الأصولية الهندوسية

3- التبت

4- الحركات الإسلامية في أندونيسيا

5- المغرب خريطة الحركات الإسلامية

6- السنغال بين العلمانية والصوفية

1.فئة الموضوع

1-1- حزب الله

الجدول رقم (02) يوضح: معدل ظهور مؤشرات "حزب الله" في برنامج نقطة ساخنة

التكرار / حزب الله	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	35	% 38.04
المرجعية الإيديولوجية	27	%29.34
العلاقة مع السلطة اللبنانية	10	%10.86
العلاقة مع العدو الإسرائيلي	20	%21.73
المجموع	92	%100

يظهر الجدول أنه في الحلقة الخاصة بحزب الله من برنامج نقطة ساخنة، تم الاهتمام بعرض ما يوضح الخصوصية الاجتماعية والثقافية للحزب بنسبة: 38.04 %، من خلال العرض لنشأة الحزب وأهم مميزاته الثقافية وفعالياته الاجتماعية، كما اهتم البرنامج بالمرجعية الإيديولوجية لهذا الحزب بنسبة تقدر بـــ: 29.34%، كما حازت علاقة هذا الحزب بالعدو الإسرائيلي على بالاهتمام بنسبة قدرت بـــ: 21.73%.

1-2- أندونيسيا بين الحركات الإسلامية

الجدول رقم (03) يوضح: معدل ظهور مؤشرات جماعة نهضة العلماء بأندونيسيا في برنامج نقطة ساخنة

التكرار / جماعة نهضة العلماء	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	13	%72.22
المرجعية الإيديولوجية	04	%22.22
العلاقة مع السلطة الأندونيسية	01	%05.50
المجموع	18	%100

اهتم الفيلم الوثائقي محل الدراسة بتوضيح طبيعة الجماعات الدينية في أندونيسيا، وكانت البداية مع جماعة نهضة العلماء كما يظهره الجدول أعلاه. من خلال الاهتمام بالخصائص الثقافية والاجتماعية بنسبة تقدر بـــ: 72.22%، والاهتمام كذلك بالمرجعية الإيديولوجية التي تقوم عليها هذه الجماعة وكان ذلك بنسبة تقدر بـــ: 22.22%، أما عن علاقة هذه الجماعة بالسلطة الأندونيسية فلم يوليها الفيلم الوثائقي اهتماما كبيرا، حيث لم تتجاوز نسبة ظهورها أكثر من 05.50%.

الجدول رقم (04): يوضح: معدل ظهور مؤشرات الجماعة المحمدية أندونيسيا في برنامج نقطة ساخنة

التكرار / الجماعة المحمدية	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	06	%33.33
المرجعية الإيديولوجية	06	%33.33
العلاقة مع السلطة الأندونيسية	06	%33.33
المجموع	18	%100

من خلال الجدول رقم (04) يتضح أن الصانع فيما يتعلق بالجماعة المحمدية في أندونيسيا كان اهتمامه متساويا بمختلف المؤشرات، سواء فيما يخص الخصوصية الثقافية والاجتماعية، أو المرجعية الإيديولوجية، أو العلاقة مع السلطة الأندونوسية. وقد جاءت النسبة المعبرة عن مختلف هذه المؤشرات مقدرة بـــ: 33.33%.

الجدول رقم (05): يوضح: معدل ظهور مؤشرات الجماعات الإسلامية المسلحة أندونيسيا في برنامج نقطة ساخنة

التكرار / الجماعات الإسلامية المسلحة	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	22	%23.91
المرجعية الإيديولوجية	32	%34.78
العلاقة مع السلطة الأندونيسية	38	%41.30
المجموع	92	%100

يظهر الجدول رقم (05) أن صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة أولى اهتماما كبيرا بالجماعات الإسلامية المسلحة في أندونيسيا، واحتلت علاقة هذه الجماعات بالسلطة الأندونوسية صدارة ذلك الإهتمام بنسبة قدرت بـــ: 41.30%، لتأتي بعدها المرجعية الإيديولوجية لتلك الجماعات بنسبة: 34.78%، ثم جاءت الخصوصية الثقافية والاجتماعية لها بنسبة قدرت بـــ: 23.91%.

1-3- الأصولية الهندوسية

الجدول رقم (06) يوضح: معدل ظهور مؤشرات الأصولية الهندوسية في برنامج نقطة ساخنة

التكرار / الأصولية الهندوسية	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	36	%28.34	05	%31.25
المرجعية الإيديولوجية	44	%34.64	00	00
العلاقة مع الجماعة الإسلامية	33	%25.98	08	%50
العلاقة مع السلطة الهندية	14	%11.02	03	%18.75
المجموع	127	100	16	%100

يظهر بوضوح من خلال الجدول أعلاه أن صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة قد ركز اهتمامه في الحلقة المتعلقة بالجماعة الدينية الهندوسية على الحديث بعبارات صريحة عن المرجعية الإيديولوجية لهذه الجماعة بنسبة قدرت بـــ:34.64%، كما أولى أهمية للحديث عن الخصوصية الثقافية والاجتماعية وكانت النسبة المعبر عنها تقدر بـــ: 31.25%. كما كان هناك اهتمام بتناول العلاقة مع الجماعة الإسلامية بما نسبته:25.98% ، بالإضافة إلى الاهتمام بنسبة أقل بالعلاقة مع السلطة الهندية قدرت بـــ:11.02% .

كما أولى الصانع ومن خلال العبارات الإيحائية اهتمامه بعلاقة الجماعة الهندوسية بالجماعة المسلمة، هذه الأخيرة التي تشكل ثقلا من الناحية البشرية داخل المجتمع الهندي، وقد قدرت نسبة هذا الاهتمام بـــ: 50% من مساحة الحلقة، بالإضافة إلى اهتمامه بالخصوصية الثقافية والاجتماعية حيث كانت النسبة: 31.25%. أما علاقة تلك الجماعة بالسلطة الهندية، فلم تنل الاهتمام ذاته حيث لم تتجاوز النسبة: 18.75%.

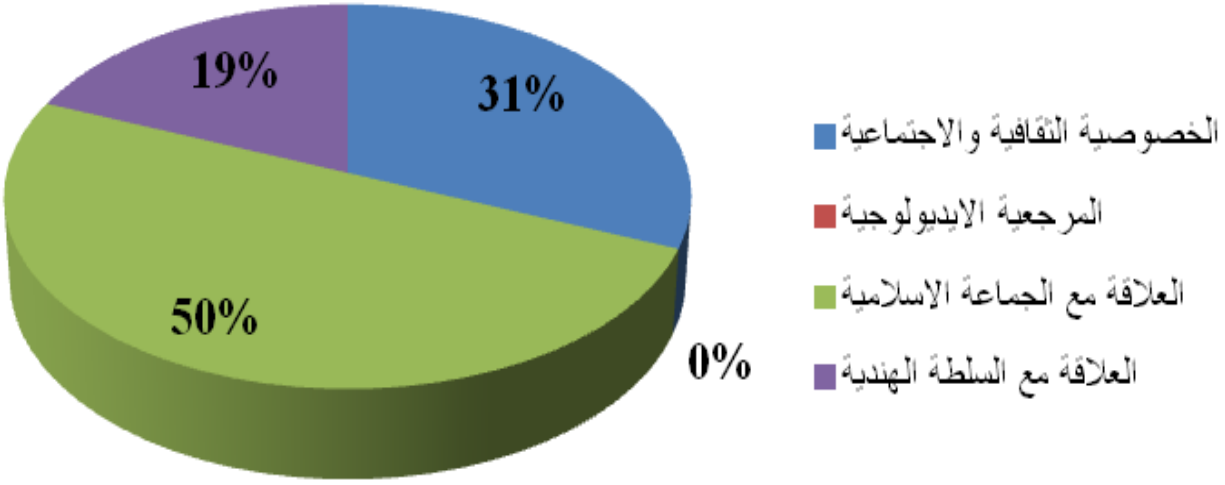

1-4- الجماعة البوذية

الجدول رقم (07) يوضح: معدل ظهور مؤشرات الجماعة البوذية في التبت

التكرار / الجماعة البوذية	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	39	%32.77
المرجعية الإيديولوجية	08	%06.72
العلاقة مع السلطة الصينية	72	%60.50
المجموع	119	%100

يبدو من خلال الجدول أن الاهتمام الأكبر للفيلم الوثائقي الخاص الجماعة البوذية بالتبت قد ركز على علاقة هذه الجماعة بالسلطة الصينية، حيث حاز هذا الجانب على أكثر من نصف الفيلم الوثائقي حيث كانت النسبة: 60.50%، ويرجع هذا في الأساس إلى سعي هذه الجماعة في إقليم التبت للانفصال عن الصين. كما احتل الحديث عن الخصوصية الثقافية والاجتماعية لهذه الجماعة باهتمام كبير من هذه الحلقة قدر بنسبة 32.77%، بينما بلغت نسبة الحديث عن المرجعية الإيديولوجية أخفض معدل بـــ06.72%.

1-5- الحركات الدينية في المغرب

تعددت الجماعات الدينية التي تناولها الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة في الحلقة الخاصة بالمغرب، حيث تم تناول الجماعات الدينية التالية حسب ما سوف يظهر في الجداول:

الجدول رقم (08) يوضح: معدل ظهور مؤشرات جماعة العدل والإحسان في المغرب في برنامج نقطة ساخنة-محل الدراسة-

التكرار / جماعة العدل والإحسان	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	12	%27.27
المرجعية الإيديولوجية	06	%13.63
العلاقة مع السلطة المغربية	20	%45.45
العلاقة مع الجماعات الإسلامية الأخرى	06	%13.63
المجموع	44	%100

استحوذت هذه الجماعة الدينية – أي العدل والمساواة- على الاهتمام الأكبر من بين الجماعات الدينية الأخرى في المغرب التي تناولها الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة، ويتضح ذلك من خلال حجم الاهتمام بها، حيث كانت هذه الجماعة الرئيسية التي تم التركيز عليها. وقد استحوذت علاقة هذه الجماعة الدينية بالسلطة المغربية على نسبة كبيرة من الاهتمام قدرت بـــ: 45.45%، بينما قدرت نسبة الاهتمام بالخصوصية الثقافية والاجتماعية بـــ27.27%، في حين جاء الاهتمام بمرجعيتها الإيديولوجية منخفضا نوعا ما، حيث قدرت النسبة بـــ: 13.63%، وهي النسبة ذاتها التي تم بها الاهتمام بعلاقة هذه الجماعة بالجماعات الدينية الأخرى في المغرب.

الجدول رقم (09) يوضح: معدل ظهور حركة التوحيد والإصلاح في المغرب في برنامج نقطة ساخنة-محل الدراسة-

التكرار / حركة التوحيد والإصلاح	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	10	%34.48
المرجعية الإيديولوجية	10	%34.48
العلاقة مع السلطة المغربية	09	%31.03
المجموع	29	%100

تعتبر جماعة العدل والمساواة من بين الجماعات ذات الانتشار داخل المغرب وقد أولاها برنامج نقطة ساخنة الوثائقي أهمية معتبرة، وهو ما يتضح من خلال عرض نتائج الجدول أعلاه، حيث يوضح هذا الأخير اهتمام البرنامج بالخصوصية الثقافية والاجتماعية وكذا المرجعية الإيديولوجية بنسب متساوية قدرت بـــ: 34.48%، كما تم التعرض لعلاقة هذه الجماعة الدينية بالسلطة المغربية بنسبة هامة قدرت بـــ: 31.03%.

الجدول رقم (10) يوضح: معدل ظهور مؤشرات حزب العدالة والتنمية في المغرب في برنامج نقطة ساخنة-محل الدراسة-

التكرار / حزب العدالة والتنمية	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	02	%25
المرجعية الإيديولوجية	02	%25
العلاقة مع السلطة المغربية	08	%45.45
المجموع	12	%100

من بين الجماعات الدينية الأخرى التي تناولها البرنامج محل الدراسة نجد جماعة أو حزب العدالة والتنمية، وقد جاء الاهتمام بها ضعيفا مقارنة بالجماعات الدينية الأخرى وهو ما يوضحه عدد التكرارات والنسب المرصودة حولها. وقد تم التركيز أثناء تناول هذه الجماعة من قبل صانع الفيلم الوثائقي على علاقة تلك الجماعة بالسلطة المغربية، وذلك بنسبة تقدر بـــ: 45.45%، بينما قدرت نسبة الاهتمام بالخصائص الثقافية والاجتماعية بـــ:25%، وهي النسبة ذاتها التي تحصلت عليها المرجعية الإيديولوجية لهذه الجماعة الدينية.

الجدول رقم (11) يوضح: معدل ظهور مؤشرات الجماعات الإسلامية المسلحة في المغرب في برنامج نقطة ساخنة-محل الدراسة-

التكرار / الجماعات الإسلامية المسلحة	العبارة الصريحة	
	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	05	%41.66
المرجعية الإيديولوجية	04	%33.33
العلاقة مع السلطة المغربية	03	%25
المجموع	12	%100

تم التركيز في الفيلم الوثائقي محل الدراسة على الجماعات المسلحة في المغرب ولو بنسبة ضئيلة مقارنة بالجماعات الأخرى كما يبدو من خلال الجدول. وقد تم التركيز في عرضها على خصوصيتها الثقافية والاجتماعية بنسبة قدرت بـــ: 41.66%، بينما جاء الاهتمام بمرجعيتها الإيديولوجية بنسبة أقل قدرت بـــ: 33.33%، في حين أقل نسبة على الإطلاق كانت لعلاقة هذه الجماعات المسلحة مع السلطة المغربية وقدرت بـــ: 25%.

1-6- السنغال بين العلمانية والصوفية

الجدول رقم (12) يوضح: معدل ظهور الجماعة الصوفية في السنغال في برنامج نقطة ساخنة-محل الدراسة

التكرار / الجماعة الصوفية	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الخصوصية الثقافية والاجتماعية	46	%46.91	00	00
المرجعية الإيديولوجية	00	%00	10	%100
العلاقة مع السلطة السنغالية	40	%41.66	00	%00
العلاقة مع العلمانيين	16	%16.66	00	%00
المجموع	96	%100	10	%100

يظهر هذا الجدول مدى اهتمام برنامج نقطة ساخنة الوثائقي بالجماعة الدينية الصوفية في السنغال، ويتبدى هذا الاهتمام من خلال عناصر عديدة أهمها الخصوصية الثقافية والاجتماعية، حيث كانت النسبة عن طريق العبارات الصريحة تقدر بـــ: 46.91%، بالإضافة إلى علاقة هذه الجماعة بالسلطة السنغالية والتي قدرت نسبة الاهتمام بها بـــ 41.66%، في حين كان الاهتمام بتناول علاقتها بالعلمانيين بدرجة أقل، حيث قدرت نسبتها بـــ 16.66%، أما المرجعية الإيديولوجية فقد كان الاهتمام بها من خلال العبارات الإيحائية، بنسبة 100%.

ولمزيد من التوضيح نعرض البيانات الواردة في الجدول رقم(10) من خلال التمثيل البياني الآتي:

شكل رقم (03) : يوضح نسبة تكرارات مؤشرات التحليل بالنسبة للعبارات الدالة المعبرة عن الجماعة الصوفية في السنغال في برنامج نقطة ساخنة "محل الدراسة".

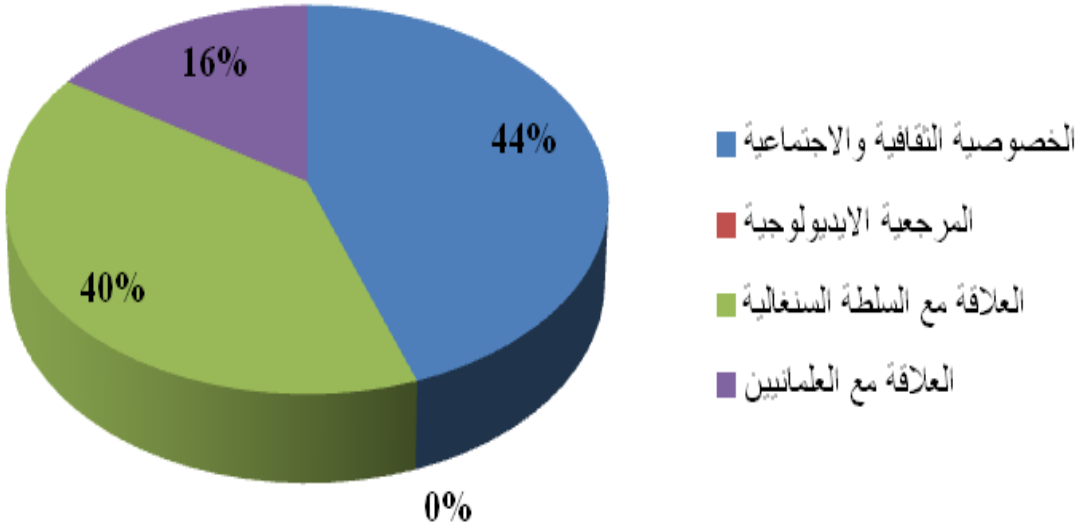

2. فئات السمات

2 .1. سمات الشخصيات المنتمية للجماعات الدينية

الجدول رقم (13) يوضح: معدل ظهور سمات الشخصيات التي ظهرت في المعالجة الإعلامية لبرنامج نقطة ساخنة الوثائقي

الفئة وعناصرها / التكرار	التكرار	النسبة
إرهابيون	28	%23.33
شهداء	08	%06.66
مجاهدون	20	%16.66
مقاومون	15	%12.50
رهبان	10	%08.33
يؤمنون بالخرافات	07	%05.83
متطرفون	30	%25
المجموع	120	%100

يظهر الجدول أعلاه أن سمات الجماعات الدينية متنوعة بتنوع تلك الجماعات، والسمة البارزة التي أوضحها صانع الفيلم الوثائقي هي: سمة التطرف بنسبة 25%، أما سمة الإرهاب فقد جاءت في المرتبة الثانية بنسبة: 23.33%، في حين جاءت سمة الجهاد ثالثة بنسبة قدرت بـــ: 16.66%، لتأتي بعدها سمة المقاومة بنسبة قدرت بـــ: 12.50%، ثم جاءت سمة الرهبنة بنسبة قدرت بـــ:08.33%، وفي المرتبة الأخيرة نجد سمة الإيمان بالخرافات بنسبة لا تتجاوز: 05.83%.

معدل تكرارات السمات الشخصية للحركات الدينية التي ظهرت في برنامج نقطة ساخنة

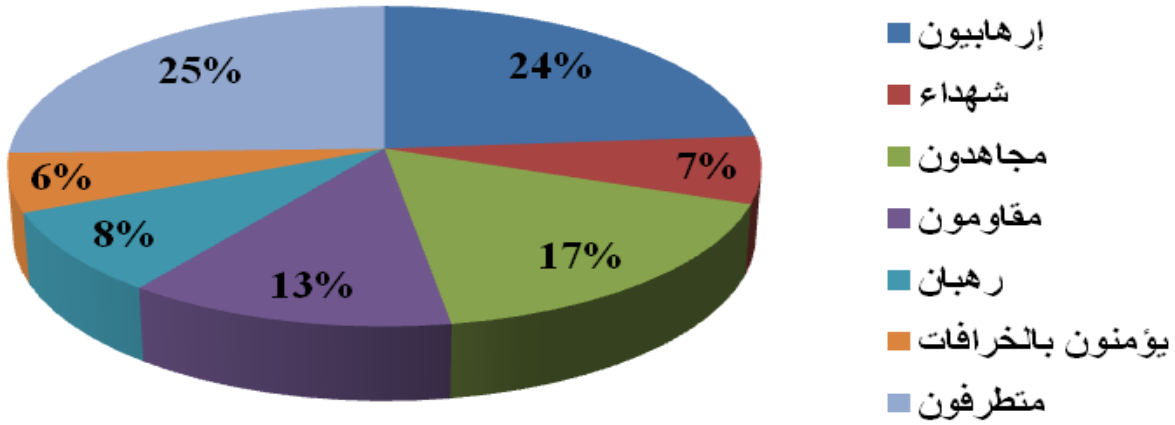

3 . فئة المصدر

الجدول رقم (14) يوضح: أنواع المصادر الإعلامية للحركات الدينية في الحلقات المختارة من برنامج نقطة ساخنة.

التكرار / الفئة وعناصرها	التكرار	النسبة
باحثون وأكاديميون	14	%17.94
أعضاء من الجماعات الدينية	38	%48.71
رجال دين	4	%05.12
إعلاميون	8	%10.25
سياسيون تابعيين للسلطة	4	%05.12
مصادر مجهولة	8	%10.25
المجموع	78	%100

يتضح من الجدول أعلاه الاعتماد الكبير لصانع الفيلم الوثائقي على أعضاء الجماعات الدينية كمصدر هام للمعلومات حول تلك الجماعات، وقد قدرت نسبته بـــ: 48.71. كما كان الاعتماد على الباحثين والأكاديميين في مختلف المجالات بنسبة قدرت بـــ: 17.94. كما شكل الإعلاميون مصادر وشواهد حول المواضيع المتناولة وقد وصلت نسبة اعتماده عليهم إلى: 10.25%. وهي النسبة ذاتها التي اعتمد فيها على مصادر مجهولة. ولإحداث نوع من التوازن والحفاظ على الموضوعية كان اعتماد الصانع على سياسيين ومسؤولين تابعين للسلطة ولو بنسبة منخفضة والتي قدرت بـــ:05.12% .

4 . فئة الاتجاه

4. 1 الجدول رقم (15)يوضح: مؤشرات فئة اتجاه معد ومقدم برنامج نقطة ساخنة لحزب الله

التكرار / الفئة وعناصرها	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
مؤيد	08	%72.72	15	%78.94
معارض	00	00	00	00
محايد	03	%27.27	04	%21.05
المجموع	11	%100	19	%100

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة في هذه الحلقة الخاصة بحزب الله، ورغم محاولاته كي يبدو محايدا، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، حيث يظهر من خلال النتائج أنه كان مؤيدا لهذا الحزب بالعبارات الصريحة بنسبة عالية قدرت بـــ: 72.72%، في حين كان محايدا بنسب أقل، حيث قدر حياده بالعبارات الصريحة بـــ: 27.27%، أما بالعبارات الإيحائية فقد كان تأييد "أسعد طه" لحزب الله مقدرا بنسبة:78.94%، ومحايدا بنسبة قدرت بـــ: 21.05%. ولمزيد من التوضيح نعرض البيانات الواردة في الجدول رقم (13) من خلال التمثيل البياني الآتي:

شكل رقم (04) نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة حزب الله

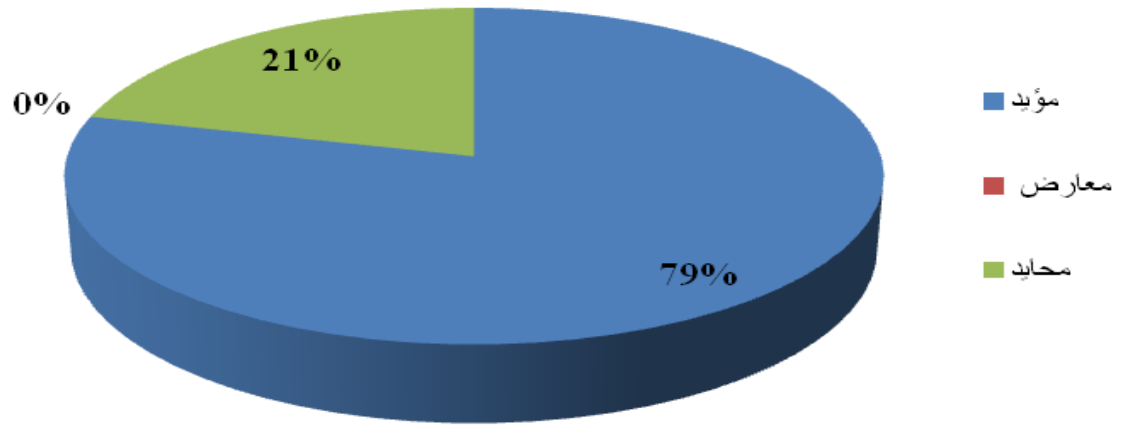

2.4 الجدول رقم (16) يوضح: مؤشرات فئة اتجاه معد ومقدم برنامج نقطة ساخنة بالأصولية الهندوسية

التكرار / الفئة وعناصرها	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
مؤيد	00	00	00	00
معارض	02	100	13	%100
محايد	00	00	00	00
المجموع	02	%100	13	%100

يظهر اتجاه صانع الفيلم الوثائقي تجاه الجماعة الهندوسية المتطرفة واضحا من خلال الجدول أعلاه، حيث كان معارضا لهذه الجماعة بالعبارات الإيحائية والصريحة بنسبة قدرت بـــ: 100%. ولمزيد من توضيح البيانات الواردة في الجدول رقم (14) نستعرض التمثيل البياني الآتي:

شكل رقم (05) يوضح: نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة **الأصولية الهندوسية**

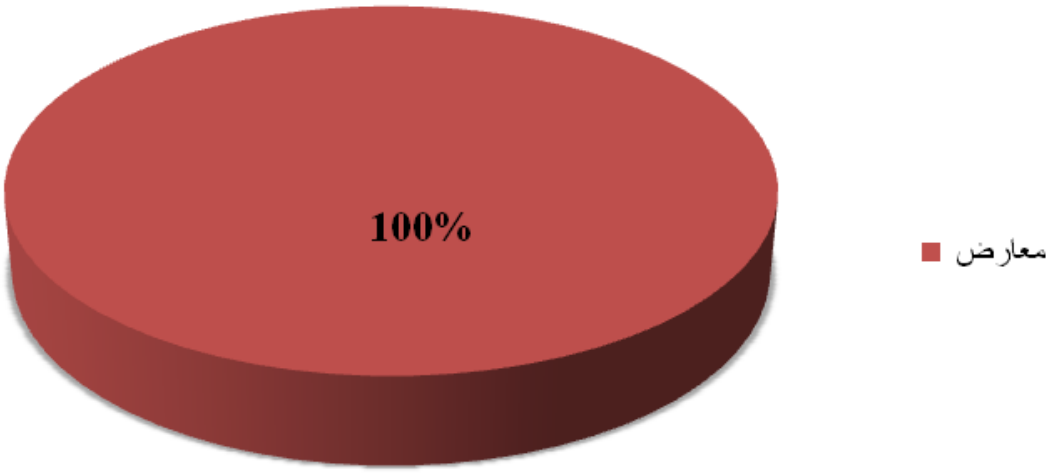

3.4 الجدول رقم (15) يوضح: مؤشرات فئة اتجاه معد ومقدم برنامج نقطة ساخنة للجماعة البوذية بالتبت

التكرار / الفئة وعناصرها	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
مؤيد	01	%33.33	07	%77.77
معارض	01	%33.33	01	%11.11
محايد	01	%33.33	01	%11.11
المجموع	03	%100	09	%100

يوضح هذا الجدول أن صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة، لم يكن اتجاهه واحدا فيما يتعلق بالجماعة البوذية في التبت، بل تعددت اتجاهاته بتعدد مواقف هذه الجماعة. وبالعبارات الصريحة لم تكن تتجاوز: عبارة واحدة سواء كمعارض أو مؤيد أو محايد، بنسبة قدرت بـــ 33.33%. وعموما كان الصانع مؤيدا لهذه الجماعة بعبارات إيحائية بنسبة قدرت بـــ77.77%، بينما كان معارضا لها أحيانا أو محايدا بالنسبة ذاتها والتي تقدر بـــ 11.11%. ولمزيد من توضيح البيانات الواردة في الجدول رقم (15) نورد التمثيل البياني الآتي:

شكل رقم (06): **نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة للجماعة البوذية بالتبت**

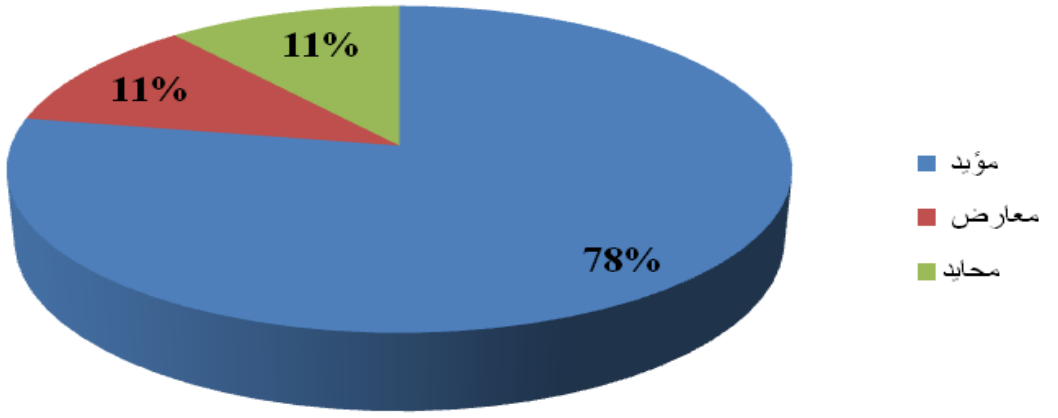

4.4 الجدول رقم (16): مؤشرات فئة اتجاه معد ومقدم برنامج نقطة ساخنة بالحركات الدينية في اندونيسيا

التكرار / الفئة وعناصرها	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
مؤيد	00	00	**00**	**00**
معارض	00	00	14	%82.35
محايد	04	%100	3	%17.64
المجموع	04	%100	17	%100

أما فيما يتعلق بالفيلم الوثائقي الخاص بالجماعات الدينية في أندونيسيا فكان اتجاه الصانع محايدا صريحا بنسبة 100%. وتارة أخرى إلى معارضتها إيحائيا بنسبة قدرت بـــ: 82.35%، فيما كان محايدا إيحائيا بنسبة أقل قدرت بـــ: 17.64%، ولمزيد من توضيح البيانات الواردة في الجدول رقم (16) نستعرض التمثيل البياني الآتي:

شكل رقم (07): **نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الحركات الدينية في أندونيسيا**

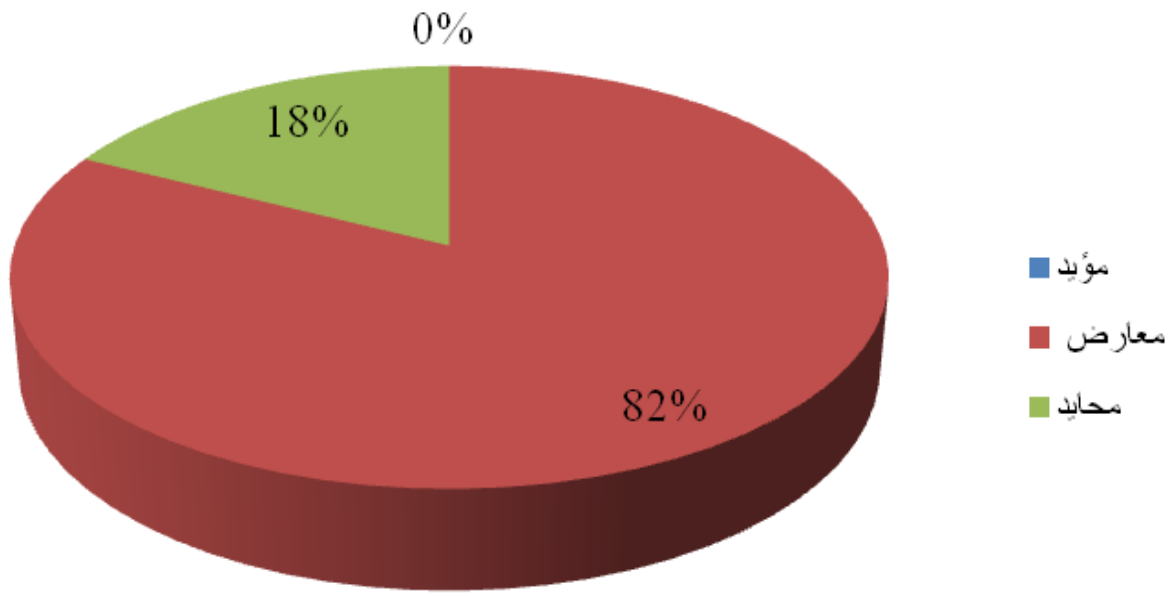

5.4 الجدول رقم (17): يوضح مؤشرات فئة اتجاه معد ومقدم برنامج نقطة ساخنة بالجماعات الإسلامية في المغرب.

التكرار / الفئة وعناصرها	العبارة الصريحة		العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
مؤيد	01	%33.33	05	%33.33
معارض	01	%33.33	03	%20
محايد	01	%33.33	07	%46.66
المجموع	03	%100	15	%100

يظهر الجدول أعلاه أن اتجاه الصانع نحو الجماعات الدينية بالمغرب ليس واحدا، وهذا يعود في الأساس لتنوع الجماعات الدينية بهذا البلد، حيث كانت العبارات الصريحة قليلة الظهور في هذا الفيلم الوثائقي حيث لم تتجاوز هذه العبارات ثلاثة، موزعة بين المؤيدة والمعارضة والمحايدة بنسب متساوية قدرت بـــ33.33% . وعموما جاء الاتجاه –معارضا أو محايدا إيحائيا– بنسب متساوية قدرت بـــ 38.88%، في حين ظهر تجاه الصانع مؤيدا إيحائيا بنسبة تقدر بـــ: 22.22%، ولمزيد من توضيح البيانات الواردة في الجدول رقم (17) نطلع على التمثيل البياني الآتي:

شكل رقم (08): نسبة تكرارات مؤشرات تحليل فئة الاتجاه الإيحائي الخاص بحلقة الجماعات الإسلامية في المغرب

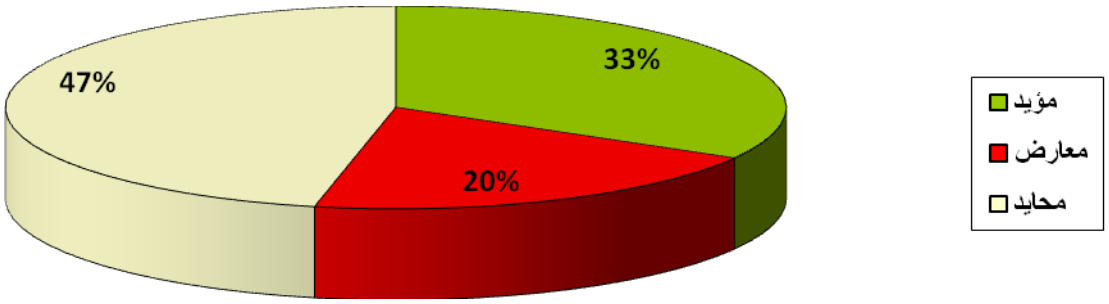
33%
20%
47%
مؤيد
معارض
محايد

6.4. الجدول رقم (18): يوضح مؤشرات فئة اتجاه معد ومقدم برنامج نقطة ساخنة بالصوفية والعلمانية في السنغال

التكرار / الفئة وعناصرها	العبارة الإيحائية	
	التكرار	النسبة
مؤيد	00	00
معارض	05	%100
محايد	00	00
المجموع	05	%100

كما يتضح من خلال الجدول أعلاه فإن اتجاه الصانع لم يكن واضحا في هذا الفيلم الوثائقي بل اقتصر ظهوره على معارضته لهذه الجماعة الصوفية بعبارات صريحة قدرت نسبتها بـــ: %100.

ثالثا. تحليل النتائج الخاصة بمضمون برنامج نقطة ساخنة

من خلال العرض السابق يتبين لنا أن برنامج نقطة ساخنة اهتم بالجماعات الدينية في معالجته. حيث خصص لها إحدى عشرة حلقة وقد تناولنا بالتحليل ست حلقات من بين خمسة وأربعين حلقة هي مجموع الحلقات التي قدمت في إطار البرنامج.

كما يلاحظ بالنظر إلى المواضيع التي استقطبت اهتمام هذا البرنامج أن الحركات الدينية في المغرب قد حظيت بأكبر تكرار كالآتي:

الجدول رقم (19) يوضح: ترتيب الجماعات الدينية من حيث اهتمام برنامج نقطة ساخنة- محل الدراسة- بها:

الفئة	التكرار
الهندوسية المتطرفة	143
الجماعات الإسلامية في أندونيسيا	138
الجماعة البوذية بالتبت	119
الجماعة الصوفية في السنغال	106
الجماعات الدينية بالمغرب	97
حزب الله	92

فباستعمال القياس الترتيبي يتضح الفرق المعتبر القائم بين تكرارات فئة الجماعة الأصولية الهندوسية (143) ثم الجماعات الإسلامية في أندونيسيا (138)، لتليها الجماعة البوذية بالتبت (119)، فالجماعة الصوفية في السنغال(106)، ثم الجماعات الدينية بالمغرب (97)، ليكون حزب الله في المرتبة الأخيرة (92).

وفي الفيلم الوثائقي الخاص **بالجماعة بالأصولية الهندوسية** التي كان لها أكبر عدد من التكرارات (143) ركز صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة على التعريف بهذه الجماعة التي تمثل ثمانين بالمائة من سكان الهند، من حيث الخصوصية الثقافية والاجتماعية، حيث ركز على التعريف بها من حيث نشأتها وشعاراتها التي تمتد للقرن السابع عشر ولكن هذه الحركة بصفتها الحالية الآن، وجدت سنة 1924م عندما نشأت حركة R.S.S. وكان التركيز على تكوينها البشري وتوزعه في الهند. كما تم الاهتمام بهذه الجماعة من حيث مرجعيتها الإيديولوجية التي تتقاطع في أحد وجوهها مع النازية ويظهر ذلك من خلال شعار النازية، الذي تعتمده وتضعه على لافتات مبانيها. وقد عبّر الصانع عن ذلك بقوله: "وهم الذين تعاطفوا مع (هتلر)، وهم الذين منحوا الحركات الفاشية الأوروبية شعارها الأشهر "الصليب المعقوف" الذي كنت أراه في كل مكان". كما تستمد هذه الجماعة توجهها الإيديولوجي من الصهيونية وتناصرها فيما تقوم به من جرائم ضد الإنسانية في حق الشعب الفلسطيني. كما حاز

الحديث عن العلاقة التي تربط الهندوسية المتطرفة مع الجماعة الإسلامية على اهتمام صانع الفيلم الوثائقي، وتجدر الإشارة إلى أن الجماعة الإسلامية في الهند تمثل أكبر أقلية في العالم بتعداد سكاني يصل إلى أكثر من مائة وخمسين مليون نسمة. وظهر من خلال حديث للجماعة الهندوسية تاريخ حافل مع الجماعة المسلمة قبل الإستقلال وبعده، حيث تعاونت مع الإنجليز ضد المسلمين دافعة لإستقلال باكستان ثم بانغلاداش ليصبح المسلمون في الهند أقلية مقارنة بالهندوس. كما دخلت كلتا الجماعتين في حرب أهلية راح ضحيتها الملايين. والملاحظ كذلك أن الهندوسية المتطرفة تسيطر على الحياة السياسية بتهميش باقي الأقليات خاصة المسلمين، في حين كان حديثه عن علاقة هذه الجماعة المتطرفة ماضيا وحاضرا بالسلطة الهندية، حيث تطرق لقتلها للماهاتما غاندي، وسيطرتها على الحكم في البلاد.

وفي الفيلم الوثائقي الخاص **بالجماعات الدينية في أندونيسيا** التي حظيت بـــ: (138) تكرار حاول الصانع تبيان حقيقة الإسلام الممارس في إندونيسيا، حيث يقول في هذا الصدد: "الحقيقة التي أدركناها لاحقا تفيد أن الفهم الإندونيسي يحصر الدين في خانة العبادات وسلامة النفس، وليس من حرج أن تتعارض المسلكيات الحياتية مع أساسيات الدين، حتى أن العصاة يتوقفون لتأدية الصلاة قبل أن يعودوا مرة أخرى إلى معصيتهم".

ليتناول بعد ذلك الجماعات الإسلامية في أندونيسيا وأكثرها تأثيرا في المجتمع، ومن أهم تلك الجماعات جماعة نهضة العلماء، وهي أكبر جماعة إسلامية في العالم بأعضائها المقدر عددهم بحوالي: 30 مليون نسمة، وقد أسست عام 1926، والحقيقة أنها ليست تنظيما حزبيا بالمعنى المعروف بقدر ما هي مظلة يتجمع تحتها عدد كبير من علماء الدين ومريديه، وهي تتركز بشكل أساسي في جزيرة جاوه في أواسط المدارس الدينية، وبشكل عام ليست للجماعة إستراتيجية سياسية أو فكرية تنظم مواقفها.

وهذه الجماعة لا ترى ارتباطا أو علاقة مباشرة بين الدولة وأيديولوجيا الإسلام، فترى أن تأثير الدين الإسلامي يجب أن لا يتعدى المواطن ليتجاوز سياسة الدولة ويحدد إيديولوجيتها.

وبعد **جمعية نهضة** العلماء تأتي الجمعية المحمدية التي تؤكد خارطة حركات الإسلام التقليدي في إندونيسيا أنها أكثر تنظيما وحركية، وهي التي أسست عام 1912 لتكون بذلك أقدم الحركات الإسلامية العاملة في الساحة، ويقدر أعضاؤها بـــ25 مليون عضو، تعتمد في عملها على قطاع التعليم وإنشاء المدارس، أمين الريس يعد هو الأب الروحي للجمعية المحمدية. ويتزعم حزب الأمانة الوطني، وهو متهم بالبراغماتية.

ويعتبر مذهب (البانكاسيلا) هو المبدأ الذي يشكل جوهر الدستور الأندونيسي ويتضمن خمس ركائز أساسية، وهي الوحدانية والإنسانية والوحدة الوطنية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية. ووفق هذا المبدأ فإن الدستور يعترف على قدم المساواة بالإسلام والمسيحية والبوذية والهندوسية رغم أن المسلمين يشكلون السواد الأعظم من السكان(حولي 90%)، ومن هنا كان رفض الحكومة لأي دعوة لتأسيس دولة إسلامية باعتبار أن ذلك يشكل تهديدا مباشرا للوحدة الوطنية وهي الأطروحة التي تبنتها بإخلاص الجماعات الإسلامية التقليدية السابقة.

وفيما يتعلق **بالجماعات الإسلامية الجهادية في أندونيسيا** فقد نالت هي الأخرى حيّزا مهما من الفيلم الوثائقي، حيث تم التعرض للجماعة الإسلامية المسماة المعهد المؤمن، ومقرها كان بإحدى ضواحي مدينة (سولو) ويعتبر الشيخ "أبي بكر باعشير"، القائد الروحي للجماعة الإسلامية، التي يقول الأمريكيون إنها على علاقة بتنظيم القاعدة، وإنها تخطط لاستهداف المصالح الأمريكية في منطقة جنوب شرقي آسيا.

وقد تعرض "باعشير" لمضايقات شديدة في بلاده بلغت أقصاها عام 1985 حين حوصر معهده من قبل الجيش ما دفعه إلى الهرب إلى ماليزيا. وبعد سقوط نظام سوهارتو عاد "باعشير" ليؤسس مجلس مجاهدي أندونيسيا الذي يحتل موقعه على خريطة الجماعات الإسلامية الجهادية في البلاد، وشعار حركته هو الدعوة والجهاد، مؤكدا أن ما يفعله هو تعليم التلاميذ الجهاد كما بين القرآن والسنة. كما جاء في السياق التالي: "لأن الجهاد لإقامة الدين، لإعلاء كلمة الله، عندما نحن، عندما هؤلاء يهاجموننا نحن ندفع طبعاً..نحن ندافع..ندافع عن ديننا وندافع عن أنفسنا، إذا كان هؤلاء يهاجموننا بالحجة، ندافع بالحجة وأما بالسلاح طبعا نحن ندافع بالسلاح هذا هو الجهاد".

كما نجد **جماعة الجبهة الدفاعية الإسلامية** التي تحتل مكانها على خريطة الجماعات الجهادية والمتهمة بممارسة الإرهاب، وهي حركة صغيرة نشأت عام 1999 تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معتمدة منهجا مخالفا للجماعات الإسلامية الأخرى. فهي تعمل على محاربة المعاصي ومرتكبيها في الميدان، بالنصيحة أولا ثم بالتحطيم والتكسير..بعد ذلك. وقد قامت هذه الجماعة بمهاجمة السفارة الأمريكية أثناء حرب أفغانستان، وهددوا بقتل أي إسرائيلي يدخل جاكرتا.

بالإضافة إلى **جماعة لسكر جهاد** التي ظهرت على الساحة الأندونيسية عام 1999، بعد تعرض المسلمين في جزر الملوك لمذابح بشعة على يد المسيحيين من أبناء المنطقة الراغبين في الانفصال، وراح ضحية هذه المذابح آلاف المسلمين. ولسكر جهاد والتي تعني ميليشيات الجهاد وجدت في الصمت الحكومي عذرا كافيا لتؤدي الدور المفقود لحماية المسلمين في جزر الملوك، ولأنها أدت هذا الدور بصورة أو بأخرى، ولأنها أكثر الحركات الجهادية التزاما بخيار القوة، فإنها أكثرها اتهاما بالإرهاب. وزعيم الجماعة هو جعفر عمر طالب، البالغ من العمر 39 عاما، وقد صادف تصوير هذا الفيلم الوثائقي في جاكرتا قيام السلطات الأندونيسية باعتقاله وإيداعه السجن وفق ظروف يحسد عليها من قبل الحركات الإسلامية في العالم العربي، حيث يستقبل أتباعه من حين لآخر داخل السجن ويلتقي أيضا زعماء الحركات الإسلامية الأخرى حتى أن نائب رئيس البلاد زاره في سجنه، كما يسمح له بالخروج لأداء صلاة الجمعة، ما دعا البعض إلى اتهام الحركة بأنها تتلقى دعما من الجيش، وهو ما ينفيه أعضاؤها.

وأفرد صانع الفيلم الوثائقي حيزا مهما للحديث عن علاقة الجماعات الدينية في أندونيسيا بالولايات المتحدة الأمريكية، من خلال سياسة مكافحة الإرهاب التي تتبعها بعد الحادي عشر من سبتمبر وانعكاساتها على أندونيسيا. من خلال السياق التالي: "مكافحة الإرهاب في بعض الأحيان حق يراد به باطل، وفي أكثر الأحيان عصا أمريكية غليظة تهدد كل من تسول له نفسه العصيان أو تستهويه دعاوى السيادة الوطنية والحقوق الإنسانية، الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت بنجاح أن توظف أحداث سبتمبر كأداة طيعة لها تعيد بها صياغة الكرة الأرضية لصالحها غير عابئة بما تسببه من حرج لحكومات موالية لها، أندونيسيا مثالا. المنطق الأمريكي يقر بخصوصية التعامل مع أكبر دولة إسلامية في العالم، لكنه يقفز –في الوقت ذاته– على الكثير من الوقائع والحقائق لقاء ما يسمى بالمصالح العليا".

ومن بين الجماعات الدينية المسلحة الأخرى التي تناولها الفيلم الوثائقي في أندونيسيا جماعة حزب العدالة، وهي عبارة عن حزب أسس عام 1998، والذي يصنف ضمن التيار الإسلامي، الحركي المنطلق من فهم شمولي للإسلام، والمعتمد على الدعوة إلى إصلاح المجتمع، واستقطاب أنصاره، وهو أقرب إلى أسلوب عمل حزب الرفاه التركي وجماعة الإخوان المسلمين. ورغم قصر تاريخه السياسي، وقلة أعضائه نسبيا إلا أن له دورا بارزا في الشارع، وقادر على تحريكه في الأزمات السياسية، ويحظى باحترام الأحزاب السياسية الأخرى، وحتى المؤسسات الأمنية.

ويوضح صانع الفيلم أنه يمكن فهم العلاقة بين الجماعات الإسلامية المسلحة بالسلطة الأندونيسية من خلال فهم الإشكالية المعقدة التي تواجهها الحكومة الأندونيسية، فمن ناحية لا تريد أن تدخل في مواجهة مع الحركات الإسلامية، اتقاء لنفوذها القادر على إثارة الشارع وهز دعائم الحكم، ومن ناحية أخرى لا تريد أن تغضب الطرف الأمريكي، الذي يمارس ضغوطا على الحكومة ويقايضها برفع الحظر المفروض على جيشها بعد أحداث تيمور الشرقية مقابل أن يلعب الجيش دورا في مكافحة الإرهاب.

أما عن **الجماعة البوذية في التبت** والتي حظيت (119) تكرارا فقد كان التركيز فيها من قبل الصانع على الخصوصية الثقافية والاجتماعية، وذلك من خلال الحديث عن مميزات التبت: موقعا ومساحة وعددا وتاريخا وكيف تمت تسمية "لاسا" عاصمة التبت بأرض الرهبان ومدينة الشمس، حيث البوذية هي دينهم منذ أن وصلتهم في منصف القرن السابع، ويرون الحياة من خلالها دورة من التقمص والولادات الجديدة، وهي–أي البوذية– ركيزة أساسية وقوية عند شعب التبت، الذي يحاول أن يعيش حياته بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ضمن نطاق فهمه لها. كما شمل الفيلم الوثائقي أيضا التركيز على شخصية الدالاي لاما الذي يعتبر حسب الصانع دائما، "نصف إله في نظر شعبه من البوذيين، مناضل في نظر العالم الذي منحه جائزة نوبل للسلام قبل عشر سنوات، مكروه من قبل السلطات الصينية التي تأمل أن ينفرط عقد القضية التبتية بوفاته".

واهتم الصانع كذلك بالحديث عن علاقة التبتيين بالسلطة الصينية المسيطرة على إقليم التبت والضغوط الصينية على شعب التبت لتغيير خريطتها الديمغرافية. بالتركيز على معاناة أهل التبت وحقيقة محاولة تغيير هويتهم بداية بالعرض للموقف الصيني من الحل السياسي للتبت. ومحاولة الصين ضرب النسيج الديموغرافي التبتي بتوطين الصينيين وفرض سياسة تحديد النسل على أهل التبت الذين يشكل الرهبان نصفهم تقريبا. كما اهتم الصانع بعرض تصور الدلاي لاما للحل النهائي لمشكلة التبت المعتمد على الأساليب السلمية في إيصال معاناة شعبه والرافض لاستخدام العنف حتى عن طريق الإضراب عن الطعام، وهو ما لا يستسيغه الجيل الجديد من التبتيين ويتمرد عليه. بالإضافة للحديث عن حقيقة اختطاف خليفة الدلاي لاما، وحياة اللاجئين التبتيين في الهند وتفسير تزايد عددهم يوما بعد يوم، خاصة بعد قيام السلطات الصينية بغض الطرف عن فرار التبتيين إلى الهند لأنه يصب في مصلحتها. كما شغلت قضية زيارة الدالاي لاما لإسرائيل اهتمام الصانع للتعرف على الهدف منها، والتعرف على التوجه الإيديولوجي لهذه الجماعة الدينية تجاهه.

وتظهر نتائج الفيلم الوثائقي حول **الجماعة الصوفية في السنغال** والتي قدر عدد تكراراتها (106) تركيز الصانع على التعريف بهذه الجماعة وخصوصيتها الثقافية والاجتماعية. غريب أمر السنغاليين صحيح أن التدين سمتهم لكن لهم قدرة عجيبة على دمج الخرافة مع المعتقد منذ أن كانوا يعبدون النار والنصب والأصنام وإلى أن وصلهم الإسلام على يد التجار والطرق الصوفية حوالي القرن العاشر الميلادي من خلال سطوة الطوائف الصوفية، كما أشار إلى أن الطرق الصوفية في السنغال متعددة لكن أهمها التيجانية والمريدية والقادرية واللاينية، وكل واحدة منها لها طقوسها المميزة واستحقاقاتها المالية التي تلزم بها أتباعها. والطريقة المريدية هي التي يدين لها الرئيس بالولاء.

كما ركز على علاقة العلمانيين والإسلاميين بالسلطة، حيث تحدث عن التحالف غير المعلن بين العلمانيين وشيوخ الطرق الصوفية والذي بسببه ينتقد الصوفيون أشد انتقادا، وكيف أن السياسة تستغلهم وهم لا يستطيعون أن يستغلوها لصالحهم أنفسهم ولا لصالح الإسلام، كما حدث عند إقرار البرلمان قانوناً بإلغاء حكم الإعدام ضمن قوانين أخرى تحكم المعاملات العامة يراها المستعربون مخالفة للشريعة والحقيقة أن الصوفيين غير معنيين بمسألة قوانين المعاملات في الإسلام وهو يولون اهتماما كبيرا للعبادات.

بالإضافة إلى ذلك تحدث الصانع عن التوجه الإيديولوجي للجماعة الصوفية أثناء الاستعمار الفرنسي وبعده فقامت الطريقة أو الطرق الصوفية بدور كبير في محاربة الاستعمار فمن ذلك دور شيوخ مثل عمر الفوتي والشيخ أحمد البامبا وغيره من كبار زعماء الطرق. في الخمسينيات والستينيات القرن الثامن عشر، لكن الاستعمار نجح في أوائل القرن العشرين وحتى رحيله في ترويضهم بل بات لهؤلاء الشيوخ دورا أساسيا في مساندة السلطات الاستعمارية، حيث كانوا يحثون الشعب على دفع الضرائب ويدفعون بالشباب إلى المشاركة في الحروب إلى جانب فرنسا.

كما انصب اهتمام الصانع أيضا على علاقة الجماعة الصوفية مع السلطة السنغالية بالإشارة إلى التناقض الواضح بين استفادة السياسيين من الطريقة وعدم استفادة الطريقة منهم، كما لا يمكن أن يمر أي شيء بدون إشارة الشيوخ حتى في قيام حكومة لا بد من الاتصال بكبار الشيوخ واستشارتهم في تعيين فلان إلى آخره.

أما في الفيلم الوثائقي المتعلق **بالجماعات الدينية في المغرب** والتي حظيت بـــ: (97) تكرارا فقد اهتم الصانع بالتعريف بمدينة فاس وكيف ارتبط المغرب بالإسلام تاريخيا، مبينا خصوصية الإسلام في المغرب على المستوى الشعبي والرسمي. وموضحا الموقع الهام الذي تحتله الصوفية على الخريطة الدينية في المغرب، حيث تنتشر الزوايا الصوفية في مختلف أنحاء البلاد، وتنتشر معها أشكال التدين الصوفي المتعددة، غير أن تاريخ المغرب يشهد أن هذه الزوايا الصوفية كانت تتجاوز أحيانا دورها الروحاني إلى أدوار سياسية كدعم حركة المقاومة ضد الاستعمار، أو دعم سلطان الدولة، وقد عرف عنها خصوصية العلاقة التي نشأت بينها وبين المؤسسة الملكية.

كما تعرض الصانع في هذا الفيلم الوثائقي إلى كثير من الجماعات الدينية المتواجدة في المغرب، واحتلت جماعة العدل والإحسان بنشاطها وأسباب حضرها الحيّز الأكبر من هذا الفيلم، فهي جماعة محظورة رسميا ومصنفة كأكبر الجماعات الإسلامية في المغرب ومتهمة بالتحضير لتحرك شعبي على شاكلة الثورة الإسلامية في إيران. مؤسسها ومرشدها الشيخ عبد السلام ياسين، المولود عام 1928، الذي تعرض للسجن والمضايقات الكثيرة من قبل السلطة، رفقة الكثير من مؤيديه. وهو ذو ثقافة صوفية بدأ مسيرته الحركية عام 1979 مع ظهور العدد الأول من مجلة الجماعة، تلك التي تشكلت حولها النواة المركزية لحركته التي جاهرت باسمها عام 1987. وللشيخ العديد من المؤلفات غير أن كتابه "المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا" الصادر عام 1982 يشكل المرجعية الإيديولوجية المركزية لجماعة العدل والإحسان، وفيه أولى المسألة التنظيمية اهتماما خاصا خلال الفصل الرابع من هذا الكتاب، وعرض لأفكاره الدعوية والتربوية ومفاهيمه للإسلام الصحيح.

وفيما يخص العلاقة بالسلطة تعتبر السيدة نادية ابنة الشيخ عبد السلام ياسين مؤسس الجماعة، وهي إحدى الكوادر النسائية المهمة في الجماعة، وقد برز اسمها على الساحة الإعلامية والسياسية خلال فترة الإقامة الجبرية لوالدها، وكان لها دور مهم في تقوية نفوذ القطاع النسائي حيث تحتل المرأة 20% من مقاعد مجلس الشورى للجماعة كما تشمل الأمانة العامة ثلاث نساء من أصل تسعة أعضاء: "نحن مراقبون، ليس لدي الحق في جواز سفر لا أنا ولا أسرتي الصغيرة، هناك إخوة يقضون عشرين سنة سجنا بتهم ملفقة، والدي أدى سنتين سجنا، أربع سنوات في مستشفى المجانين، عشر سنوات حصار، ولا يزال إخواننا يؤدون الثمن الكثير فيما يخص وظائفهم، وحياتهم الشخصية، يعني هناك مضايقات مستمرة رغم الصورة الديمقراطية الذي يريد أن يمررها النظام للخارج".

ومن بين الجماعات الدينية الأخرى في المغرب التي عرض لها الصانع نجد، حركة التوحيد والإصلاح، والتي تأسست عام 1983 على يد عبد الإله بن كيران، وقد كانت تعرف باسم الجماعة الإسلامية ليستبدل لاحقا باسم حركة الإصلاح والتجديد، وفي عام 96 توحدت الحركة مع رابطة المستقبل الإسلامي ليشكلا ما عرف باسم حركة التوحيد والإصلاح، وانطلاقتها في إطار فكر الإخوان المسلمين.

ثم جماعة العدالة والتنمية وتعتبر الواجهة الحزبية التي اختارها تيار من جماعة التوحيد والإصلاح والذي اختار في البداية حزبا معزولا عن الحياة السياسية منذ السبعينيات، وهو الحركة الشعبية الدستورية ليقرر الاندماج فيه، ويقرر الطرفان خلال مؤتمر استثنائي عام 96 تشكيل قيادة جديدة للحزب باسم حزب العدالة والتنمية.

وفي علاقتها مع السلطة المغربية فقد حكمتها الانتخابات غالبا، وفي انتخابات سبتمبر عام 2002 مثلا سلطت الأضواء على حزب العدالة والتنمية وربما على الحركة الإسلامية بكاملها، فقد كانت المرة الأولى في المغرب التي يفوز فيها حزب إسلامي باثنين وأربعين مقعداً من أصل ثلاثمائة وخمسة وعشرين مقعدا برلمانيا، رغم أنه لم يشارك إلا في 60% من الدوائر الانتخابية ليأتي في الترتيب ثالثاً بعد أكبر الأحزاب الحاكمة.

لينتقل الصانع بعد ذلك للجماعات الإسلامية المسلحة في المغرب وبالتحديد الجماعة السلفية الجهادية وقائدها الشيخ أبو حفص. في سيدي مؤمن بمدينة الدار البيضاء الذي يعد كغيره من مدن الصفيح أحد معاقل الحركات الإسلامية، ما يجعل البعض يوجه الاتهامات إلى هذه الحركة، ويبرر تزايد شعبيتها وشعبية غيرها من الجماعات الإسلامية، باستغلالهم الأزمة الاقتصادية التي تعيشها البلاد لكسب ثقة الغالبية الفقيرة. وهي جماعة متهمة من قبل السلطة بأن العنف هو الآلية الرئيسية لها وأنها منتمية للقاعدة، وبأنها أيضا معادية للديمقراطية.

وعموما يمكن القول بأن الجماعات الإسلامية في المغرب ترمي بالكرة في ملعب الحكومة، وتقول أنها ضحية العنف، وليست المسببة له، وتستشهد على ذلك بما يشهده المغرب من اعتقالات ومحاكمات جائرة وخروقات لأبسط حقوق الإنسان، فضلا عن المضايقات التي يتعرض لها المنتسبون لهذه الحركات في المؤسسات التعليمية أو الوظيفية.

وبخصوص الفيلم الوثائقي **حزب الله** الذي حظي بـــ: (92) تكرارا ركز الصانع على الأجواء التي سبقت ولادة جماعة حزب الله فقد كان تركيزه على أدبيات نشأة هذه الجماعة التي كانت تشكل طرفا من حركة أمل، التي كانت تحتكر التمثيل السياسي لشيعة لبنان والذين يمثلون غالبية الجنوب، وذلك احتجاجا على قرار زعيم الحركة نبيه بري بالمشاركة في هيئة الإنقاذ الوطني، التي اعتبرها المنقسمون أداة لتمرير مشاريع أمريكية وإسرائيلية في المنطقة. وتعود البداية الحقيقية لهذا الحزب أو الجماعة إلى ما بعد الاجتياح الإسرائيلي سنة 1982. وبدأت عمليات المقاومة الفعلية له في الشهر العاشر لسنة 1983 بنسف مقري القوات الأمريكية والفرنسية ومقتل حوالي ثلاثمائة من جنودهما في حادثة اعتبرت شكلا مستحدثا في مقاومة العدو، لتتوالى العمليات الاستشهادية بعد ذلك.

وعموما يتضح التوجه الإيديولوجي لحزب الله من خلال بيان قيام حزب الله الذي جاء فيه: "إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم، نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائع، وتتجسد حاضرا بالإمام المسدد آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني –دام ظله– مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة. وعلى هذا الأساس فنحن في لبنان لسنا حزبا تنظيميا مغلقا، ولسنا إطارا سياسيا ضيقا، بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين في كافة أنحاء العالم برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام. الذي أكمل الله رسالته على يد خاتم أنبيائه محمد –صلى الله عليه وسلم– وارتضاه للعالمين يتعبدون به."

كما حاول الصانع توضيح التوجه الإيديولوجي لجماعة حزب الله من خلال التركيز على الدعم الإيراني والسوري لحزب الله. كما شمل التركيز كذلك تعاظم نفوذ حزب الله في لبنان في الحياة المدنية.

وبخصوص علاقة جماعة حزب الله بالسلطة اللبنانية فقد أوضح الفيلم الوثائقي أن هذه الجماعة أو الحزب مندمج في النسيج الاجتماعي والاقتصادي في لبنان، وهو ما شجعه على تفعيل عمله السياسي معتمدا على أن الوعاء السياسي في لبنان يسع هذا الحزب الذي يحمل خصائص ومناهج قد تبدو في الظاهر غريبة وجديدة على تقاليد السياسة اللبنانية. وفي العموم فإن ممارساته السياسية تفيد أنه أصبح شريكاً في العملية السياسية، وهو يقول أن ما يفعله لا يتجاوز كسر موقف المقاطعة من دون التخلي عن موقف المعارضة، فمثلا نواب حزب الله يحرصون على القيام بدراسات وتقديم أفكار، وليس مجرد معارضة شكلية أو لفظية حيث كانوا يطرحون برامج وأفكار.

وقد نالت العلاقة التي تحكم حزب الله بالعدو الإسرائيلي اهتماما بالغا من قبل الصانع، حيث ركز على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي كأساس المشروع العسكري لحزب الله. مبينا مختلف الآليات التي يعتمدها الحزب في تكريس هذه الإستراتيجية المقاومة، خاصة من خلال حرب الاستنزاف التي يشنها عليه.

أما عن المصادر التي اعتمدها معد البرنامج فيقر أسعد طه في العديد من حلقات الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة اعتماده على ضيوف الحلقات من باحثين وأكاديميين وعناصر منتمية للمجموعات التي يتحدث عنها. وهو ما وضحه في العديد من السياقات ومنها ما جاء في الفيلم الوثائقي الخاص بالجماعة الأصولية الهندوسية: ".. وسوف نرصد المعطيات القائمة التي تهيئ بيئة مناسبة للانفجار، ونستطلع آراء الناس، غير أننا سوف نتجنب الحديث إلى الرسميين والمسؤولين، مادمنا نرغب في الحصول على الأبعاد الحقيقية للصورة، والتي نأمل أن ينجح **المتخصصون والخبراء** في نقلها لنا كاملة".

ويتضح من خلال الجدول الخاص بالمصادر الاعتماد الكبير لصانع الفيلم الوثائقي على أعضاء الجماعات الدينية كمصدر هام في الحديث، خاصة حول الجماعات ذاتها من حيث نشأتها وخصوصيتها الثقافية والاجتماعية ومرجعيتها الإيديولوجية، وكذا في علاقتها بالسلطة. مثل الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله والعديد من المنتمين للحزب من مجاهدين وسياسيين وأهالي شهداء..، والرئيس السنغالي عبد الله واد..

كما كان الاعتماد على الباحثين والأكاديميين في التاريخ والاقتصاد والمحللين السياسيين معتبرا من طرف صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة، حيث ساهم هؤلاء المتخصصين بمعلوماتهم وتحليلاتهم في توضيح الكثير من النقاط في الحلقات محل الدراسة، كما اهتم صاحب الفيلم الوثائقي بالإعلاميين كمصادر وشواهد حول المواضيع المتناولة، كما اعتمد على مصادر مجهولة كانت عبارة عن إصلاحات، ولإحداث نوع من التوازن والحفاظ على الموضوعية كان اعتماد الصانع على سياسيين ومسؤولين تابعين للسلطة ولو أنه لم يوفق في ذلك بالنظر إلى تدني النسبة المعبرة عنها.

وبخصوص فئة الاتجاه الذي اتخذه الصانع في الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة فلم يكن واحدا في جميع الحلقات، وإنما اختلف باختلاف الجماعات الدينة وباختلاف مواقف هذه الجماعات من مختلف

القضايا. وهو ما سوف نلاحظه من خلال تحليل فئة الاتجاه في الحلقات محل الدراسة. وفي الحلقة الخاصة **بالجماعة الأصولية الهندوسية** فقد غلب على اتجاه صانع الفيلم الطابع المعارض بعبارات إيحائية وذلك من خلال السياقات التالية: "الأصولية الهندوسية المتطرفة عميقة الجذور ومن بوسعه أن ينسى أن أصحابها هم الذين قتلوا المهاتما غاندي..، وهم الذين تعاطفوا مع هتلر، وهم الذين منحوا الحركات الفاشية الأوروبية شعارها الأشهر "الصليب المعقوف" الذي كنت أراه في كل مكان."

وفي السياق التالي: "..ربما مكانة الهند معافاة من ظاهرة داء التطرف الهندوسي، لو كان أصحاب هذه الظاهرة استجابوا يوما لنصيحة مؤسس الدولة الهندية "جواهر لال نهرو" الذي قال: "على الهند أن تتخلى عن الكثير من ماضيها، وألا تسمح له بالسيطرة على حاضرها..".

كما يظهر اتجاه الصانع المعارض للأصولية الهندوسية من خلال السياقات التالية: "نحن إذن الآن في منطقة (حزام البقرة)، وبالمناسبة فإن ربع مليون بقرة تعيش معززة مكرمة في أنحاء الهند، بسبب اعتبار الهندوس لها فصيلة مقدسة من الحيوانات، وتكريما لها تدفن عند موتها، على عكس الإنسان الذي يحرق لدى وفاته، ولا يجرؤ أحد على الحد من حركتها أو إزعاجها، هكذا كنت أراها في كل مكان حرة مدللة، ولا أعرف لماذا تذكرت للحظات الأبقار التي لدينا، الكادحة بطبيعة الحال..".

أما خلال الفيلم الوثائقي حول **الجماعات الدينية في أندونيسيا** فقد ظهر اتجاه الصانع مختلفا باختلاف مواقف الجماعات الدينية، مثل موقف رئيس جمعية نهضة الإسلام عبد الرحمن واحد، الذي يرى بأن الدولة ليست له علاقة بأيديولوجينا الإسلام. يظهر اتجاه الصانع الرافض لهذا المواقف وغيره من خلال السياقات التالية: "بغض النظر عن الموقف من هذا الرأي، فإنه يبدو غريبا باعتبار أنه صادر من مرجعية دينية، وفضلا عن موقفه من علمانية الدولة، فإن للرجل آراء تثير من حيث لآخر دهشة الجميع، وهو لا يتردد مثلا في الدعوة إلى إقامة علاقة مع الكيان الصهيوني وإقامة علاقات وطيدة مع رموزه.."

وتظهر معارضته لجماعة الجبهة الدفاعية الإسلامية من خلال السياقات التالية: "..الملاحظ أن هذه العناوين البراقة والفضفاضة المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية لا تواكبها –كحال أغلب الجماعات الإسلامية– أي أطروحات أو برامج تهدف إلى تنفيذ هذه العناوين، وتحويلها إلى واقع حي قادر على الخروج بالبلاد من أزماتها السياسية والاقتصادية، وإنما يظل أداء الحركة انفعاليا وسطحيا.."

كما كان الصانع محايدا في الكثير من السياقات بعبارات صريحة وأخرى إيحائية كما تظهره السياقات التالية: "..ولأن الاعتقاد السائد أن ما يجري إنما هو بضغوط أمريكية، فإن حالة الغضب تصب جامها على الولايات المتحدة، حتى لا يجد البعض حرجا من الجهر بالتهديد باستهداف المصالح الأمريكية في المنطقة.."

وفيما يخص الجماعة البوذية بالتبت فقد غلب على اتجاه الصانع سمة التأييد لهذه الجماعة، وذلك من خلال السياقات التالية: "أما بالنسبة لنا في العالم العربي والإسلامي ففضلا عما تمثله قضية التبت من نضال سياسي لحق تقرير المصير، فإنها تعكس إشكالية نعيشها ألا وهي (الدين والسياسة)".

وفي سياق آخر: "ومن المضحكات المبكيات قصة الطفل (جادهوم شوكاي)، الذي تتهم الحكومة الصينية باختطافه، وهو المرشح لمنصب (البانشين لاما) أي خليفة (الدلاي لاما) الحالي.."

ومن بين السياقات الأخرى التي يؤيد فيها الصانع أيضا الجماعة البوذية في التبت نجد السياق التالي: "الديمقراطية، والحريات العامة، والتعددية الدينية والسياسية، وحق تقرير المصير أحلام لن تحقق في التبت قبل أن تتحقق في الصين نفسها، الزمن جزء من العلاج، صحيح في أحيان كثيرة، وفي أحيان أخرى هو الداء، في عالم يتشدق بهذه القيم، لكنه لا يتحركُ نصرة لها إلا على وقع أقدام القوة".

وتظهر في الفيلم الوثائقي بعض السياقات الأخرى المعبرة عن الاتجاه المحايد ومنها: "مهما اختلف في رسم المواقف السياسية لطرفي النزاع، ومهما تباينت الآراء بشأن ترجيح كفة أحد الطرفين على الآخر، فإن المعاناة الإنسانية تبقى محل إدانة الجميع أو هكذا يجب أن تكون."

ويظهر من خلال الفيلم الوثائقي الخاص بالجماعة البوذية في التبت أن هناك اتجاها معارضا اتخذه الصانع تجاه زيارة الدالاي لاما لإسرائيل مرتين: "فقيامه بزيارتين للكيان الصهيوني عام 1994 وعام 1999م كانتا بمثابة مفاجأة، على الأقل بالنسبة لنا –معشر العرب– كون الزيارة دعما لكيان يحتل أراضي الغير، وهي نفس الحالة التي يقول (الدلاي لاما): "إن شعبه ضحية لها".

كما ظهر اتجاه صانع الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة واضحا في الحلقة الخاصة **بالجماعة الصوفية بالسنغال**، حيث كان معارضا تماما لهذه الجماعة من خلال العبارات الإيحائية، وذلك من خلال السياقات التالية: "غير أن ما يلفت انتباهك هنا هو اهتمام الناس بأمر الصلاة وهي مسألة يستوي فيها الجميع في أي وقت وفي أي مكان ستجد من يؤدى الفريضة..أما الكتاب التقليدي بتلاميذه الصغار وألواحه العتيقة وشيخه الجليل فتجده في كل مكان..لكن احذر أن تعتقد أن ذلك يعكس التزاما دينيا عاما أو صحوة إسلامية فالأمر في أغلب الأحوال لا يعدو أن يكون شكلا من أشكال التدين التقليدي.."

وكذلك من خلال السياق التالي: "على كل حال فإن هذا التحالف بين الصوفيين والعلمانيين ليس إلا واحدا من غرائب المشهد السنغالي.."

أما في الفيلم الوثائقي الخاص **بالجماعات الدينية بالمغرب** فيظهر فيها الصانع باتجاهات مختلفة تتماشى واختلاف الجماعات الدينية وكان الاتجاه المعارض متساويا مع الاتجاه المحايد من خلال العبارات الإيحائية، ويظهر الاتجاه المعارض للسلطة والتيار العلماني والمؤيد بالتالي للجماعات الإسلامية بالمغرب من خلال السياقات التالية: "التيار العلماني في عمومه، يضع كافة فصائل الحركة الإسلامية في كِفة واحدة، ومن ثم يعمل على إدانة الجميع، الذي يؤمن بالديمقراطية والذي يكفر بها، الذي يؤمن بالعنف والذي يعاديه، والمشكلة أنه قرر أن تكون مفاهيم الديمقراطية هي نفسها مفاهيم الغرب، دون تحريف أو إضافة أو حذف أو مواءمة للمنظومة الفكرية والعقائدية في بلادنا".

ويظهر اتجاه الصانع المؤيد أيضا في السياق التالي: "الإنصاف يدفعنا إلى الإقرار بوجود فصيل علماني في المغرب، يتسق مع أفكاره المعلنة، ينسجم مع آرائه، ولا يقع في تناقض معها، فهو يناصب الحركة الإسلامية العداء، لكنه يدافع عن حقها في الوجود والتعبير عن نفسها.."

في حين كان اتجاه صانع الفيلم في الفيلم الوثائقي حول **جماعة حزب الله** ورغم محاولاته الحياد إلا أن اتجاهه في غالب الأحيان كان مؤيدا لهذه الجماعة وفق ما جاء في العديد من السياقات ومنها: "إن قائمة الإرهاب وتصنيف الإرهابيين آخذ في التمدد بشكل مخيف، يكاد يشمل أبسط منطلقاتنا العقائدية والثقافية وعلى اختلاف انتماءاتنا الفكرية..هذا التصنيف للإرهاب وللإرهابيين ليس مبنيا على ما تعارف عليه الناس الطبيعيون، ولكنه مبني على كل ما ومن يهدد الأطماع الإسرائيلية والأمريكية في بلادنا".

كما يظهر الاتجاه المحايد للصانع في عدة سياقات مثل: "الرموز الإيرانية تعكس ولاء غير محدود وتفسر دعما واسعا لعب ومازال دورا كبيرا في تأسيس حزب الله وترسيخ موقعه في المجتمع

اللبناني، وكان سببا وجيها –بلا شك– لتوجيه الانتقاد واللوم، والتشكيك كذلك في طبيعة الدور الذي يقوم به حزب الله على الساحة المحلية والإقليمية، والتساؤل عما إذا كان حزب الله علاجا إيرانيا لعلة لبنان، وبالغ البعض في التشكيك في وطنيته، والاستفسار استهجانا فيما إذا كان حزب الله حزبا لبنانيا بدعم إيراني، أم حزبا إيرانيا في لبنان؟.

وفيما يخص فئة السمات فقد تنوعت هي الأخرى بتنوع الجماعات الدينية وانتماءاتها الثقافية والجغرافية..، وهو الأمر الذي سيتضح تباعا من خلال عملية التحليل وعرض السياقات الخاصة بكل حلقة من الأفلام الوثائقية. وفي الفيلم الوثائقي المتعلق **بالجماعة الأصولية الهندوسية** فقد كانت سمة التطرف هي المميزة، ويظهر ذلك من خلال السياقات التالية: "الأصولية الهندوسية المتطرفة عميقة الجذور ومن بوسعه أن ينسى أن أصحابها هم الذين قتلوا المهاتما غاندي". وأيضا في السياق التالي: "رأي المؤسسة الدينية يخالف –بلا شك– رأي الأحزاب الهندوسية المتطرفة وعلى رأسها منظمة الخدمة الذاتية القومية المؤسسة عام 1929م، والمعروفة اختصارا باسم R.S.S وهي آخر منظمة باقية في عالم اليوم تقريباً من المنظمات التي قامت بمحاكاة النازية.."

"..أدبيات الأصولية الهندوسية المتطرفة تعتبر أن الهندي هو الهندوسي حصرا وحكما، وأن الأمة الهندية هي أرض ودين وسلالة في آن واحد، وأن الدولة التي نشأت قبل نصف قرن ملوثة باختلاط، ينبغي تطهير أمنا الهند منه...هذه الحركة المتطرفة التي ذهب وفد منها إلى إسبانيا لدراسة كيف تم استئصال المسلمين من ديار الأندلس؟ تقوم أدبياتها على اعتبار أن المسلمين في الهند هم المسؤولون عن كل مشاكلها، وأن عليهم الرحيل عن البلاد، وأن للمسلم فقط مكانين باكستان أو القبر، ولتواصل حملتها المتشددة تجاه الآخرين، وخصوصاً المسلمين، استطاعت هذه الحركة أن تستجلب الدعم المادي من الجاليات الهندية في الخارج، وحتى في دول الخليج العربي".

فئة السمات إرهابيون "..ولكن من الهند والحقيقة أن هذا النوع من الرؤية هي رؤية فاشية، ولذلك نفهم لماذا قاموا بالتجارب النووية، إنهم يقصدون إرهاب العالم الخارجي رغم سذاجتهم الشديدة فيها يتعلق بالسياسات الدولية".

أما فيما يتعلق **بالجماعات الإسلامية في أندونيسيا** فكان الإرهاب السمة البارزة التي وسمت بها هذه الجماعات، خاصة الجهادية منها والمسلحة مثل ما يظهر من خلال السياقات التالية: "ليبقى

همنا الحركات الإسلامية المتهمة بأنها جعلت من أندونيسيا مركزا للإرهاب في جنوب شرق آسيا وهو ما يدفع بنا لأن نتحسس واقع الحال في أندونيسيا أكبر دولة إسلامية في العالم، بين الحركات الإسلامية وبين الحروب الأمريكية المعلنة ضد الإرهاب". وفي سياق آخر: "ولأننا منصاعون للنظام الدولي الجديد، فإننا بذلنا جهدا لا بأس به، بحثا عن أي أثر للإرهاب قيل إن أندونيسيا باتت حاضنة له في جنوب شرقي آسيا، وكم فرحنا عندما وجدنا صورة بن لادن منقوشة على قميص هذا الصبي وهو ما يعد –وفق الصخب الإعلامي السائد الآن– دليلا دامغا على الإرهاب".

وتظهر سمة الإرهاب كذلك في سياقات أخرى منها: "عندما توجهنا إلى جماعة المعهد المؤمن بإحدى ضواحي مدينة (سولو) كان كل ما يشغل الخاطر كيف يبدو هذا الرجل المسمى بالشيخ أبي بكر باعشير، والذي تشير إليه أصابع الاتهام على أنه القيادة الروحية للجماعة الإسلامية، التي يقول الأمريكيون إنها على علاقة بتنظيم القاعدة. وإنها تخطط لاستهداف المصالح الأمريكية في منطقة جنوب شرقي آسيا.."

كما وسمت إحدى الجماعات الإسلامية في أندونيسيا بأنها تؤمن بالخرافات وهو ما جاء في بعض السياقات مثل: "..فضلا عن انتشار السحر والخرافات والأفكار المنحرفة..ومن الواضح أن هذه الجماعة أو غيرها تمارس دعواها الباطلة في حرية تامة".

وفي الحلقة الخاصة **بالجماعة البوذية في التبت** نجد أن السمة البارزة التي وُسم بها أعضاؤها هي سمة الرهبنة، وهو ما يظهر من خلال السياقات التالية: "فأهل التبت هم شعب من الرهبان" وفي سياق آخر: "الدين لدى أهل التبت هو منطلق حياتهم، فإن الاضطهاد الديني يمثل لهم أقسى أنواع الاضطهاد".

كما تظهر سمة الرهبنة في العديد من السياقات الأخرى ومنها: "شعب التبت ليس بحاجة لسياسة تحديد النسل، لأن عددا كبيرا منهم من الرهبان الذين لا يتزوجون، ورغم ذلك فقد كانوا ضحية عمليات الإجهاض والتعقيم الإجباري.."

فئة السمات فيما يتعلق **بالجماعة الصوفية بالسنغال** فقد رأى الصانع بأن متبعيها يؤمنون بالخرافات وذلك من خلال السياقات التالية: "إن نمط الإيمان الصوفي وتقاليده هو الغالب هنا، ولا يزال للمعتقدات والسلوكيات الهندوسية والبوذية أثر –ولو بسيط– في حياة الناس الدينية هنا، فضلاً عن انتشار السحر والخرافات والأفكار المنحرفة، وقد زرنا هذه الجماعة التي يدَّعي رئيسها أنه المهدي

المنتظر وأنه على اتصال دائم بجبريل –عليه السلام–. ومن الواضح أن هذه الجماعة أو غيرها تمارس دعواها الباطلة في حرية.."

ومن خلال متابعة الفيلم الوثائقي المتعلق **بالجماعات الدينية بالمغرب** نلاحظ بأن السمة الأكثر انتشارا لوسم بعض الجماعات الدينية هي سمة الإرهاب، ويظهر ذلك من خلال سياقات عديدة منها: "اتهام موجه إلى الجماعات الإسلامية بأن العنف هو الآلية الرئيسية لها، وأن حديثها عن الديمقراطية ليس إلا ادعاء، أي أنها تظهر غير ما تبطن، فهل هو المشهد العبثي الذي يجعل الديمقراطيين هم الإقصائيون الذين يحاسبون الناس على ضمائرهم ويقررون سلفا شكل أعمالهم المتوقعة أم أنه الوعي بطبيعة الحركة الإسلامية واعتمادها على العنف".

كما تبدو سمة الإرهاب من خلال السياقات التالية: "القانون المغربي الذي هو القانون الداخلي مع الاتفاقية العربية لمحاربة الإرهاب التي وقع عليها المغرب سنة 1998، بحيث في هذه التعديلات أخذنا بالتعريف الحرفي لما ورد في الاتفاقية العربية لمحاربة الإرهاب،..وتخرج من هذا التعريف حركات التحرير والمقاومة المشروعة من أجل الدفاع عن الاستقلال وعن حريات كل بلد". في وصف صريح لوزير العدل المغربي لتلك الجماعات بالإرهاب.

وفيما يتعلق بالفيلم الوثائقي حول **جماعة حزب الله** من برنامج نقطة ساخنة فالإرهاب كان إحدى السمات التي وسمت بها هذه الجماعة، إلى جانب سمات: المقاومة والاستشهاد والجهاد. وفي ما يرتبط بالسمة الأولى –الإرهاب– فقد ظهرت في الكثير من جوانب الفيلم الوثائقي مثل ما يظهر من خلال السياقات التالية: "الضاحية الجنوبية للعاصمة بيروت إحدى معاقل حزب الله، أتفرس في وجوه الناس الذين هم في العموم جمهوره، أي قاعدة وأنصار هذا التنظيم الذي ضمته الولايات المتحدة الأمريكية إلى قائمة شملت ثلاثين منظمة إرهابية على مستوى العالم".

أما سمة المقاومة فقد ظهرت مرات عديدة خلال الفيلم الوثائقي، وهو الأمر الذي تظهره بوضوح السياقات التالية: "نستطيع أن نقول أن حزب الله هو..هو حركة مقاومة." "..وبلغة الأرقام فإن قراءة للمعدلات العامة السنوية لإجمالي عمليات المقاومة تظهر المنحى التصاعدي لهذه العمليات، والتي بلغ متوسط معدَّلها في الفترة من عام 89 إلى عام 91 مائتي واثنين وتسعين عملية، في مقابل أربعمائة وخمسة وستين عملية، في الفترة بين عام 92 إلى عام 94، في حين بلغ متوسط الأعوام الثلاثة الأخيرة من عام 95 إلى عام 97 تسعمائة وستة وثلاثين عملية، وإجمالا فقد بلغ إسهام

المقاومة الإسلامية وحدها ما متوسطه سبعمائة وستة وثلاثين عملية..جملة من الإنجازات حققتها المقاومة في جنوب لبنان، على رأسها أنها استخفَّت بسمعة الجيش الذي لا يقهر".

كما كان الجهاد من بين السمات البارزة التي ميزت جماعة حزب الله مثل ما يظهر من خلال السياقات التالية: "حزب الله هو حركة –كما قلت– إسلامية جهادية.. قيادته قيادة لبنانية، وقواعده وكوادره هم لبنانيون، .. يقاتل دفاعا عن الشعب اللبناني، يقدم شهداء في هذا السبيل من أجل تحرير هذه الأرض.."

ومن خلال ما تظهره الكثير من السياقات فقد تكرر ذكر سمة الاستشهاد في الفيلم الوثائقي، مثال ذلك: "ووفقا لتقارير المقاومة فإن عملياتها تتوزع على الكمائن والعبوات والعمليات الاستشهادية.."، "إنها حرب حقيقية تدور كل يوم وكل لحظة، أبطالها لا يرتدون رباط العنق، ولا يسكنون الفنادق الفاخرة، ولا ينظرون أمام شاشات التلفاز، وهم كثر، منهم ذاك الرجل الذي قدم من أبنائه شهيدين..إنها ليست حالة استثنائية، فالبيوت هنا تزدان بالشهداء".

رابعا. عرض النتائج الخاصة بفئات "كيف قيل" في برنامج نقطة ساخنة

يتم عرض النتائج المتعلقة بشكل المعالجة الإعلامية للحركات الدينية من خلال برنامج نقطة ساخنة، عن طريق عرض نتائج التحليل للفئات المختارة وهي فئة الأشكال الإعلامية المساعدة في التغطية.

4-1. فئة الأشكال الإعلامية المساعدة

الجدول رقم (20) يوضح: معدل ظهور الأشكال الإعلامية المستخدمة في برنامج نقطة ساخنة-محل الدراسة-

التكرار / الفئة وعناصرها	التكرار	النسبة
مقابلة	54	%29.83
مواد أرشيفية مصورة	53	%29.28
صور	5	%02.76
وثائق مكتوبة	5	%02.76
تصوير المواقع	51	%28.17
تسجيل صوتي	13	%07.18
مقاطع موسيقية	16	%08.83
المجموع	181	%100

يظهر من خلال الجدول أن الأشكال الإعلامية أن صانع الفيلم الوثائقي استعان بأشكال إعلامية متنوعة، جاءت المقابلة في مقدمتها بنسبة تقدر بـــ:29.83% ، وقد تمت هذه المقابلات مع شخصيات هامة كما تم توضيحه سابقا، كما اعتمد الصانع أيضا وبشكل كبير تجاوز: 29.28%، ومن بين الأشكال الإعلامية الأخرى التي تم الاعتماد عليها بكثرة في برنامج نقطة ساخنة نجد تصوير المواقع والذي قدرت نسبته بـــ: 28.17%، وتأتي المقاطع موسيقية بعد ذلك بنسبة قدرت بـــ: 08.83%، كما تم الاعتماد كذلك على الوثائق المكتوبة والصور لكن بنسب ضئيلة جدا قدرت بـــ: 02.76% في الحلقات محل الدراسة من البرنامج الوثائقي نقطة ساخنة. ولمزيد من التوضيح نعرض البيانات الواردة في الجدول رقم (20) من خلال التمثيل البياني الأتي:

شكل رقم (09): يوضح نسب الأشكال الإعلامية المساعدة في المعالجة للحركات الدينية في الحلقات المختارة من برنامج نقطة ساخنة

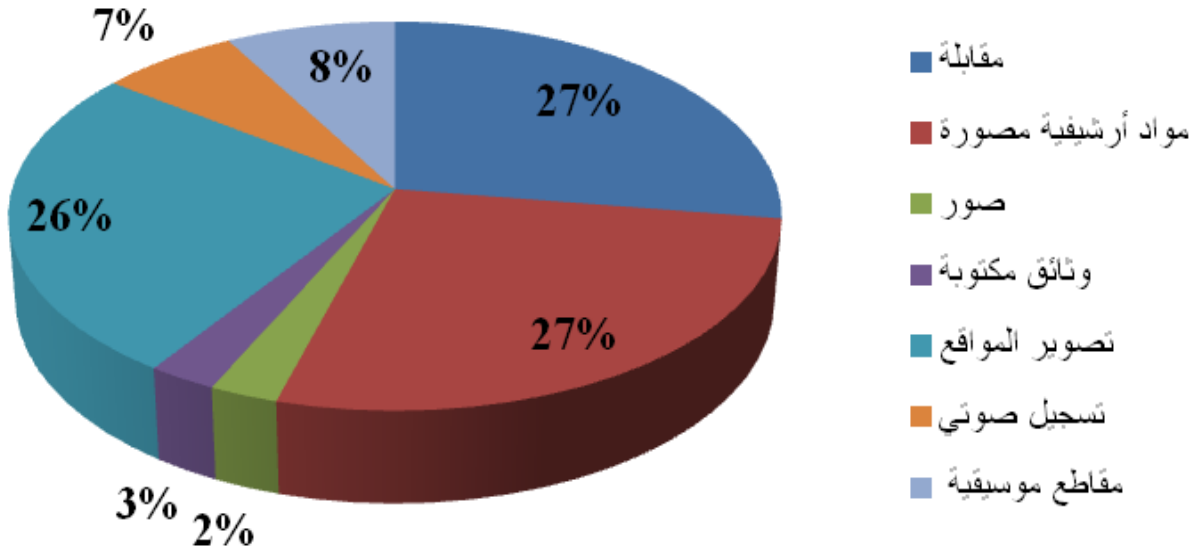

خامسا- تحليل النتائج الخاصة بفئات "كيف قيل" في برنامج نقطة ساخنة

يظهر من خلال عرض نتائج فئات الشكل أو فئات كيف قيل أنه تم الاعتماد على أشكال إعلامية كثيرة ومتنوعة، تأتي في مقدمتها المقابلة، التي اعتمد عليها الصانع بصورة كبيرة في الحصول على المعلومات حول الجماعات الدينية، ومن بين الشخصيات التي استضافها نجد: السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله، والدلاي لاما ممثل التبتيين، ورجال دين هندوس، إضافة إلى الشيخ عبد السلام ياسين المرشد العام لحركة العدل والمساواة بالمغرب، عبد الإله بن كيران مؤسس حركة التوحيد والإصلاح، الشيخ أبو حفص ممثل السلفية الجهادية في المغرب، مقابلة مع أبو بكر باعشير رئيس مجلس مجاهدي أندونيسيا، والحبيب محمد رزق شهاب زعيم الجبهة الدفاعية الإسلامية بأندونيسيا.

كما احتلت المواد الأرشيفية مكانة هامة حيث تم الاعتماد على الصور ومقاطع الفيديو الأرشيفية، خاصة أثناء الحديث عن نشأة وتاريخ الجماعات الدينية محل الدراسة، كما كان الحال مع حزب الله حيث عرض الفيلم الوثائقي للاجتياح الإسرائيلي للبنان، كما عرض أيضا مقطعا أرشيفيا لأول عملية استشهادية للمقاومة ضد القوات الفرنسية والأمريكية في لبنان. وأيضا جنازة أمين عام الحزب السابق السيد عباس الموسوي. أما في الحلقة الخاصة بالجماعة الهندوسية المتطرفة، فقد تم عرض العديد من المواد الأرشيفية أهمها: مادة أرشيفية عن تحطيم الهندوس لمسجد عتيق للمسلمين، مادة أرشيفية عن الصدامات بين المسلمين والهندوس، مادة أرشيفية عن الحرب التي سبقت انفصال باكستان. وفي الفيلم الوثائقي الخاص التبت تم الاستعانة أيضا بمواد أرشيفية مصورة واحدة حول دخول الصينيين للتبت، أما في الحلقة الخاصة بالحركات الدينية بأندونيسيا فتم عرض مادة أرشيفية للحروب ضد الاستعمار الياباني والهولندي، أما في الحلقة الخاصة بالجماعات الدينية بالمغرب فتم الاعتماد على بعض الصور والمادة الأرشيفية للتفجيرات التي عرفتها المغرب وتحديدا بمدينة الدار البيضاء، والتي استهدفت مصالح غربية وأخرى للطائفة اليهودية ليسقط أكثر من أربعين قتيلا ويصاب أكثر من مائة مواطن مغربي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وكان سقوطهم مقدمة لتسليط الضوء من جديد على ملف الجماعات الإسلامية المسلحة في المغرب.

وفي الفيلم الوثائقي الخاص بالجماعة الصوفية بالسنغال فقد اعتمد أساسا على إحدى عشرة صورة أرشيفية، بالإضافة إلى مقطعين أرشيفيين عن محاربة الفرنسيين، وآخر عن تولي الرئيس لمنصبه بعد الاستقبال.

ومن بين الأشكال الإعلامية الأخرى التي اعتمدها صانع الفيلم الوثائقي محل التناول نجد تصوير المواقع، حيث يلاحظ تركيزه –أي الصانع– على زيارة المواقع التي تقع فيها الأحداث ذات الصلة بالجماعات الدينية المبحوثة. وفي الحلقة الخاصة بحزب الله تمت زيارة العديد من المواقع منها: بعض المنشآت الخاصة بحزب الله، إذاعة النور، تلفزيون المنار، حضور تدريبات ميدانية مع مجاهدي حزب الله. وإحدى العمليات العسكرية لحزب الله ضد العدو الإسرائيلي.

وفي الفيلم الوثائقي الخاص بالجماعة الهندوسية تمت زيارة أماكن ومدن عديدة من بينها: تصوير الرموز الإسلامية تصوير المسلمين في حياتهم اليومية، مدينة أوتوبرادش معقل الهندوسية، معبد هندوسي، تصوير عملية حرق جثة هندوسية. والأمر نفسه فيما يتعلق بالجماعة الدينية البوذية في التبت، حيث تمت زيارة مواقع عدة أهمها: زيارة لمدينة لاسا عاصمة التبت، زيارة لبعض المعابد البوذية، زيارة لقصر الدالاي لاما (قصر بوتالا)، تصوير قافلة للجيش الصيني. زيارة دارم سالا منفى التبتيين والدالاي لاما، تصوير الدالاي لاما وهو يصافح زواره، زيارة لمعبد للتبتيين بالمنفى، تصوير إضراب للطعام لتبتيين احتجاجا على السياسة الصينية ضدهم. أما في الحلقة الخاصة بالجماعات الدينية بأندونيسيا تم الاعتماد بشكل كبير على تصوير المواقع حيث تم: تصوير موقع التمثالين للرئيس سوكارنو ومحمد حتى الذين أعلنا استقلال أندونيسيا، تصوير لأكبر مسجد في أندونيسيا وتصوير صلاة الجمعة، تصوير مؤتمر لجمعية نهضة العلماء، زيارة الجمعية المحمدية، تصوير تدريبات للمجاهدين الشباب، مقطع يصور اجتماعا لأعضاء الجبهة الدفاعية الإسلامية، تصوير مداهمة وتحطيم دكان لبيع الخمر من طرف أعضاء من حركة لسكر حرام، تصوير مؤتمر شعبي للحركة واعتقال زعيمها وحضوره لصلاة الجمعة، تصوير مظاهرة ضد السياسة الأمريكية في أندونيسيا.

أما في الفيلم الوثائقي المتعلق بالجماعات الدينية في المغرب فكان الاعتماد على زيارة المواقع كبيرا ومن بين تلك المواقع نجد: تصوير مسجد القرويين في فاس، تصوير مدينة فاس، تصوير ضريح مولاي إدريس، تصوير الزائرين للضريح، مقطع يصور مدرسة سيدي زوين، مقطع من اجتماع لأعضاء حزب العدالة والتنمية، تصوير لمظاهرة ضد الفقر والبطالة، تصوير اجتماع لمريدي الشيخ ياسين في بيته، حضور اجتماع للشيخ عبد السلام ياسين زيارة موقع حي الأحباس 16 مايو، تصوير حي سيدي مومن بمدينة الدار البيضاء، تصوير مدينة مراكش، تصوير ساحة الفنا، تصوير مظاهرة داعمة للشعبين الفلسطيني والعراقي.

كما تمت زيارة العديد من المواقع في الحلقة الخاصة بالجماعة الصوفية السنغال منها: زيارة المساجد الصوفية، زيارة الأولياء الصوفيون، زيارة مدرسة دينية صوفية، زيارة مدرسة حكومية، تصوير زيارة الرئيس لأحد المساجد الصوفية، تصوير جزء من صلاة الجمعة..

أما بالنسبة للمقاطع الموسيقية فقد كانت حاضرة في الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة ولو بنسة ضئيلة لكنها كانت معبرة حيث تم الاعتماد على المقاطع الإنشادية أو المدائح الدينية غالبا بما يتناسب وكل جماعة دينية، كما تم في الحلقة الخاصة بحزب الله والصوفية والهندوسية أو الحركات الدينية في المغرب..وغيرها. وكان وجود هذه المقاطع الموسيقية مساهما في إضفاء نوع من المتعة على الأفلام الوثائقية.

ومن بين الأشكال الإعلامية الأخرى التي تم الاعتماد عليها في الفيلم الوثائقي محل الدراسة نجد التسجيلات الصوتية ولو بنسبة قليلة وتم اعتمادها خاصة في الحلقة الخاصة بحزب الله حيث تم عرض تسجيل صوتي لأحد الشهداء في وصية له قبيل استشهاده، وتسجيل آخر لأحد مذيعي إذاعة النور التابعة لحزب الله..

أما فيما يخص الصور فلم يعتمد عليها الصانع كثيرا حيث اقتصرت على حلقة الجماعة الصوفية بالسنغال، وفي الحلقة الخاصة بالجماعات الدينية بالمغرب تم الاعتماد على الصور، حيث تم عرض صورتين للملك.

والأمر ذاته ينطبق على الوثائق المكتوبة حيث لم يستخدمها بشكل كبير واقتصر الاعتماد عليها في الحلقة الخاصة بالجماعات الدينية في أندونيسيا حيث تم الاعتماد على وثيقة واحدة تحمل إعلان استقلال أندونيسيا والذي تلاه سوكارنو، كما اعتمد عليها أيضا في الحلقة الخاصة بالجماعات الدينية في المغرب، حيث عرض الصانع خمسة وثائق مكتوبة..تعلق الأولى بشجرة النسب الشريف للأسرة الحاكمة في المغرب وارتباطها بالدين الإسلامي، والثانية تحدث عن مسار حركات الإسلام السياسي، والثالثة عبارة عن العدد للمجلة التابعة لجماعة العدل والإحسان، والرابعة عبارة عن مذكرة لمن يهمه الأمر أرسلها رئيس جماعة العدل والإحسان إلى الملك محمد الخامس بعد وفاة والده الحسن الثاني، ضمنها نصائح للملك لرفع المظالم واسترداد أموال الشعب وتسديد ديون المغرب، كتاب المنهج النبوي تربية وتنظيما وزحفا.

الملاحظ أن الصانع قد وفق في توظيف مختلف الأشكال الإعلامية التي استخدمها في الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة وفي مختلف الحلقات، حيث دعمت هذه الأشكال الإعلامية الموضوع الذي يقدمه، وشكلت أساليب إقناعية للجمهور المتلقي.

خلاصة:

لقد حاولنا في هذا الفصل تحليل وتفسير النتائج المتعلقة ببرنامج نقطة ساخنة من خلال عرض النتائج الخاصة بمضمون البرنامج وعرض النتائج والتحليلات الخاصة بفئات "كيف قيل" ببرنامج نقطة ساخنة، ولقد استعنا بالجداول الإحصائية المصنفة والدوائر النسبية والبيانات حسب الحاجة وخلصنا إلى جملة من النتائج سوف يرد ذكرها في الخاتمة.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكننا أن نوجز النتائج المتوصل إليها في النقاط الآتية:

من خلال ما تم عرضه في الدراسة النظرية حول الأفلام الوثائقية والبرامج التي تناولتها توصلنا إلى أن برنامج نقطة ساخنة قد اعتنى بدرجة كبيرة بظاهرة الجماعات الدينية بتنوعها الثقافي والإيديولوجي، وعلى امتدادها الجغرافي في العالم. كما اتضح لنا أن الفيلم الوثائقي عموما هو شكل إعلامي متميز، يتفق كثيرا مع البحث العلمي في كثير من الخطوات حيث يقوم على فكرة محدودة ، أو ما يمكن أن يطلق عليه مشكلة يحدد لها المخرج عنوانا يمثل اسم الفيلم ويخاطب العقل أساسا، ويعتمد في ذلك على تقديم المعلومات والبراهين والأدلة ، وقد ينفذ بعد ذلك إلى العاطفة. ويتسم بالوضوح والتوجه إلى جمهور مستهدف لتحقيق هدف محدد له بداية وله نهاية. وهو ما جسده برنامج نقطة ساخنة الوثائقي.

ومن خلال الفصل المتعلق بالجماعات الدينية توصلنا إلى أن الجماعات الدينية كثيرة ومتنوعة بكثرة وتنوع الأديان بالدرجة الأولى، وحتى داخل الدين الواحد تتعدد الجماعات الدينية بتعدد فهم المنتمين لها للدين. كما لاحظنا فيما يتعلق بالجماعات الدينية المتولدة من الدين الإسلامي أو الدين المسيحي، وحتى داخل الجماعة الواحدة هنالك تفرعات كثيرة ناتجة أساسا عن تفسيرات مختلفة للدين، كما هو الحال مع الجماعات الدينية المتفرعة من الجماعة السنية أو الجماعة الشيعية أو الصوفية..

أما النتائج الخاصة بالدراسة التحليلية وبالنظر إلى تساؤلات الدراسة والإشكالية الرئيسية لها فقد ركز الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة على العديد من الجماعات الدينية، منها جماعة حزب الله الشيعية، والتي تناولها من حيث النشأة والتركيبة الاجتماعية والثقافية والتوجه الأيديولوجي المختلف عن باقي الجماعات، كما ركز على علاقتها بالعدو الإسرائيلي وحرب الاستنزاف التي تشنها ضد هذا العدو. كما تناول الجماعة الأصولية الهندوسية، مركزا على طقوسها وثقافتها ومفردا جزء هاما من الفيلم الوثائقي للتركيز على علاقة هذه الجماعة بالجماعة المسلمة وما تعانيه هذه الأخيرة من ويلات بفعل سياسة الإقصاء والمحاربة التي تشنها ضدها تلك الجماعة الهندوسية المتطرفة.

وتناول الصانع كذلك الجماعة البوذية في التبت، مركزا في الأساس على الاضطهاد الممارس ضدها من قبل السلطات الصينية. كما تعرض صانع برنامج نقطة ساخنة أيضا للجماعات الدينية في اندونيسيا، مركزا على طبيعة الإسلام الممارس في اندونيسيا والذي يبتعد كثيرا عن الإسلام الصحيح

في كثير من الممارسات. كما ركز الفيلم الوثائقي على الجماعات الإسلامية المقبولة من قبل السلطة والأخرى المرفوضة من قبلها أي الجماعات الجهادية المسلحة.

أما فيما يتعلق بالجماعات الدينية في المغرب فقد تناول العديد من الجماعات الإسلامية بالمغرب بالإضافة إلى الجماعات المسلحة والجهادية، مركزا على توجهاتها الإيديولوجية وعلاقتها بالسلطة المغربية التي غالبا ما تتعارض معها. وفيما يتعلق بالجماعة الصوفية في السنغال فقد أفرد جزء كبير من الفيلم الوثائقي للحديث عن طبيعة الإسلام الذي تتبعه هاته الجماعة ومدى ارتباطه بالخرافات وبعده بالتالي عن الإسلام الحقيقي.

وعن المصادر المعتمدة في إنتاج الفيلم الوثائقي فقد اعتمد صانع الفيلم على ضيوف الحلقات من باحثين وأكاديين متخصصين في مختلف التخصصات، بالإضافة إلى الإعلامية ورجال السياسة، بالإضافة إلى عناصر منتمية للمجموعات التي يتحدث عنها، لتزويده بالمعلومات المختلفة.

وبخصوص فئة الاتجاه الذي اتخذه الصانع في الفيلم الوثائقي نقطة ساخنة فلم يكن واحدا في جميع الحلقات، وإنما اختلف باختلاف الجماعات الدينة وباختلاف مواقف هذه الجماعات من مختلف القضايا.

وفيما يخص فئة السمات فقد تنوعت هي الأخرى بتنوع الجماعات الدينية وانتماءاتها الثقافية والجغرافية..، وهو الأمر الذي اتضح تباعا من خلال عملية التحليل وعرض السياقات الخاصة بكل حلقة من الأفلام الوثائقية محل الدراسة وأهم السمات التي وسم بها أعضاء الجماعات الدينية نجد: إرهابيون، شهداء، مجاهدون، مقاومون، رهبان، يؤمنون بالخرافات، وأخيرا متطرفون.

في حين كانت أكثر الأشكال الإعلامية المساعدة إيرادا هي المقابلة بالدرجة الأولى ، حيث أجراها مع العديد من الشخصيات الهامة، وبالدرجة الثانية كانت المواد الأرشيفية المصورة التي استخدمها لتوضيح العديد من الجوانب التاريخية لتلك الجماعات..، كما استخدم الصانع أشكالا إعلامية أخرى بشكل أقل مثل: تصوير المواقع، مقاطع موسيقية، صور، ثم وثائق مكتوبة.

قائمة المراجع:

1- أيمن عبد الحليم نصار، **إعداد البرامج الوثائقية**، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2007.

2- أنتوني غيدنز.**عالم جامح. كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا.** ترجمة: كاظم وحسن ناظم. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. 2000.

3 - أنتوني غيدنز ، **علم الاجتماع**، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،2005.

4- أنتوني غيدنز ز، **الرأسـماليـة والنظريّة الاجتماعيّة الحديثة**، ترجمة: أديب يوسف شيش، الهيئة السورية العامة للكتاب، سوريا،2010.

5- إسماعيل صبري عبد الله وآخرون، **الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي**، ط 5. مركز دراسات الوحدة العربية المعاصرة. مكتب الشرق الأوسط. بيروت. لبنان. 2004.

6-جرجس داوود، **أديان العالم قبل الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت لبنان. 2005.

7- جوليان فروند. **سوسيولوجيا ماكس فيبر**. ترجمة: جورج أبي صالح. مركز الإنماء القومي. بيروت. لبنان. 1998

8- دينكن ميتشل، **معجم علم الاجتماع**، ترجمة: إحسان محمد الحسن، ط 2، دار الطليعة. بيروت، 1986.

9 - هربرت. أ. شيلر.**المتلاعبون بالعقول** ،ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، سلسلة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1999.

10- زيدان عبد الباقي، **قواعد البحث الاجتماعي**، ط2،. المكتبة الحديثة، القاهرة، 1974 .

11- محمد شفيق، **البحث العلمي، مع تطبيقات في مجال العلوم الاجتماعية**. المكتب الجامعي الحديث. 2005.

12- محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، دار الشروق، جدة، .1983

13- محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**. عالم الكتب.مصر.2004.

14- مجموعة من الكتاب. **نظرية الثقافة**. ترجمة. علي السيد الصاوي. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب. الكويت. عالم المعرفة.عدد: 233 .1997.

15- رحيم يونس كرو العزاوي، **مقدمة في البحث العلمي**. دار دجلة. عمان الأردن، 2008 .

16- رشدي أحمد طعيمة، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004.

17- ريتشارد بن وآخرون، **تحليل مضمون الإعلام المنهج والتطبيقات العربية**، ترجمة: محمد ناجي الجوهر، مديرية المكتبات والوثائق، الوطنية، 1992.

18- ر. بودون وف.بوريكو، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.

19- عباس محمود العقاد، **الفلسفة القرآنية**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969.

20- علي عبد الرازق جلبي وآخرون، **البحث العلمي الاجتماعي: لغته ومداخله ومناهجه وطرائقه**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.

21-عبد الله محمد عبد الرحمان، محمد علي البدوي، **مناهج وطرق البحث الاجتماعي**. دار المعرفة الجامعية. مصر..2002

22- عبد الله عبد الرحمن، **علم الاجتماع النشأة و التطور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005،

23- عبد الغني منديب، **الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب**، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

24- عامر مصباح، **منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008.

25- عزيز العظمة و آخرون. **الهوية: مفاهيم عالمية**. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان. 2005.

26-عواطف عبد الرحمان، "**قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث**"، علم المعرفة، العدد 78. يونيو ، الكويت، .1984

27- علي حسن طه. **مجتمعنا بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية**. دار الهدى. بيروت. لبنان.(بدون سنة).

28- نبيل محمد توفيق السمالوطي، **الدين و البناء الاجتماعي**، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، السعودية، 1981.

29- نبيل محمد توفيق السمالوطي، **الدين و البناء العائلي**، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، السعودية، 1981

30- نديم البيطار. **فكرة المجتمع الحديث في المذاهب السياسية والايديولجيات الحديثة**. بيروت: بيان للنشر والتوزيع والإعلام 2000.

31- ضياء الدين إبراهيم نجم، **الجماعات الاجتماعية : مداخل نظرية ومواقف تطبيقية**، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر. 2002.

المجلات:

32- أسعد طه، **صناعة الفيلم الوثائقي في العالم العربي: الواقع و التحديات**، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2. السنة 2007.

33- فرج شوشان، **صناعة الوثائقيات: من واقع الحلقة المفرغة إلى آفاق الحلقة الفاضلة**، مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية، العدد 2. السنة 2007.

34- هاجر بن نصر. **المضامين الوثائقية العربية في ظل التحولات الاجتماعية. تجربة نصر للإنتاج الفني و التوزيع مثالا**. مجلة الاداعات و التلفزيونات العربية. مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 2. السنة 2007.

35- عبد القادر بن الشيخ. **البرامج الوثائقية و التسجيلية في البرمجة التلفزيونية العربية.** إحصائيات حول الإذاعة و التلفزيون. مجلة الإذاعات العربية.

36- المنصف العياري. محمد عبد الكافي.**القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة**. اتحاد إذاعات الدول العربية. سلسلة بحوث و دراسات إذاعية. تونس. 2006.

37-سعود مهنا. **القضية الفلسطينية في البرامج الوثائقية العربية**. مجلة الإذاعات العربية . العدد 3. 2003.

38- ناهد إبراهيم سليمان أحمد. **أيّة مضامين للأفلام الوثائقي**. مجلة الإذاعات العربية. العدد3. 2003

39- محمد قيراط. **الاعلام العربي الموجه للآخر و الحوار بين الإسلام و الغرب**. جامعة الشارقة

40- عبد الرحمن عزي. **الرأسمال الرمزي الجديد: قراءة في هوية و سوسيولوجية الفضائيات بالمنطقة العربية.**

41- عبد الحفيظ الهرقام. مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 3. السنة 2003.

42 - تمار يوسف. **الإرهاب و إشكالية العمل الإعلامي**.مجلة الإذاعات العربية. مجلة فصلية يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية. عدد3-4. 2007.

43- نصر الدين العياضي. **الإعلام التلفزيوني و الإرهاب: قناعات و اختيارات**. . مجلة الإذاعات و التلفزيونات العربية. مجلة فصلية يصدرها إتحاد إذاعات الدول العربية. العدد 2. السنة 2007.

44- يحي اليحياوي. **أي دور للمثقفين والإعلاميين في التصدي لظاهرة الإرهاب**. مجلة الإذاعات العربية. مجلة فصلية يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية. عدد3-4. 2007.

الرسائل الجامعية:

45- عاصم علي الجرادات، **معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية-سلسلة "سري للغاية" بقناة الجزيرة أنموذجا**، دراسة مقدمة لاستكمال الحصول على شهادة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، قسم الإعلام، في عام،2009.

مراجع باللغة الأجنبية:

46-Judith Laser, **La Science de la Communication**, Edition dahlab, Alger, 1992.

مراجع من الانترنت:

1- مقالات من مجلة الجزيرة الوثائقية الإلكترونية:

47- محمد بغدادي، **الفيلم الوثائقي من السـلطان إلى الإنسـان**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
48- http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228111565328 55.html
49- سيد سعيد، **حدود الموضوعية والذاتية بين الوثيقة والحقيقة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
50-http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/04/20094172524137868.htm
51 – قيس الزبيدي، **فلسفة الصورة.. مقدمات نظرية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
52http://doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/Documents/2008/12/31/2008123 1124323971734.pdf

53- أحمد بوغابة، **الوثائقي بين " وهم الموضوعية " و " واقع الذاتية**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
54-http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/04/20094174336911390.html

55- عارف الحجاوي، **الوثائقي يتميع**، مجلة الجزيرة الوثائقية56http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/03/200933112534058 4773
- أكرم العدواني، **الفيلم الوثائقي بين الذاكرة والتاريخ**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
57http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228105548173748.html
58- قيس الزبيدي، **الإيمان بالواقع ضد الإيمان بالصورة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.
59http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/20096291122355042 97.html

60- أمير العمري، **الفيلم الوثائقي بين الخيالي وغير الخيالي**، مجلة الجزيرة الوثائقية.

61http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/07/201076736413884.html

62- إبراهيم زرقاني، **الفيلم الوثائقي بين الواحد و المتعدد**، مجلة الجزيرة الوثائقية

http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/200962481817396303.htm

64- رانية عقلة حداد، قيس الزبيدي، **الفيلم الوثائقي كالابن اللقيط.**

http://www.alnator.com/algorbal/news.php

66- ناصر ونوس، **قراءة في كتاب صناعة الأفلام الوثائقية لباري هامب: من الفكرة إلى الشاشة**، مجلة الجزيرة الوثائقية.

http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/10/2009104103415420763.html

68-أسامة صفار. **السينما.. ذاكرة المنسيين في الأرض.** مجلة الجزيرة الوثائقية.

http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/07/201078105112196290.html

70. ماهر محمد خليل، **الفيلم الوثائقي العربي يعاني من التهميش.**

http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=1028058

72عدنان مدانات. **عولمة السينما/ عولمة الصورة/ الوثيقة.** مجلة الجزيرة الوثائقية.

http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/01/2010159237458909.html

74 . نصر الدين اللواتي. **عن الشاشات الوثائقية و وعودها.**

(doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/.../2009/.../20091131017317207 34.pdf)

75-باسم قهار. **الهامش في الفيلم الوثائقي العربي.** مجلة الجزيرة الوثائقية.

76http://doc.aljazeera.net/magazine/2008/12/20081228104445438240.html

77قيس الزبيدي.**الايدولوجيا والفيلم مقدمة نظرية** .مجلة الجزيرة الوثائقية.

78http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/201033175857785758.html

79. الهادي خليل. **السّينما الوثائقيّة بين الإيديولوجي والجمالي التّأسيس والامتداد.** مجلة الجزيرة الوثائقية.http://doc.aljazeera.net/magazine/2010/03/20103318588401736.html

81عاصم علي الجرادات: **معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية.** سلسلة (سري للغاية) في قناة
الجزيرة"أنموذجا"
"http://doc.aljazeera.net/magazine/2009/06/2009624907146808.htm

82 . مجاهد البوسيفي. **العرب المسيحيون : تاريخ عميق وحاضر قلق. مجلة الجزيرة الوثائقية.**

83http://doc.aljazeera.net/followup/2009/01/20091813120549875.html

2- مواقع أخرى من الأنترنت:

84-http://www.sdpfiq.com/?page=view&id=76&part=

85- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%8

86- http://www.aljazeera.net/NR/exeres

87- http://www.profvb.com/vb/t34508.html

88 - http://mosoa.aljayyash.net/category/5/1.html

89- http://mohajir.wordpress.com/page/12

90- http://www.sudanforum.net/showthread.php?t=80955&langid=

91- http://main.omandaily.om/node/27489

92- http://www.islamonline.net/arabic/mafaheem

93 - http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_12130.htl 10

94- http://social.subject-line.com/montada-f26/topic-t2015.htm

95 - http://www.arab-ency.com

96- http://www.aljazeera.net/NR/exeres/B121D637-D09B-4900-9412-672D0C762C35 .htm

97- http://aljazeera.net/NR/exeres/53F34654

98-http://hamasat.do-goo.com/montada-f27/topic-t7093.htm

99- http://www.manhal.net/articles.php?action=show&id=262

100- http://www.odabasham.net/

101 - http://www.rasid.com/artc.php?id=35058

102- http://www.al3ez.net/vb/showthread.php

103-http://kenanaonline.com/users/farouksulimantv/posts/10602[1]

104-http://www.zuhlool.org/wiki

105-http://dvd4arab.maktoob.com/showthread.php?t=2211455 .[1]

106-http://www.sdpfiq.com/?page=view&id=76&part=4

107- http://www.zuhlool.org/wiki

108-http://www.zuhlool.org/wiki/%D9%81%D9 .

109 -http://www.al-madina.com/node/247353/arbeaa .[1]

110-http://vb.q9r.com/t4412.html

111-http://www.shababico.com/forum/archive/index.php/t-6.html

112- http://ar.wikipedia.**org**/**wiki**/

113- رانية عقلة حداد. **الفيلم التسجيلي كالابن اللقيط.**

114http://www.alnator.com/algorbal/news.php

115- نور الدين زمـــّـام. **عولمة الثقافـــة: الممكن والمستحيل**. http://knol.google.com.

116- محمد خير. **الجزيرة الوثائقية": نسخة معرّبة عن BBC** . http://www.al-akhbar /ar/node.com /20353

117 -أسماء وهبة. السينما الوثائقية" صناعة بلا جمهور**من المؤلفين نفسهم ايضاً** الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.

119http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449 -

120http://www.asbu.net/asbutext/pdf/2007_03_029.pdf

121- نجلاء العمري: **العالم العربي يعج بالموضوعات الحساسة**

122http://www.bbc.co.uk/arabic/multimedia/2010/04/100401_naglaa_ale

123- عاصم جرادات. **الوثائقيات بين تجربتي الbbc العالمية و شبكة الجزيرة الفضائية.**

محمد قيراط، **الاعلام العربي الموجه للآخر و الحوار بين الإسلام و الغرب، جامعة الشارقة.**

http://www.albayan.ae/opinions/1158495604627-2006-10-13-1.953223

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2 -124

125-سليم عقار. **السينما و الثورة الجزائرية.50 سنة تصوير بين الجزائر و فرنسا...**

http://www.startimes.com/f.aspx?t=14885711

126- أحمد الشريف ."**أحلام الزبالين**".

127- http://www.alarabiya.net/articles/2010/04/27/106977.html

128- سعد هادي. **قيس الزبيدي: غريب عن الأوطان.**

129http://www.al-akhbar.com/ar/node/88887

130- أسماء وهبة. **السينما الوثائقية" صناعة بلا جمهور من المؤلفين نفسهم.** الخميس 4 حزيران (يونيو) 2009.

131-http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

132- قضايا المرأة بمهرجان الإسماعيلية الدولي 29 سبتمبر 2010.

133http://www.rosaonline.net/Daily/News.asp?id=84510

135http://doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/Images//2009/8/4/20098472522341.jpg-566

136http://doc.aljazeera.net/DocGallery/Media/Images//2009/11/5/2009115112039197341.jpg

137.http://dvd4arab.maktoob.com/archive/index.php/t-2312415.html

138. أسماء وهبة. **السينما الوثائقية" صناعة بلا جمهور**http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=2449

عبد الرحمن عزي، الرأسمال الرمزي الجديد، قراءة في هوية و سوسيولوجية الفضائيات بالمنطقة العربية. http://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory/naciroverview

الملاحق

الملحق رقم (01)

ترميز الفئات الخاصة بالمضمون

1.فئة الموضوع

1/1 حزب الله

1/1/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/1/1 المرجعية الايديولوجية.

3/1/1 العلاقة مع السلطة اللبنانية.

4/1/1 العلاقة مع العدو الإسرائيلي.

2/1 اندونيسيا بين الحركات الإسلامية

1/2/1 جماعة نهضة العلماء

1/1/2/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/1/2/1 المرجعية الايديولوجية.

3/1/2/1 العلاقة مع السلطة الاندونوسية.

2/2/1 **الجمعية المحمدية**

1/2/2/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/2/2/1 المرجعية الايديولوجية.

3/2/2/1 العلاقة مع السلطة الاندونوسية.

3/2/1 الجماعات الإسلامية المسلحة

1/3/2/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/3/2/1 المرجعية الايديولوجية.

3/3/2/1 العلاقة مع السلطة الاندونوسية.

3/1 الأصولية الهندوسية

1/3/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/3/1 المرجعية الايديولوجية.

3/3/1 العلاقة مع الجماعة الاسلامية.

4/3/1 العلاقة مع السلطة الهندية.

4/1 **الجماعة البوذية**

1/4/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/4/1 المرجعية الايديولوجية.

3/4/1 العلاقة مع السلطة الصينية.

5/1 الحركات الدينية في المغرب

1/5/1 جماعة العدل والإحسان

1/1/5/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

2/1/5/1 المرجعية الايديولوجية.

3/1/5/1 العلاقة مع السلطة المغربية.

4/1/5/1 العلاقة مع الجماعات الإسلامية الأخرى.

2/5/1 حركة التوحيد والإصلاح

1/2/5/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية

2/2/5/1 المرجعية الايديولوجية.

3/2/5/1 العلاقة مع السلطة المغربية.

3/5/1 حزب العدالة والتنمية

1/3/5/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية

2/3/5/1 المرجعية الايديولوجية.

3/3/4/1 العلاقة مع السلطة المغربية.

4/5/1 الجماعات الإسلامية المسلحة

1/4/5/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية

2/4/5/1 المرجعية الايديولوجية.

3/4/5/1 العلاقة مع السلطة المغربية.

6/1 السنغال بين العلمانية والصوفية

1/6/1 الخصوصية الثقافية والاجتماعية

2/6/1 المرجعية الايديولوجية.

3/6/1 العلاقة مع السلطة السنغالية.

4/6/1 العلاقة مع العلمانيين.

2. فئة السمات

1/2 إرهابيون.

2/2 شهداء.

3/2 مجاهدون.

4/2 مقاومون.

5/2 رهبان.

6/2 يؤمنون بالخرافات.

7/2 متطرفون.

3. فئة المصدر

1/3 باحثين وأكاديميين.

2/3 أعضاء من الجماعات الدينية.

3/3 رجال دين.

4/3 إعلاميين.

5/3 سياسيين تابعيين للسلطة.

6/3 مصادر مجهولة.

4. فئة الاتجاه

1/4 مؤيد

2/4 معارض

3/4 لا رأي له.

استمارة التحليل الخاصة بفئات المضمون

المحور الاول:البيانات الاولية

1. البث السنوي للعينة

1	2	3	4	5
☐	☐	☐	☐	☐

2. البث الشهري للعينة

6	7	8	9
☐	☐	☐	☐

3. تاريخ البث 10 ☐

4. مدة البث 11 ☐

المحور الثاني:البيانات الكمية

5.

1	2	3	4
☐	☐	☐	☐

6.

1/1	2/1	3/1	4/1	5/1	6/1
☐	☐	☐	☐	☐	☐

7.

1/1/1	2/1/1	3/1/1	4/1/1
☐	☐	☐	☐

8.

1/1/2/1	2/1/2/1	3/1/2/1
☐	☐	☐

9.

1/2/2/1	2/2/2/1	3/2/2/1
☐	☐	☐

10.

1/3/2/1	2/3/2/1	3/3/2/1
☐	☐	☐

11. 4/3/1 ☐ 3/3/1 ☐ 2/3/1 ☐ 1/3/1 ☐

12. 3/4/1 ☐ 2/4/1 ☐ 1/4/1 ☐

13. 4/1/5/1 ☐ 3/1/5/1 ☐ 2/1/5/1 ☐ 1/1/5/1 ☐

14. 3/2/5/1 ☐ 2/2/5/1 ☐ 1/2/5/1 ☐

15. 3/3/5/1 ☐ 2/3/5/1 ☐ 1/3/5/1 ☐

16. 4/6/1 ☐ 3/6/1 ☐ 2/6/1 ☐ 1/6/1 ☐

17. 7/2 ☐ 6/2 ☐ 5/2 ☐ 4/2 ☐ 3/2 ☐ 2/2 ☐ 1/2 ☐

18. 6/2 ☐ 5/3 ☐ 4/3 ☐ 3/3 ☐ 2/3 ☐ 1/3 ☐

19. 3/4 ☐ 2/4 ☐ 1/4 ☐

ملاحظات كيفية

.....

.....

دليل الاستمارة الخاصة بفئات المضمون

1. المربعات 1، 2، 3، 4، 5 تمثل التوزيع السنوي للعينة اعتبارا من سنة 1998 و1999 و 2002 و2003 و2005.
2. المربعات من6 إلى 9 تمثل التوزيع الشهري للعينة حيث تم اختيار اربعة أشهر **جوان، جويلية، سبتمبر، أكتوبر**. من سنوات 1998 و1999 و 2002 و2003 و2005.
3. المربع 10 يمثل تاريخ البث.
4. المربع 11 يمثل مدة البث.
5. المربعات 1، 2، 3، 4 يمثل الفئات الرئيسية من فئات المضمونوهي (فئة الموضوع وفئة السمات وفئة المصدر وفئة الاتجاه).
6. المربعات من 1/1 إلى 6/1 تمثل فئة الموضوع (حزب الله، الجماعات بأندوسيا،الاصولية الهندوسية، الجماعة البوذية، الحركات الاسلامية بالمغرب، السنغال بين العلمانية والصوفية).
7. المربعات من 1/1/1 إلى 4/1/1 تمثل مؤشرات حزب الله.
8. المربعات1/1/2/1 إلى 3/1/2/1 تمثل مؤشرات نهضة العلماء بأندونسيا.
9. المربعات1/2/2/1 إلى3/2/2/1 تمثل مؤشرات الجمعية المحمدية بأندونسيا.
10. المربعات 1/3/2/1 إلى3/3/2/1 تمثل مؤشرات فئة الجماعات الاسلامية المسلحة.
11. المربعات من 1/3/1 إلى 4/3/1 تمثل مؤشرات الاصولية الهندونسية.
12. المربعات من 1/4/1 إلى 3/4/1 تمثل مؤشرات فئة الجماعة البوذية.
13. المربعات1/1/5/1 إلى4/1/5/1 تمثل مؤشرات الجمعية المحمديةفئة جماعة والاحسان بالمغرب.
14. المربعات1/2/5/1 إلى3/2/5/1 تمثل مؤشرات فئة حركة التوحيد والاصلاح بالمغرب.
15. المربعات1/3/5/1 إلى3/3/5/1 تمثل مؤشرات فئة الجماعات الاسلامية بالمغرب.
16. المربعات من 1/6/1 إلى 3/6/1 تمثل مؤشرات فئة السنغال بين العلمانية والصوفية.
17. المربعات من 2 /1إلى 7/2 تمثل مؤشرات فئة السمات.
18. المربعات من 2/3 إلى 6/3 تمثل فئة المصدر.
19. المربعات 1/4 إلى 3/4 تمثل مؤشرات فئة الاتجاه.

ترميز البيانات الخاصة بفئات الشكل

1.فئة الاشكال الاعلامية المساعدة

1/1 مقابلة.

2/1 مواد أرشيفية مصورة.

3/1 صور.

4/1 وثائق مكتوبة.

5/1 تصوير المواقع.

6/1 تسجيل صوتي.

7/1 مقاطع موسيقية.

استمارة التحليل الخاصة بفئات الشكل

المحور الاول:البيانات الاولية

5 4 3 2 1

5. البث السنوي للعينة ☐ ☐ ☐ ☐ ☐

9 8 7 6

6. البث الشهري للعينة ☐ ☐ ☐ ☐

10

7. تاريخ البث ☐

11

8. مدة البث ☐

المحور الثاني:البيانات الكمية

1

9. ☐

7/1 6/1 5/1 4/1 3/1 2/1 1/1

6. ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐ ☐

ملاحظات كيفية

.....

.....

دليل استمارة االتحليل الخاصة بفئات الشكل

1. المربعات 1، 2، 3، 4، 5 تمثل التوزيع السنوي للعينة اعتبارا من سنة 1998 و1999 و 2002 و2003 و2005.
2. المربعات من6 إلى 9 تمثل التوزيع الشهري للعينة حيث تم اختيار اربعة أشهر **جوان، جويلية، سبتمبر، أكتوبر**. من سنوات 1998 و1999 و 2002 و2003 و2005.
3. المربع 10 يمثل تاريخ البث.
4. المربع 11 يمثل مدة البث.
5. المربع 1، يمثل الفئات الرئيسية من فئات الشكل وهي (فئة الأشكال الاعلامية المساعدة).
6. المربعات من 1/1 إلى 7/1 تمثل مؤشرات فئة الأشكال الاعلامية (المقابلة، مواد أرشيفية مصورة، صور، وثائق مكتوبة، تصوير المواقع، تسجيل صوتي، مقاطع موسيقية).